من التُّراث الزَّيتونيّ

السَّعادةُ الأَبْدِيَّةُ

تأليف سيّدي الشَّيخ:

مُحَمَّدِ الْجَيْلَانِيِّ بْنِ أَحْمَدَ حَمْزَةَ، الْأَشْعَرِيِّ،

الإمام الأوّل بجامع الحنفيّة بالمحمديّة

تحقيق: الشّيخ فوزي بن نتيشة و الشّيخ محمّد اللّجمي

كان هذا الكتاب يدرّس

لطلّاب السّنة الثّانية من المرتبة الأخيرة بالمعاهد الزّيتونيّة

من سلسلة إصدارات:

الجمعيّة التّونسيّة لإحياء التّراث الزّيتونيّ

في علم الأخلاق (1)

طبعة جديدة مراجعة ومصحّحة ومشكولة ومبوّبة

اَلسَّعَادَةُ الْأَبَدِيَّةُ

تَأْلِيفُ سَيِّدِي الشَّيْخِ:

مُحَمَّدِ الْجِيلَانِيِّ بْنِ أَحْمَدَ حَمْزَةَ، اَلْأَشْعَرِيِّ،

اَلْإِمَامِ الْأَوَّلِ بِجَامِعِ الْحَنَفِيَّةِ بِالْمَهْدِيَّةِ

تَحْقِيقُ: الشَّيْخِ فَوْزِي بِنْ نْتِيشَة وَالشَّيْخِ مُحَمَّدٍ اللَّجْمِيِّ

كَانَ هَذَا الْكِتَابُ يُدَرَّسُ

لِطُلَّابِ السَّنَةِ الثَّانِيَةِ بِالْمَعَاهِدِ الزَّيْتُونِيَّةِ

مِنْ سِلْسِلَةِ إِصْدَارَاتِ:

اَلْجَمْعِيَّةِ التُّونِسِيَّةِ لِإِحْيَاءِ التُّرَاثِ الزَّيْتُونِيِّ

فِي عِلْمِ الْأَخْلَاقِ (1)

طَبْعَةٌ جَدِيدَةٌ مُرَاجَعَةٌ وَمُصَحَّحَةٌ وَمَشْكُولَةٌ



إِصْدَارُ:

اَلْجَمْعِيَّةِ التُّونِسِيَّةِ لِإِحْيَاءِ التُّرَاثِ الزَّيْتُونِيِّ

اَلطَّبْعَةُ الثَّالِثَةُ

2015م – 1437هـ

اَلْعُنْوَانُ: إِقَامَةُ مَبْرُوكَةِ. الطَّابِقُ: 7. عَدَدٌ: 5 - حَيُّ الْوَاحَاتِ - عَيْنُ زَغْوَانِ - تُونِس

اَلْهَاتِفُ: 22082323

اَلْبَرِيدُ الْإِلِكْتُرُونِيُّ: Info@ezzitouna.net

ISBN:978-9938-05-286-2

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿مُقَدِّمَةُ الطَّبْعَةِ الثَّالِثَةِ﴾

اَلْحَمْدُ لِلَّهِ الذِي خَلَقَ جَمِيعَ الْكَائِنَاتِ فَسَوَّاهَا، وَأَلْهَمَ كُلَّ نَفْسٍ فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا، وَأَعْلَمَنَا بِفَلَاحِ مَنْ زَكَّاهَا، وَخَيْبَةِ مَنْ دَسَّاهَا، وَأَشْهَدُ: أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، شَهَادَةَ مُؤْمِنٍ مُوَحِّدٍ مُوقِنٍ بِرَبِّ الْأَكْوَانِ الذِي أَنْشَاهَا؛

وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الْأَتَمَّانِ الْأَكْمَلَانِ، عَلَى سَيِّدِ وَلَدِ عَدْنَانٍ، وَحَبِيبِ رَبِّنَا الْمَنَّانِ، اَلْـمَبْعُوثِ لِـهِدَايَةِ الْإِنْسِ وَالْجَانِّ، طَبِّ وَدَوَاءِ الْجَنَانِ، وَالْهَادِي إِلَى الطَّرِيقِ الْمُوصِلَةِ إِلَى الْجِنَانِ، وَالدَّالِ عَلَى سُبُلِ مَرْضَاةِ الرَّحِيمِ الرَّحْمَنِ، مَنْ جَعَلَهُ اللَّـهُ الْأُسْوَةَ الْحَسَنَةَ لِكُلِّ إِنْسَانٍ، اَلْـمُبَيِّنِ أَنَّ الدِّينَ مَجْمُوعُ إِيمَانٍ وَإِسْلَامٍ وَإِحْسَانٍ؛ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الْحِسَانِ، مَا تَعَاقَبَ عَلَى الْأَرْضِ النَّيِّرَانِ، فِي كُلِّ لَمْحَةٍ وَنَفَسٍ بِدَوَامِ ذِي الطَّوْلِ وَالِامْتِنَانِ، وَعَلَيْنَا مَعَهُمْ وَفِيهِمْ فِي كُلِّ آنٍ.

أَمَّا بَعْـدُ: فَهَذَا كِتَابٌ قَيِّمٌ جَلِيلٌ، فِي عِلْمِ الْأَخْلَاقِ وَأَسْرَارِ التَّنْزِيلِ، تَنَاوَلَ فِيهِ مُؤَلِّفُهُ سَيِّدِي مُحَمَّدُ الْجِيلَانِيُّ حَمْزَةُ رَحِمَهُ اللَّهُ عِلْمَ التَّزْكِيَةِ بِطَرِيقَةٍ فِي بَابِهَا فَرِيدَةٍ، حَيْثُ تَعَرَّضَ:

1) لِتَفْسِيرِ الْجُزْءِ الْأَخِيرِ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ـ أَيِ الْحِزْبَيْنِ الْأَخِيرَيْنِ {مِنْ سُورَةِ النَّبَإِ إِلَى سُورَةِ النَّاسِ}، اَلذِي آيَاتُهُ مَكِّيَّةٌ ـ بِطَرِيقَةٍ رَائِعَةٍ، وَبَسِيطَةٍ وَمُيَسَّرَةٍ مِنْ قَبِيلِ السَّهْلِ الْـمُمْتَنِعِ، مَا رَأَيْتُ قَبْلَهَا مِثْلَهَا قَطُّ، لَكِنْ مِنْ نَاحِيَةٍ أَخْلَاقِيَّةٍ عَمَلِيَّةٍ مُبَسَّطَةٍ بَلِيغَةٍ، يَنْتَفِعُ بِهَا جَمِيعُ أَصْحَابِ الْـمُسْتَوَيَاتِ الْعِلْمِيَّةِ عَلَى السَّوَاءِ، كُلٌّ عَلَى حَسَبِ مَعْرِفَتِهِ؛

2) ثُمَّ لِشَرْحِ سِتِّينَ حَدِيثًا نَبَوِيًّا شَرِيفًا، بِنَفْسِ الْأُسْلُوبِ كَذَلِكَ، بِحَيْثُ يُنَزِّلُ النَّصَّ الْقُرْآنِيَّ أَوِ النَّبَوِيَّ عَلَى الْوَاقِعِ، وَيَسْتَخْلِصُ مِنْهُ الْعِبَرَ، وَيَجْعَلُهُ سَهْلَ التَّنَاوُلِ لِيُعْمَلَ بِهِ بَعْدَ فَهْمِهِ، بِتَقْرِيبِ بَعِيدِهِ، وَتَبْسِيطِ عَوِيصِهِ...

وَحَسْبُنَا فِي بَيَانِ فَضْلِ هَذَا الْمُؤَلَّفِ شَهَادَةُ أَهْلِ الذِّكْرِ فِيهِ: 1) بِتَقَارِيظِهِمْ عَلَيْهِ، 2) ثُمَّ اعْتِمَادُهُ لِيُدَرَّسَ فِي مَادَّةِ الْأَخْلَاقِ، ضِمْنَ الْكُتُبِ التَّدْرِيسِيَّةِ، بِمَعَاهِدِ التَّعْلِيمِ الزَّيْتُونِيِّ، حَيْثُ قَرَّرَتْ هَيْئَةُ التَّدْرِيسِ بِجَامِعِ الزَّيْتُونَةِ الْمَعْمُورِ أَنَّهُ يُعَيَّنُ: لِلسَّنَةِ الثَّانِيَةِ مِنَ الْمَرْتَبَةِ الْأَخِيرَةِ، فِي مَادَّةِ: اَلْأَخْلَاقِ؛ كَمَا هُوَ مُوَضَّحٌ بَعْدَ هَذِهِ الْمُقَدِّمَةِ.

* وَإِنَّنَا تَشَرَّفْنَا وَأُكْرِمْنَا بِخِدْمَةِ هَذَا الْكِتَابِ الْجَلِيلِ، فِي طَبْعَتِهِ الْجَدِيدَةِ الْمُبَارَكَةِ، وَذَلِكَ بِمُرَاجَعَةِ نُصُوصِهِ، وَإِعْرَابِ كَلِمَاتِهِ وَضَبْطِهَا، وَحُسْنِ تَصْفِيفِهِ، وَإِضَافَةِ بَعْضِ التَّعْلِيقَاتِ لِبَيَانِ مَا قَدْ يَسْتَشْكِلُ عَلَى بَعْضِ الْقُرَّاءِ؛ وَضَبَطْنَا الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةَ الْمُفَسَّرَةَ عَلَى رِوَايَةِ قَالُونِ عَنْ نَافِعٍ، وَدَقَّقْنَا وَصَحَّحْنَا الْأَحَادِيثَ النَّبَوِيَّةَ الشَّرِيفَةَ، وَبَيَّنَّا رَاوِيَهَا وَمُخْرِجَهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ قَدْ ذُكِرَ، وَذَلِكَ لِمَزِيدِ الْفَائِدَةِ، وَاللَّهُ الْمُوَفِّقُ وَالْهَادِي لِلصَّوَابِ.

وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمُتَّبِعِيهِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

﴿ خَادِمَا الْعِلْمِ الشَّرِيفِ ﴾

الشَّيْخُ فَوْزِي بِنْ نِتِيشَةْ وَأَخُوهُ مُحَمَّدٌ اللَّجْمِيُّ

﴿مَشْيَخَةُ الْجَامِعِ الْأَعْظَمِ وَفُرُوعِهِ﴾

اَلْحَمْدُ لِلَّهِ

قَرَارٌ

إِنَّ شَيْخَ الْجَامِعِ الْأَعْظَمِ وَفُرُوعِهِ:

بَعْدَ اطِّلَاعِهِ:

عَلَى قَرَارِهِ الْمُؤَرَّخِ فِي: 24 ذِي الْحِجَّةِ 1366 وَفِي: 8 نُوفَمْبَرَ 1947 عَدَدُ 81 اَلْمُقْتَضِي تَأْلِيفَ لَجْنَةٍ عِلْمِيَّةٍ لِلنَّظَرِ فِي كِتَابِ: **السَّعَادَةِ الْأَبَدِيَّةِ**، الذِي صَنَّفَهُ الْفَاضِلُ الشَّيْخُ: **مُحَمَّدٌ الْجَيْلَانِيُّ حَمْزَةُ**، بِرَسْمِ إِدْرَاجِهِ فِي كُتُبِ الدِّرَاسَةِ لِـ: **"عِلْمِ الْأَخْلَاقِ"**.

وَعَلَى التَّقْرِيرِ الْوَارِدِ مِنَ اللَّجْنَةِ الْمَذْكُورَةِ، اَلْمُتَضَمِّنِ:

1) اَلِاطِّلَاعَ عَلَى التَّأْلِيفِ الْمُشَارِ إِلَيْهِ،

2) وَالِاقْتِرَاحَ عَلَى:

أ) تَقْرِيرِهِ ضِمْنَ الْكُتُبِ التَّدْرِيسِيَّةِ، بِالْمَعَاهِدِ الزَّيْتُونِيَّةِ،

ب) وَتَعْيِينِهِ لِلسَّنَةِ الثَّانِيَةِ مِنَ الْمَرْتَبَةِ الْأَخِيرَةِ؛

قَرَّرَ مَا يَأْتِي: فَصْلٌ وَحِيدٌ:

1) يُجْعَلُ كِتَابُ: **السَّعَادَةِ الْأَبَدِيَّةِ**، لِمُؤَلِّفِهِ الْفَاضِلِ الشَّيْخِ: **مُحَمَّدٍ الْجَيْلَانِيِّ حَمْزَةَ**، ضِمْنَ الْكُتُبِ التَّدْرِيسِيَّةِ، بِمَعَاهِدِ التَّعْلِيمِ الزَّيْتُونِيِّ،

2) وَيُعَيَّنُ: لِلسَّنَةِ الثَّانِيَةِ مِنَ الْمَرْتَبَةِ الْأَخِيرَةِ، فِي مَادَّةِ: اَلْأَخْلَاقِ؛ وَذَلِكَ ابْتِدَاءً مِنَ الْعَامِ الدِّرَاسِيِّ 1948 – 1949.

وَحُرِّرَ فِي تَارِيخِ: 23 ذِي الْقَعْدَةِ 1367، وَفِي 17 سِبْتَمْبَرَ 1948.

* **مُحَمَّدٌ الطَّاهِرُ ابْنُ عَاشُورٍ.**

﴿كَلِمَةُ الْعَلَّامَةِ الْكَبِيرِ فَضِيلَةِ الشَّيْخِ: مُحَمَّدِ الْمُخْتَارِ ابْنِ مَحْمُودٍ﴾

﴿اَلْمُفْتِي الْحَنَفِيِّ بِالدِّيَارِ التُّونِسِيَّةِ﴾

اَلْحَمْدُ لِلَّـهِ الذِي أَنْعَمَ عَلَى عِبَادِهِ بِدِينِ الْإِسْلَامِ، وَأَوْضَحَ لَهُمْ مِنْ مَعَالِمِ الْهِدَايَةِ مَا لَوْ لَمْ يَحِيدُوا عَنْهُ لَمَا نَالَهُمْ ضَيْمٌ وَلَمَا اعْتَرَى وَحْدَتَهُمُ انْثِلَامٌ.

وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، رَسُولِهِ مَنْجَمِ الْفَضَائِلِ وَمَنْبَعِ الْإِرْشَادِ، وَمَصْدَرِ الْكَمَالَاتِ وَمِقْطَعِ[1] الشِّرْكِ وَالْفَسَادِ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الْكِرَامِ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ فِي الاِسْتِقَامَةِ وَحُسْنِ السُّلُوكِ مِنَ الْعُلَمَاءِ الْأَعْلَامِ.

أَمَّا بَعْـدُ: فَإِنَّ خَيْرَ مَا يَفْعَلُهُ السَّاعُونَ فِي خِدْمَةِ أَوْطَانِهِمْ، وَالرَّاغِبُونَ فِي نَهْضَةِ شُعُوبِهِمْ، أَنْ يُسَهِّلُوا سُبُلَ التَّعْلِيمِ أَمَامَ النَّاسِ، لِأَنَّ تَيْسِيرَ طُرُقِ الْعِلْمِ هُوَ الْكَفِيلُ بِانْتِشَارِهِ بَيْنَ عُمُومِ الطَّبَقَاتِ، إِذْ قَدْ أَرَتْنَا التَّجَارِبُ الطَّوِيلَةُ، أَنَّ مِنْ أَشَدِّ الْعَوَائِقِ التِي حَالَتْ دُونَ انْتِشَارِ الْعِلْمِ صُعُوبَةَ الطُّرُقِ الْمُتَوَخَّاةِ فِي بَثِّهِ وَإِيصَالِهِ إِلَى النَّاسِ؛ لِذَلِكَ كَانَ مِنْ وَاجِبِ الرِّجَالِ الْمُصْلِحِينَ أَنْ تَنْصَرِفَ هِمَمُهُمْ إِلَى تَيْسِيرِ سُبُلِ الْعِلْمِ، وَتَقْصِيرِ الْمَسَافَةِ عَلَى الْـمُتَعَلِّمِينَ.

وَكَمَا صَارَ الْإِنْسَانُ يَنْتَقِلُ الْيَوْمَ مِنْ: حَاضِرَةِ تُونِسَ إِلَى الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ بِوَاسِطَةِ الطَّائِرَةِ، فِي تِسْعِ سَاعَاتٍ، بَعْدَمَا كَانَ يَقْضِي فِي الزَّمَنِ الْقَدِيمِ أَشْهُرًا لِلْوُصُولِ إِلَى مَقْصَدِهِ، فَكَذَلِكَ يَجِبُ أَنْ تُرَاعَى هَاتِهِ النِّسْبَةُ فِي مَسَافَةِ التَّعْلِيمِ، لَا سِيَّمَا الْعُلُومُ الشَّرْعِيَّةُ التِي صَارَ النَّاسُ عَنْهَا ـ وَيَا لَلْأَسَفِ ـ فِي إِعْرَاضٍ، وَصَارُوا يَهْتَمُّونَ بِهَا اهْتِمَاماً ثَانَوِيًّا تَكْمِيلِيًّا، كَأَنَّهَا مِنَ الْأُمُورِ التِي لَا يَضُرُّ الْجَهْلُ بِهَا، حَيْثُ طَغَتْ عَلَيْهِمُ الْمَادِّيَاتُ، وَانْصَرَفُوا إِلَى كُلِّ مَا يُقَرِّبُهُمْ مِنَ الشَّيْطَانِ زُلْفَى، فَيَجِبُ بِالنِّسْبَةِ لِهَاتِهِ الْعُلُومِ أَنْ تَتَوَفَّرَ هِمَمُ رِجَالِ الْإِصْلَاحِ مِنْ عُلَمَاءِ عَصْرِنَا إِلَى الاِجْتِهَادِ فِي تَذْلِيلِ صِعَابِهَا، وَتَقْرِيبِ مَنْهَلِهَا الْعَذْبِ لِكَافَّةِ الْمُرِيدِينَ.

وَقَدْ تَوَفَّقَ لِتَحْقِيقِ هَذَا الْمَقْصَدِ أَخُونَا الْعَالِمُ الْفَاضِلُ، اَلشَّيْخُ: مُحَمَّدٌ الْجِيْلَانِيُّ حَمْزَةُ، فَقِيهُ الْمَهْدِيَّةِ وَخَطِيبُهَا، فِي كِتَابِهِ "اَلسَّعَـادَةُ الْأَبَدِيَّـةُ" اَلذِي وَضَعَهُ لِتَعْلِيمِ

---

(1) اَلْمِقْطَعُ، بِالْكَسْرِ: مَا يُقْطَعُ بِهِ الشَّيْءُ.

النَّاشِئَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ، وَمَبَادِئَ الدِّينِ الصَّحِيحِ، فَرُزِقَ التَّوْفِيقَ فِي تَأْلِيفِهِ إِلَى حَدٍّ بَعِيدٍ بِفَضْلِ اللَّـهِ، ثُمَّ بِفَضْلِ إِخْلَاصِهِ لِخِدْمَةِ بِلَادِهِ وَدِينِهِ.

فَكَانَ أُسْلُوبُهُ فِي هَذَا التَّأْلِيفِ عَلَى الطِّرَازِ الَّذِي طَالَمَا تَمَنَّيْتُ أَنْ يَقَعَ النَّسْجُ عَلَى مِنْوَالِهِ، حَيْثُ كَانَ: سَهْلَ الْعِبَارَةِ، وَاضِحَ الْمَقْصِدِ، مَيْسُورَ التَّنَاوُلِ، يُدْرِكُ الْمُطَالِعُ مَغَازِيَهُ وَمَرَامِيَهُ بِمُجَرَّدِ قِرَاءَتِهِ، وَهُوَ وَإِنْ كَانَ بِرَسْمِهِ مَوْضُوعاً لِلنَّاشِئَةِ الصِّغَارِ، فَسَيَسْتَفِيدُ بِهِ بِحَوْلِ اللَّـهِ: كُلُّ مَنِ انْقَطَعَ بِهِ حَبْلُ التَّعْلِيمِ فَارْتَفَعَتْ بِهِ السِّنُّ، وَلَمْ يَشْفِ غُلَّتَهُ مِمَّا كَانَ يُرِيدُ الْوُصُولَ إِلَيْهِ.

وَيَمْتَازُ أُسْلُوبُ الْكِتَابِ: بِتَكْوِينِ فِكْرَةٍ أَخْلَاقِيَّةٍ دِينِيَّةٍ، مُسْتَمَدَّةٍ مِنْ آيَاتِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَأَحَادِيثِ الرَّسُولِ ﷺ، فَهُوَ إِذَا مَا تَعَرَّضَ لِتَفْسِيرِ سُورَةٍ أَوْ شَرْحِ حَدِيثٍ يَجْمَعُ بَيْنَ ثَلَاثَةِ أُمُورٍ: فَيَبْدَأُ:

- بِشَرْحِ الْمُفْرَدَاتِ،
- ثُمَّ يَذْكُرُ خُلَاصَةَ الْمَعْنَى الْمُسْتَفَادِ مِنَ السُّورَةِ أَوِ الْحَدِيثِ،
- ثُمَّ يَتَعَرَّضُ لِلْعِبْرَةِ الَّتِي تُؤْخَذُ مِنْ ذَلِكَ وَالْمَوْعِظَةِ الَّتِي تَنْفَعُ مِنْ ذَلِكَ الْمَقَامِ.

وَهَذَا الْأَمْرُ الثَّالِثُ وَهُوَ أَخْذُ الْعِبْرَةِ وَالْمَوْعِظَةِ، هُوَ بَيْتُ الْقَصِيدِ، لِأَنَّهُ هُوَ النَّاحِيَةُ الْأَخْلَاقِيَّةُ الْعَمَلِيَّةُ، الَّتِي يَجِبُ الِاعْتِنَاءُ بِهَا.

إِنَّ مُجَرَّدَ فَهْمِ الْأَلْفَاظِ وَالتَّرَاكِيبِ لَا يَكْفِي لِبُلُوغِ الْغَرَضِ الْمَقْصُودِ مِنْ دِرَاسَةِ الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ، فَأَنْتَ تَعْلَمُ - رَعَاكَ اللهُ - أَنَّ أَهَمَّ شَيْءٍ حَالَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَبَيْنَ انْتِفَاعِهِمْ بِهَذَا الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ الْعَجِيبِ، هُوَ عَدَمُ التَّعَمُّقِ فِي أَخْذِ الْمَغَازِي السَّامِيَةِ، وَالْمَرَامِي الْبَعِيدَةِ الْمَدَى، الَّتِي يُرِيدُ الْإِسْلَامُ أَنْ يَلْفِتَ إِلَيْهَا أَنْظَارَهُمْ، لِأَنَّ دِرَاسَةَ الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ مِنْ غَيْرِ اتِّعَاظٍ وَاعْتِبَارٍ قَدْ وَقَعَ التَّحْذِيرُ مِنْهَا وَهِيَ الْمُرَادُ مِنَ الْقَوْمِ الْمَضْرُوبِ بِهِمُ الْمَثَلُ فِي الْقُرْآنِ، يَمْرُقُ مِنْ صُدُورِهِمْ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ[1]. وَفِي الْحَدِيثِ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ ﷺ: ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ شَافِعٌ مُشَفَّعٌ،

(1) أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ أَنَّ سَهْلَ بْنَ حُنَيْفٍ سُئِلَ: هَلْ سَمِعْتَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّـهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَذْكُرُ الْخَوَارِجَ؟ فَقَالَ: سَمِعْتُهُ وَأَشَارَ بِيَدِهِ نَحْوَ الْمَشْرِقِ: (قَوْمٌ يَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ بِأَلْسِنَتِهِمْ لَا يَعْدُو تَرَاقِيَهُمْ يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ).

وَمَاحِلٌ مُصَدَّقٌ ﴾[1] أَيْ إِنَّهُ يَكُونُ شَاهِدًا عَلَى صَاحِبِهِ إِذَا لَمْ يَتَّبِعْ مَا فِيهِ وَلَمْ يَعْتَبِرْ لِمَوَاعِظِهِ، وَلَمْ تُؤَثِّرْ فِيهِ زَوَاجِرُهُ، أَيْ إِنَّ الْقُرآنَ يَسْعَى بِهِ إِلَى اللّٰـهِ تَعَالَى، وَأَصْلُهُ مِنَ الْمِحْلِ: بِمَعْنَى الْكَيْدِ، يُقَالُ مَحَلَ بِهِ إِلَى السُّلْطَانِ إِذَا سَعَى بِهِ إِلَيْهِ فَهُوَ مَاحِلٌ،

وَالْمَعْنَى: إِنَّهُ إِذَا لَمْ يَعْمَلْ بِهِ يَكُونُ لَهُ خَصْمًا مُجَادِلًا عِنْدَ اللّٰـهِ، وَيَكُونُ مُصَدَّقاً عَلَيْهِ؛ لِذَلِكَ كَانَ الاِعْتِنَاءُ بِالاِتِّعَاظِ وَالاِعْتِبَارِ مِنَ الدِّينِ أَهَمَّ شَيْءٍ يَجِبُ عَلَى الْمُبَاشِرِينَ لِتَعْلِيمِ النَّاشِئَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ أَنْ يَبْذُلُوا فِيهِ قُصَارَى جُهْدِهِمْ.

* إِنَّ الدِّينَ الْإِسْلَامِيَّ دِينُ عَزِيمَةٍ وَقُوَّةٍ وَصَلَابَةٍ فِي الْحَقِّ، دِينٌ بَعَثَ فِي نُفُوسِ أَصْحَابِهِ الْعِزَّةَ وَالْكَرَامَةَ، دِينٌ يَفْرِضُ عَلَى مُتَبِعِيهِ الْحُكْمَ بِالْعَدْلِ وَالْبُعْدَ عَنِ الظُّلْمِ، دِينٌ يُكَوِّنُ النَّاسَ تَكْوِيناً رَفِيعًا سَامِياً، وَيَحْفَظُ السَّعَادَةَ وَالسِّيَادَةَ، وَيَضْمَنُ لَهُمُ الْحُسْنَى وَزِيَادَةً. لَكِنْ كُلُّ ذَلِكَ بِشَرْطِ أَنْ يَهْتَمُّوا بِأَغْرَاضِهِ عَنْ أَعْرَاضِهِ، وَأَنْ يَغُوصُوا عَلَى جَوَاهِرِهِ لَا أَنْ يَقْنَعُوا بِظَوَاهِرِهِ.

وَمَا بَلَغَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى هَذَا الدَّرْكِ الذِي انْتَهَوْا إِلَيْهِ مِنْ تَضَعْضُعِ الدَّوْلَةِ، وَاضْمِحْلَالِ الصَّوْلَةِ، وَتَفْكِيكِ الْعُرَى، وَانْثِلَامِ الْعُقَدِ، وَاسْتِصْغَارِ الْأُمَمِ، وَتَكَالُبِهَا عَلَى افْتِرَاسِهِمْ، إِلَّا بِسَبَبِ ضَعْفِ الدِّينِ مِنَ النَّاحِيَةِ الْعَمَلِيَّةِ فِي نُفُوسِهِمْ،

وَكَيْفَ يُمْكِنُ لِقَوْمٍ يَنْتَهِكُونَ الْحُرُمَاتِ، وَيَسْتَبِيحُونَ الْمُحَرَّمَاتِ، وَيَتَسَابَقُونَ لِارْتِكَابِ الْمُوبِقَاتِ، أَنْ يَطْمَعُوا فِي السِّيَادَةِ وَالِاسْتِخْلَافِ فِي الْأَرْضِ، مَعَ أَنَّ الْوَعْدَ بِذَلِكَ لَمْ يَكُنْ إِلَّا لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ.

وَلْنَضْرِبِ الْمَثَلَ لِتَوْضِيحِ مَا نُرِيدُ بِالتَّوَكُّلِ عَلَى اللّٰـهِ جَلَّ جَلَالُهُ:

* إِنَّ أَعْظَمَ قُوَّةٍ كَوَّنَهَا الْإِسْلَامُ فِي نُفُوسِ الْمُسْلِمِينَ هِيَ صَرْفُهُمْ إِلَى التَّوَكُّلِ عَلَى اللهِ، وَالتَّوَكُّلُ عَلَى اللّٰـهِ قُوَّةٌ عَجِيبَةٌ، لَا يُمْكِنُ لِلْعَالَمِ أَنْ يَسْتَقِيمَ بِدُونِهَا؛

فَالْحَاكِمُ لَا يُمْكِنُ لَهُ أَنْ يَعْدِلَ إِلَّا إِذَا تَوَفَّرَتْ فِيهِ، وَالْعَالِمُ لَا يَتَهَيَّأُ لَهُ أَنْ يَقُومَ بِوَاجِبِهِ إِلَّا إِذَا صَارَتْ مَلَكَةً عِنْدَهُ، وَهَكَذَا كُلُّ أَصْحَابِ الْمَسْؤُولِيَّاتِ الذِينَ

---

(1) حَدِيثُ: اَلْقُرآنُ شَافِعٌ مُشَفَّعٌ وَمَاحِلٌ مُصَدَّقٌ، فَمَنْ جَعَلَهُ إِمَامَهُ قَادَهُ إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَنْ جَعَلَهُ خَلْفَ ظَهْرِهِ قَادَهُ إِلَى النَّارِ أَخْرَجَهُ الطَّبَرَانِيُّ وَأَبُو نُعَيْمٍ فِي الْحِلْيَةِ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ. وَابْنُ حِبَّانَ وَالْبَيْهَقِيُّ فِي شُعَبِ الْإِيمَانِ وَالضِّيَاءُ عَنْ جَابِرٍ.

لَهُمُ اتِّصَالٌ بِالْهَيْئَةِ الِاجْتِمَاعِيَّةِ، لِأَنَّ الْقِيَامَ بِالْوَاجِبِ عَلَى مَا يُرْضِي اللَّـهَ وَيَتَمَشَّى مَعَ الْإِنْصَافِ، مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَجْلِبَ الْمُقَاوَمَاتِ وَالْمُنَازَعَاتِ وَالْمُنَافَسَاتِ.

فَإِذَا كَانَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفَ التَّوَكُّلِ عَلَى اللهِ، قَامَتْ لَدَيْهِ الْمَوَانِعُ مِنْ إِجْرَاءِ الْعَدْلِ أَوِ الصَّدْعِ بِكَلِمَةِ الْحَقِّ، مَخَافَةَ أَنْ يَنَالَهُ أَذىً فِي الدُّنْيَا، أَوْ يُصَابَ بِمَكْرُوهٍ، وَتَبْسُطُ لَهُ نَفْسُهُ الْخَبِيثَةُ أَعْذَارًا مُخْتَلِفَةً لِلْبُعْدِ عَنْ جَادَّةِ الصَّوَابِ: مِنْ مُرَاعَاةِ الظُّرُوفِ، وَمُدَارَاةِ الْأَحْوَالِ، وَعَدَمِ الْإِلْقَاءِ بِالنَّفْسِ إِلَى الْمَهَالِكِ، فَيَنْقَلِبُ عَلَيْهِ الْأَمْرُ، وَيَشْتَبِهُ عَلَيْهِ الْحَالُ، وَيَرْتَكِبُ الْمَظَالِمَ مُتَعَلِّلاً بِالِاحْتِيَاطِ، وَاسْتِعْمَالِ نُونِ الْوِقَايَةِ، فَيَقَعُ فِي الْغَوَايَةِ، وَعِنْدَ ذَلِكَ يَخْتَلُّ التَّوَازُنُ، وَيَرْتَفِعُ الْعَدْلُ، وَتَنْتَشِرُ الْمَظَالِمُ وَالْمَفَاسِدُ بَيْنَ النَّاسِ؛

فَأَمَّا إِذَا تَوَكَّلَ الْإِنْسَانُ عَلَى اللَّـهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ، وَصَارَ يَعْتَقِدُ اعْتِقَاداً عَمَلِيًّا رَاسِخًا أَنَّهُ لَا يُمْكِنُ لَهُ أَنْ يُصَابَ بِشَيْءٍ لَمْ يُقَدَّرْ لَهُ، وَمَلأَ قَلْبَهُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا ﴾ (التوبة:٥١) وَجَعَلَ نُصْبَ عَيْنَيْهِ قَوْلَهُ ﷺ: ﴿وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ، لَنْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّـهُ لَكَ؛ وَإِنِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ، لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّـهُ عَلَيْكَ..﴾[1] فَإِنَّهُ يَعِيشُ مُسْتَرِيحاً هَادِئًا مُطْمَئِنًّا، يَعْدِلُ وَلَا يَخَافُ صَوْلَةَ أَحَدٍ، وَيَقُولُ الْحَقَّ وَلَا يُبَالِي بِشَيْءٍ، لِأَنَّهُ إِنْ كَانَ مُقَدَّرًا لَهُ أَنْ يُصَابَ بِسُوءٍ، فَإِنَّهُ لَا يَنْجُو مِنْهُ بِالْمُدَارَاةِ وَالنِّفَاقِ وَالْعُدُولِ عَنِ الْحَقِّ، وَإِنْ كَانَ لَمْ يُقَدَّرْ لَهُ، فَإِنَّهُ لَا يُصَابُ بِمَكْرُوهٍ وَلَا يَلْحَقُهُ أَذىً، مَهْمَا تَمَتَّعَ بِإِجْرَاءِ الْعَدْلِ وَالْإِصْدَاعِ بِالْحَقِّ، وَتَاهَ بِهِمَا اعْتِزَازاً وَافْتِخَاراً.

وَإِنَّ مِنْ أَجَلِّ نِعَمِ اللَّـهِ عَلَى عَبْدِهِ، أَنْ يَرْزُقَهُ الِاطْمِئْنَانَ النَّاشِىءَ عَنْ: صِدْقِ التَّوَكُّلِ، وَقُوَّةِ الدِّينِ، وَصِحَّةِ الْيَقِينِ؛

* أَلَا تَرَى ـ حَفِظَكَ اللَّـهُ ـ إِلَى سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ ـ عَلَى فَضْلِهِ وَوَرَعِهِ ﵁ ـ كَيْفَ حَدَّثَ عَنْ نَفْسِهِ فَقَالَ: مَرَّ بِي صِلَةُ بْنُ أَشْيَمَ فَنَهَضْتُ إِلَيْهِ وَقُلْتُ لَهُ: يَا أَبَا

---

(١) مِنْ حَدِيثٍ أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ، وَالتِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: حَسَنٌ صَحِيحٌ، وَالْحَاكِمُ، وَابْنُ السُّنِّيِّ، وَالضِّيَاءُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ.

الصَّهْبَاءِ، أُدْعُ لِي، فَقَالَ: (رَغَّبَكَ اللَّهُ فِيمَا يَبْقَى، وَزَهَّدَكَ فِيمَا يَفْنَى، وَوَهَبَ لَكَ الْيَقِينَ الذِي تَسْكُنُ النَّفْسُ إِلَيْهِ، وَيُعَوَّلُ فِي الْمُهِمَّاتِ عَلَيْهِ).

* وَقَالَ بَعْضُ الْفُضَلَاءِ مُتَوَرِّكاً مُسْتَهْزِئاً بِمَنْ يَكُونُ ضَعِيفَ التَّوَكُّلِ عَلَى اللهِ:

وَيَصُونُ ثَوْبَيْهِ وَيَتْـ ـرُكُ غَيْرَ ذَاكَ فَلَا يَصُونُهْ
وَأَحَقُّ مَا صَانَ الْفَتَى وَرَعَى: أَمَانَتَهُ وَدِينَهْ

فَإِذَا نَسَجَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى هَذَا الْمِنْوَالِ فِي تَعَلُّمِ الدِّينِ وَفَهْمِهِ، وَكَانَ هَدَفُهُمُ الْوُصُولَ إِلَى جَعْلِ الْعَمَلِ بِالدِّينِ مَلَكَةً رَاسِخَةً فِي نُفُوسِهِمْ، لَا يَحِيدُونَ عَنْهَا أَبَدًا، وَرَبَّوْا نَاشِئَتَهُمْ عَلَى هَذَا الْمَنْهَجِ الرَّفِيعِ، فَلْيَتَهَيَّئُوا عِنْدَ ذَلِكَ: لِبُلُوغِ الْآمَالِ، وَنَجَاحِ الْأَعْمَالِ؛ وَإِنْ كَانَتِ الْأُخْرَى فَسَتَبْقَى دَارُ لُقْمَانَ عَلَى حَالِهَا، إِنْ لَمْ يُفْضِ مُرُورُ الزَّمَانِ إِلَى إِمْحَالِهَا.

* مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَانَ الاِعْتِنَاءُ بِأَخْذِ الْعِبْرَةِ مِنَ الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ، هُوَ الْمُوصِلَ إِلَى تَحْقِيقِ الْقَصْدِ مِنْ تَعَلُّمِ الدِّينِ: وَهُوَ تَقْوِيَةُ النَّاحِيَةِ الْعَمَلِيَّةِ فِي نُفُوسِ الْمُسْلِمِينَ، وَهَذَا مَا يَجْعَلُ لِكِتَابِ صَاحِبِنَا الشَّيْخِ **مُحَمَّدٍ الْجِيْلَانِيِّ** مَزِيَّةً، يَحِقُّ لَهُ أَنْ يَفْتَخِرَ بِهَا، لِأَنَّهُ قَدْ تَوَفَّقَ إِلَى السَّيْرِ فِي سَبِيلِ تَحْقِيقِ هَذَا الْغَرَضِ الشَّرِيفِ.

* عَلَى أَنَّهُ بِإِخْرَاجِهِ لَنَا هَذَا التَّأْلِيفَ مِنَ الْمَهْدِيَّةِ قَدْ أَعَادَ لَنَا ذِكْرَى هَذِهِ الْمَدِينَةِ التَّارِيخِيَّةِ، الَّتِي كَانَتْ عَاصِمَةَ دَوْلَةٍ وَعِلْمٍ؛ فَتَوَالَتْ عَلَيْهَا: حَوَادِثُ الزَّمَانِ، وَطَوَارِقُ الْحَدَثَانِ، حَتَّى رَكَدَتْ فِيهَا الْحَرَكَةُ الْعِلْمِيَّةُ وَالْفِكْرِيَّةُ، ثُمَّ أَخَذَتْ تَسْتَعِيدُ مَجْدَهَا فِي هَذَا الْقَرْنِ الرَّابِعَ عَشَرَ، بِفَضْلِ كَثْرَةِ مَنْ تَخَرَّجَ مِنْهَا، مِنْ نُبَغَاءِ الطُّلَّابِ وَالْمُثَقَّفِينَ، فِي مُخْتَلَفِ الْفُنُونِ وَالْعُلُومِ، مِمَّا أَلْفَتَ إِلَيْهَا الْأَنْظَارَ، وَأَوْجَبَ لِبَنِيهَا الْإِجْلَالَ وَالْإِكْبَارَ، وَهَذَا التَّأْلِيفُ الذِي نَحْنُ بِصَدَدِ تَقْدِيمِهِ شَاهِدٌ عَلَى ذَلِكَ.

وَيَا لَيْتَ أَبَا الْحَسَنِ عَلِيَّ بْنَ مُحَمَّدِ بْنِ ثَابِتٍ الْخَوْلَانِيَّ الْمَعْرُوفَ بِالْحَدَّادِ ـ (مِنْ أُدَبَاءِ الْمَهْدِيَّةِ فِي الْقَرْنِ السَّادِسِ تَقْرِيباً) الذِي قَالَ فِي مَعْرِضِ الاِنْتِقَادِ عَلَى مَا وَصَلَتْ إِلَيْهِ الْمَهْدِيَّةُ فِي عَصْرِهِ مِنْ ضَعْفِ قِيمَةِ الْعِلْمِ وَالْعُلَمَاءِ:

قَالَتْ وَأَبْدَتْ صَفْحَةً كَالشَّمْسِ مِنْ تَحْتِ الْقِنَاعْ
بِعْتَ الدَّفَاتِرَ؟ وَهْيَ آ خِرُ مَا يُبَاعُ مِنَ الْمَتَاعْ

فَأَجَبْتُهَا وَيَدِي عَلَى كَبِدِي وَهِمْتُ بِانْصِدَاعْ
لَا تَعْجَبِي فِيمَا رَأَيْتِ فَنَحْنُ فِي زَمَنِ الضَّيَاعْ

كَانَ حَيًّا فَيُشَاهِدَ كَيْفَ اسْتَعَادَتِ الْمَهْدِيَّةُ عِزَّهَا وَنَشَاطَهَا الْعِلْمِيَّ، وَكَيْفَ أَخَذَ أَبْنَاؤُهَا يُحْيُونَ مَا انْدَرَسَ مِنْ مَعَالِمِ مَجْدِهَا الأَثِيلِ، وَيَحْكُمَ عِنْدَ ذَلِكَ بِـ:

أَنَّ زَمَانَنَا هَذَا زَمَانٌ يَضَوَّعُ فِيهِ الْعِلْمُ وَلَا يُضَاعُ، وَأَنَّ الْمَكَارِمَ فِي سُوقِهِ تُشْتَرَى وَلَا تُبَاعُ.

وَهَكَذَا كَانَ الْعِلْمُ وَلَا يَزَالُ عَلَى اخْتِلَافِ الْعُصُورِ هُوَ الْمِيزَانَ الذِي يُحْكَمُ بِهِ عَلَى قِيمَةِ الأُمَمِ، وَفِي سَبِيلِ خِدْمَتِهِ وَنَشْرِهِ تَتَوَفَّرُ الْعَزَائِمُ، وَتَتَبَارَى الْهِمَمُ.

تُونِسُ: يَوْمَ الأَحَدِ فِي 5 مُحَرَّمِ الْحَرَامِ سَنَةَ: 1368، وَفِي: 7 نُوفَمْبَرَ 1948.

* مُحَمَّدُ الْمُخْتَارُ ابْنُ مَحْمُودٍ.



﴿كَلِمَةُ الْأُسْتَاذِ الشَّيْخِ: مُحَمَّدٍ الشَّاذِلِيِّ النَّيْفَرِ﴾

تَجْتَازُ نَابِتَتُنَا[1] الْيَوْمَ أَدَقَّ الْعُصُورِ، وَهُوَ عَصْرٌ اضْطَرَبَتْ فِيهِ أَحْوَالُ الْعَالَمِ:

فَمِنْ دَعْوَةٍ إِلَى: نَبْذِ كُلِّ عَقِيدَةٍ، وَالتَّحَلُّلِ مِنْ كُلِّ نِظَامٍ اجْتِمَاعِيٍّ، أَسَاسُهُ التَّقْوَى وَالطَّهَارَةُ؛

وَمِنْ دَعْوَةٍ إِلَى إِفْهَامِ الْعُقُولِ أَنَّ كُلَّ مَا يَتَخَبَّطُ فِيهِ الْعَالَمُ، أَسَاسُهُ التَّحَلُّلُ وَالْإِبَاحِيَّةُ؛

وَلَا مِرْيَةَ أَنَّ أَنْصَارَ الدَّعْوَةِ الْأُولَى قَدْ لَجُّوا فِي الدَّعَاوَةِ وَبَهْرَجُوا نِحْلَتَهُمْ، وَفَوْقَ ذَلِكَ هِيَ مَحْفُوفَةٌ بِالشَّهَوَاتِ؛ فَكُلُّ مَنْ بَنَى لَبِنَةً فِي إِرْشَادِ الْعُقُولِ، وَإِنَارَةِ السَّبِيلِ، قَدَّمَ إِلَى النَّابِتَةِ: الدَّوَاءَ الشَّافِيَ، فِي سَاعَةِ نَوْبَةِ الْمَرَضِ، وَأَزَاحَ عِلَّةً مِنَ الْعِلَلِ الَّتِي تَأْكُلُ الْعُقُولَ، وَتَقْضِي عَلَى الضَّمَائِرِ.

وَقَدِ انْصَرَفَ إِلَى هَذِهِ النَّاحِيَةِ - نَاحِيَةِ الْهِدَايَةِ - أَخُونَا الْأَمْجَدُ، الْعَلَّامَةُ الْوَاعِظُ الْمُصْلِحُ الْمُرْشِدُ، الشَّيْخُ سَيِّدِي: **مُحَمَّدٌ الْجِيلَانِيُّ حَمْزَةُ**، الَّذِي لَا يَأْلُو جُهْداً فِي تَقْوِيمِ الْأَوَدِ، سَوَاءٌ بِدُرُوسِهِ أَوْ خُطَبِهِ، وَقَدْ أَضَافَ إِلَى ذَلِكَ تَأْلِيفَ هَذَا السِّفْرِ الْقَيِّمِ، الَّذِي هُوَ هِدَايَةٌ، وَالْهُدَى هُوَ خَيْرُ مَا يُمْتَدَحُ بِهِ.

أَلَّفَهُ - جَازَاهُ اللَّهُ خَيْراً - فِي أُسْلُوبٍ عَصْرِيٍّ، وَلُغَةٍ مَتِينَةٍ، وَتَنْظِيمٍ جَذَّابٍ، مِمَّا يَجْعَلُ عُقُولَ النَّاشِئَةِ تَسْتَسِيغُهُ هَنِيئًا مَرِيئًا، وَلَا يَسَعُ كُلَّ مَنْ وَقَفَ عَلَيْهِ إِلَّا أَنْ يُعْرِبَ: مُفْصِحاً عَنْ شُكْرِ مُؤَلِّفِهِ، وَمُكْبِراً سَعْيَهُ التَّهْذِيبِيَّ، وَاللَّهُ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ.

* كَتَبَهُ: **مُحَمَّدٌ الشَّاذِلِيُّ النَّيْفَرُ**. فِي: 20 ذِي الْحِجَّةِ سَنَةَ: 1367هـ.

---

(1) النَّابِتُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ: الطَّرِيُّ حِينَ يَنْبُتُ صَغِيرًا، وَمَا أَحْسَنَ نَابِتَةَ بَنِي فُلَانٍ أَيْ مَا يَنْبُتُ عَلَيْهِ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ. وَنَبَتَتْ لَهُمْ نَابِتَةٌ إِذَا نَشَأَ لَهُمْ نَشْءٌ صِغَارٌ. وَالنَّوَابِتُ مِنَ الْأَحْدَاثِ: الْأَغْمَارُ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اَلْمُقَدِّمَةُ

اَلْحَمْدُ لِلَّهِ الذِي فَضَّلَ الْإِنْسَانَ وَمَيَّزَهُ بِالْعَقْلِ لِيُدْرِكَ بِهِ مَا يَضُرُّ وَيَنْفَعُ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الذِي اصْطَفَاهُ رَبُّهُ لِهِدَايَةِ الْخَلْقِ وَخَصَّهُ بِالْعِزِّ الرَّفِيعِ وَالشَّرَفِ الْأَرْفَعِ. صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الْمَهْدِيِّينَ.

وَبَعْدُ فَقَدْ حَدَا بِي إِلَى وَضْعِ هَذَا الْكِتَابِ مَا شَاهَدْتُهُ مِنَ النَّقْصِ فِي أَخْلَاقِ أَبْنَائِنَا، وَمَعْلُومٌ أَنَّ أَبْنَاءَنَا هُمْ رِجَالُ الْمُسْتَقْبَلِ، وَأَنَّ الْأُمَّةَ تَبْنِي صَرْحَ آمَالِهَا عَلَيْهِمْ، فَكُلَّمَا كَانَ شَبَابُ الْأُمَّةِ قَائِمِينَ بِالْوَاجِبِ نَحْوَهَا: نَشِطَتْ مِنْ عِقَالِهَا، وَصَلَحَ فِيهَا كُلُّ شَيْءٍ، وَمَتَى انْحَرَفُوا وَتَهَاوَنُوا بِوَاجِبَاتِهِمْ، انْهَارَ بِنَاءُ الْأُمَّةِ، وَحَصَلَ لَهَا الْفَنَاءُ الْمَاحِقُ، الذِي لَيْسَ مِنْهُ مَفَرٌّ، وَرَحِمَ اللَّهُ شَوْقِي فَهُوَ يَقُولُ:

وَإِذَا أُصِيبَ الْقَوْمُ فِي أَخْلَاقِهِمْ فَأَقِمْ عَلَيْهِمْ مَأْتَمًا وَعَوِيلَا

وَلَعَلَّ فِي تِلَاوَةِ هَذَا الْكِتَابِ، وَتَفَهُّمِ مَوَاضِعِهِ الْأَخْلَاقِيَّةِ، تَدَارُكاً لِبَعْضِ الشَّرِّ؛ وَقَدْ سَلَكْتُ فِيهِ طَرِيقَ السُّهُولَةِ فِي الْأُسْلُوبِ، وَقَسَّمْتُهُ إِلَى قِسْمَيْنِ:

- اَلْقِسْمُ الْأَوَّلُ: وَيَشْتَمِلُ عَلَى تَفْسِيرِ الْجُزْءِ الْأَخِيرِ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَبَيَانِ مَعَانِيهِ؛
- وَالْقِسْمُ الثَّانِي: يَشْتَمِلُ عَلَى تَفْسِيرِ أَحَادِيثَ نَبَوِيَّةٍ.

1) فَفِي الْقِسْمِ الْأَوَّلِ: اتَّبَعْتُ كُلَّ سُورَةٍ مِنَ الْجُزْءِ الْأَخِيرِ، وَفَسَّرْتُهَا بِاسْتِخْلَاصِ الْعِبْرَةِ مِنْهَا، لِتَكُونَ أَقْرَبَ إِلَى الْفَهْمِ.

2) وَفِي الثَّانِي: جَمِيعُ الْأَحَادِيثِ التِي انْتَقَيْتُهَا تَدْعُو إِلَى الْفَضَائِلِ، وَتَنْهَى عَنِ الرَّذَائِلِ؛ يَسْتَضِيءُ الشُّبَّانُ بِنُورِهَا فِي جَمِيعِ أَطْوَارِ حَيَاتِهِمْ.

وَإِنَّا لَنَرْجُو أَنْ نَكُونَ قَدْ وُفِّقْنَا إِلَى مَا نَقْصِدُ مِنْ خِدْمَةِ أَبْنَائِنَا وَوَطَنِنَا، الذِي أَصْبَحَ مِنْ أَشْهَرِ الْبُلْدَانِ بِمَسِيسِ الْحَاجَةِ إِلَى تَقْوِيمِ أَخْلَاقِ الشُّبَّانِ، الذِينَ هُمْ عُدَّةُ الْمُسْتَقْبَلِ.

فَعَسَى أَنْ يُصَادِفَ هَذَا الْكِتَابُ قَبُولاً عِنْدَ أُمَّتِنَا، حَتَّى نَنْشَطَ إِلَى مُوَاصَلَةِ الدَّأْبِ فِي هَذِهِ الخِطَّةِ، وَإِنْ أَوْرَثَتْنَا نَصَباً وَتَعَباً.

وَرَجَاؤُنَا فِي مَكَارِمِ أَخْلَاقِ الْمُثَقَّفِينَ، أَنْ يَتَفَضَّلُوا عَلَيْنَا بِمَا يَرَاهُ نَظَرُهُمُ الصَّادِقُ حَتَّى نَسْتَدْرِكَهُ؛

ـ وَسَمَّيْتُهُ: "اَلسَّعَادَةَ الأَبَدِيَّةَ".

وَاللَّهُ الْمَسْؤُولُ أَنْ يَنْفَعَ قَارِئِيهِ بِهِ، وَيُحَقِّقَ مَا قَصَدْتُهُ، وَيُوَفِّقَنَا إِلَى الْفَلَاحِ، وَلَا يُؤَاخِذَنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا، إِنَّهُ سَمِيعُ الدُّعَاءِ.

* مُحَمَّدُ الجِيلَانِيُّ بْنُ أَحْمَدَ حَمْزَةُ.



﴿تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ﴾

﴿سُورَةُ النَّبَأِ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ۝١ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ ۝٢ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ۝٣ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٤ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٥﴾

﴿تَفْسِيرُ الْمُفْرَدَاتِ﴾

النَّبَأُ: اَلْخَبَرُ الْهَائِلُ.

كَلَّا: كَلِمَةُ رَدْعٍ وَزَجْرٍ.

﴿اَلْبَيَانُ﴾

* سَبَبُ هَذَا التَّسَاؤُلِ: أَنَّ اللَّـهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لَمَّا بَعَثَ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا ﷺ وَأَمَرَهُ أَنْ يَدْعُوَ النَّاسَ إِلَى تَوْحِيدِهِ، وَيُحَذِّرَهُمْ مِنْ بَطْشِهِ وَعِقَابِهِ، أَخَذَ نَفَرٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ يَسْأَلُ بَعْضُهُمْ بَعْضاً: عَنْ بِعْثَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَعَنِ الْقُرْآنِ الَّذِي جَاءَ بِهِ، وَمَا أَخْبَرَ مِنْ: أَنْبَاءِ الْغَيْبِ، وَحَشْرِ الْأَجْسَادِ، وَرُجُوعِ الْأَمْوَاتِ إِلَى الْحَيَاةِ الْأُخْرَى؛ فَكَانُوا يَقُولُونَ فِي شَأْنِ الْقُرْآنِ: أَسِحْرٌ هُوَ؟ أَمْ شِعْرٌ؟ أَمْ إِفْكٌ افْتَرَاهُ؟ وَيَتَحَدَّثُونَ فِي شَأْنِ الْبَعْثِ، مِنْ أَنَّهُمْ إِذَا مَاتُوا انْقَطَعَ شَأْنُهُمْ، كَمَا حَدَّثَ عَنْهُمُ الْقُرْآنُ: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ (الجاثية: ٢٤) إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَسْئِلَةِ الْمُخْتَلِفَةِ الْمُؤْتَفِكَةِ، فَرَدَّ اللَّـهُ عَلَيْهِمْ هَذِهِ الْمَزَاعِمَ الْبَاطِلَةَ بِقَوْلِهِ: ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ يَعْنِي سَنَكْشِفُ لَهُمُ الْحَقِيقَةَ، وَسَيَرَوْنَ بِأَعْيُنِهِمْ صِحَّةَ مَا أَخْبَرَ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ، فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الَّذِي تَعْلُو فِيهِ كَلِمَتُهُ، وَتَظْهَرُ أُمَّتُهُ.

ثُمَّ بَعْدَ هَذَا التَّهْدِيدِ أَخَذَ سُبْحَانَهُ يُقِيمُ الْأَدِلَّةَ الَّتِي غَفَلَ عَنْهَا هَؤُلَاءِ الْمُنْكِرُونَ فَقَالَ:

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ۝ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ۝ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ۝ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۝ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ۝ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ۝ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ۝ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ۝ وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ۝ لِّنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ۝ وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ۝﴾

﴿تَفْسِيرُ الْمُفْرَدَاتِ﴾

اَلْمِهَادُ: اَلْفِرَاشُ الذِي يَنَامُ عَلَيْهِ النَّاسُ.

اَلْأَوْتَادُ: قِطْعَةٌ مِنَ الْخَشَبِ تُسَمَّى الْمَوْثِقَ، يُرْبَطُ فِيهِ حَبْلٌ لِشَدِّ الْخَيْمَةِ.

اَلْأَزْوَاجُ: اَلذَّكَرُ وَالْأُنْثَى.

اَلسُّبَاتُ: السُّكُونُ وَالرَّاحَةُ.

اللِّبَاسُ: مَا يَسْتُرُ الْجِسْمَ وَيَحْفَظُهُ مِنَ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ.

اَلْمَعَاشُ: طَلَبُ الْقُوتِ.

السِّرَاجُ: كُلُّ مُضِيءٍ.

اَلْوَهَّاجُ: ضَوْءُ النَّارِ وَحَرَارَتُهَا.

اَلْمُعْصِرَاتُ: السُّحُبُ التِي تَحْمِلُ الْمَطَرَ.

اَلثَّجَّاجُ: الصَّبُّ الْكَثِيرُ.

اَلْحَبُّ: قُوتُ النَّاسِ، كَـ: الْحِنْطَةِ وَالشَّعِيرِ.

اَلنَّبَاتُ: كُلُّ مَا يَرْعَاهُ الْحَيَوَانُ مِنَ الْحَشِيشِ.

اَلْجَنَّاتُ: اَلْبَسَاتِينُ.

اَلْأَلْفَافُ: وَاحِدُهَا لَفٌّ، مَا الْتَفَّ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ.

﴿اَلْبَيَانُ﴾

ذَكَرَ اللَّهُ جَلَّتْ قُدْرَتُهُ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ تِسْعَةَ أَشْيَاءَ مِنْ مَظَاهِرِ الْقُدْرَةِ، يَتَمَتَّعُ بِهَا الْإِنْسَانُ:

اَلْأُولَى: تَمْهِيدُ الْأَرْضِ وَجَعْلُهَا صَالِحَةً لِلسُّكْنَى.

اَلثَّانِيَةُ: حِفْظُهَا بِالْجِبَالِ.

اَلثَّالِثَةُ: جَعَلَ مِنَ النَّوْعِ الْإِنْسَانِيِّ: ذَكَراً وَأُنْثَى.

اَلرَّابِعَةُ: جَعَلَ النَّوْمَ رَاحَةً لِلْبَدَنِ مِنْ عَنَاءِ الْأَعْمَالِ.

اَلْخَامِسَةُ: جَعَلَ اللَّيْلَ سَاتِرًا لِلْخَلْقِ، وَلَهُمْ فِي هَذَا السَّتْرِ مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ، فَفِيهِ: يَسْتَطِيعُ الْفَارُّ مِنْ وَجْهِ عَدُوِّهِ أَنْ يَهْرُبَ.

اَلسَّادِسَةُ: جَعَلَ النَّهَارَ طَلَباً لِلْعَيْشِ، فَفِيهِ: الزَّارِعُ يَزْرَعُ زِرَاعَتَهُ، وَالصَّانِعُ يُتْقِنُ صِنَاعَتَهُ، وَالتَّاجِرُ يُرَوِّجُ بِضَاعَتَهُ، وَالْمُوَظَّفُ يُؤَدِّي أَمَانَتَهُ؛ فَمَنْ يُطِيلُ سَهَرَهُ فِي دُكَّانِهِ طَلَبًا لِلرِّزْقِ فَقَدْ أَخْطَأَ، لِأَنَّ الْوَقْتَ الطَّبِيعِيَّ لِطَلَبِهِ هُوَ النَّهَارُ.

اَلسَّابِعَةُ: اِرْتِفَاعُ السَّمَاوَاتِ فَوْقَنَا، مِمَّا يَدُلُّ عَلَى عَظَمَةِ الصَّانِعِ.

اَلثَّامِنَةُ: وُجُودُ الشَّمْسِ الْمُنِيرَةِ.

اَلتَّاسِعَةُ: وَهِيَ خَاتِمَةُ النِّعَمِ، تِلْكَ السُّحُبُ الَّتِي مِنْهَا يَنْزِلُ الْمَطَرُ عَلَى حَسَبِ حَاجَةِ النَّاسِ، فَتَخْرُجُ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ كَـ:الْحَشِيشِ وَالْأَعْشَابِ، وَتَتَكَوَّنُ مِنْهَا الْحَدَائِقُ وَالْبَسَاتِينُ؛

* وَلَا رَيْبَ أَنَّ فِي إِخْرَاجِ النَّبَاتِ مِنَ الْأَرْضِ عَلَى اخْتِلَافِ أَنْوَاعِهِ، دَلِيلاً سَاطِعاً عَلَى: إِحْيَاءِ الْمَوْتَى، وَنَشْرِهِمْ وَبَعْثِهِمْ، لِأَنَّ مَنْ قَدَرَ عَلَى خَلْقِ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ، لَا يُعْجِزُهُ خَلْقُ النَّاسِ تَارَةً أُخْرَى: لِمُكَافَأَةِ الْمُحْسِنِ عَلَى إِحْسَانِهِ، وَالْمُسِيءِ عَلَى سَيِّئَاتِهِ.

ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بَعْدَ مَا لَفَتَ أَنْظَارَنَا إِلَى آيَاتِهِ الْبَاهِرَةِ، أَخَذَ فِي بَيَانِ يَوْمِ الْفَصْلِ الَّذِي يَفْصِلُ فِيهِ بَيْنَ عِبَادِهِ فَقَالَ:

﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتاً ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجاً ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَاباً ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَاباً ﴿٢٠﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَاداً ﴿٢١﴾ لِلطَّاغِينَ مَآباً ﴿٢٢﴾ لَّابِثِينَ فِيهَا أَحْقَاباً ﴿٢٣﴾ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْداً وَلَا شَرَاباً ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيماً وَغَسَّاقاً ﴿٢٥﴾ جَزَاءً وِفَاقاً ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَاباً ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّاباً ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَاباً ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَاباً ﴿٣٠﴾﴾

﴿تَفْسِيرُ الْمُفْرَدَاتِ﴾

اَلْفَصْلُ: اَلْحُكْمُ.

اَلصُّورُ: مِنْفَاخٌ يُنْفَخُ فِيهِ فَيَكُونُ لَهُ صَوْتٌ.

اَلْأَفْوَاجُ: اَلْجَمَاعَةُ.

اَلسَّرَابُ: مَا يُرَى لَامِعاً فِي الْفَضَاءِ الْوَاسِعِ كَأَنَّهُ مَاءٌ وَهُوَ خَيَالٌ.

مِرْصَاداً: مَكَاناً لِلتَّرَصُّدِ وَالارْتِقَابِ.

اَلطَّاغِينَ: اَلْمُتَجَاوِزِينَ حُدُودَ اللَّهِ كَـ:اَلْكُفْرِ.

مَئَاباً: مَرْجِعاً يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ.

أَحْقَاباً: أَزْمَانٌ مُتَتَابِعَةٌ.

اَلْبَرْدُ: الرِّيحُ الْبَارِدَةُ.

اَلْحَمِيمُ: اَلْمَاءُ الْحَارُّ.

اَلْغَسَاقُ: اَلْقَيْحُ وَالصَّدِيدُ الذِي يَسِيلُ مِنْ أَجْسَادِ أَهْلِ النَّارِ.

﴿اَلْبَيَانُ﴾

فِي هَذِهِ الْآيَاتِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَنَا يَوْمَ الْفَصْلِ: وَهُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، الذِي يَأْمُرُ فِيهِ بِالنَّفْخِ فِي الصُّورِ، إِيذَانًا بِبَعْثِ الْأَجْسَادِ مِنْ مَرْقَدِهَا، فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ، وَالذِي: تَنْفَتِحُ فِيهِ السَّمَاءُ حَتَّى تَصِيرَ كُلُّهَا نَوَافِذَ، وَتُنْسَفُ فِيهَا الْجِبَالُ حَتَّى تَصِيرَ هَبَاءًا مَنْثُورًا، وَإِذْ ذَاكَ يَتَبَيَّنُ لِلْجَاحِدِينَ وَالْمُكَذِّبِينَ مَا أَعَدَّ لَهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ، فَقَدْ أَعَدَّ لَهُمْ نَاراً عَظِيمَةً، يَسْكُنُونَ فِيهَا مُدَّةً طَوِيلَةً غَيْرَ مَحْدُودَةٍ، لَا يَتَمَتَّعُونَ فِيهَا: بِهَوَاءٍ بَارِدٍ، وَلَا بِشَرَابٍ يُسَكِّنُ عَطَشَهُمْ وَيُرْوِي ظَمَأَهُمْ، بَلْ إِذَا مَا طَلَبُوا الشَّرَابَ، قَدَّمَ لَهُمُ الصَّدِيدَ الْمُنْسَكِبَ مِنْ أَجْسَادِهِمْ، وَالْقَيْحَ السَّائِلَ مِنْ أَبْدَانِهِمْ ذَا الرَّائِحَةِ الْكَرِيهَةِ، فَيَشْرَبُونَ مِنْهُ وَفْقَ أَعْمَالِهِمُ الشَّنِيعَةِ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا فِي الدُّنْيَا مُنْهَمِكِينَ فِي الْمَعَاصِي لَا يَرْجُونَ حِسَاباً وَلَا عِقَاباً وَلَا يَعْتَقِدُونَ بَعْثاً وَلَا جَنَّةً وَلَا نَاراً. وَاللَّهُ قَدْ عَلِمَ وَأَحَاطَ بِجَمِيعِ مَا فَعَلُوهُ، وَقَيَّدَهُ عَلَيْهِمْ فِي كِتَابٍ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا.

لِأَجْلِ ذَلِكَ: يَغْضَبُ اللَّـهُ عَلَى هَؤُلَاءِ الْكُفَّارِ غَضَباً شَدِيداً، حَتَّى إِنَّهُمْ إِذَا طَلَبُوا مِنْهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَلَيْهِمُ الْعَذَابَ، يُجَابُونَ بِالتَّوْبِيخِ وَالتَّقْرِيعِ، فَيَقُولُ لَهُمْ: ذُوقُوا جَزَاءَ طُغْيَانِكُمْ، فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا.

بَعْدَ أَنْ بَيَّنَ مَا أَعَدَّهُ لِلطَّاغِينَ مِنَ الْعَذَابِ الْأَلِيمِ، بَيَّنَ مَا أَعَدَّهُ لِلْمُتَّقِينَ مِنْ أَنْوَاعِ النَّعِيمِ فَقَالَ:

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازاً ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَـٰباً ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَاباً ﴿٣٣﴾ وَكَأْساً دِهَاقاً ﴿٣٤﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً وَلَا كِذَّٰباً ﴿٣٥﴾ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَاباً ﴿٣٦﴾﴾

﴿تَفْسِيرُ الْمُفْرَدَاتِ﴾

اَلْمَفَازُ: الظَّفَرُ بِالْمَطْلُوبِ.

اَلْحَدَائِقُ: اَلْبَسَاتِينُ.

اَلْأَعْنَابُ: اَلْفَاكِهَةُ الْمَعْرُوفَةُ.

اَلْكَوَاعِبُ: اَلْبَنَاتُ اللَّاتِي اسْتَدَارَ ثَدْيُهُنَّ.

اَلْأَتْرَابُ: اللَّاتِي مِنْ سِنٍّ وَاحِدَةٍ.

اَلْكَأْسُ: إِنَاءٌ مِنْ بِلَّوْرٍ يُشْرَبُ فِيهِ.

اَلدِّهَاقُ: الصَّافِيَةُ.

اللَّغْوُ: اَلْبَاطِلُ أَوْ مَا لَا يُعْتَدُّ بِهِ مِنَ الْكَلَامِ.

﴿اَلْبَيَانُ﴾

اَلْمُتَّقُونَ هُمْ: الذِينَ امْتَثَلُوا لِأَوَامِرِ رَبِّهِمْ، وَاجْتَنَبُوا نَوَاهِيَهُ، فَفَعَلُوا الطَّاعَاتِ، وَتَرَكُوا الْمُحَرَّمَاتِ، وَيُقِيمُونَ رُكْنَ الدِّينِ كَـ:الصَّلَاةِ، وَيُنْفِقُونَ مِنْ أَمْوَالِهِمْ مَا أَوْجَبَهُ اللَّـهُ عَلَيْهِمْ كَـ:الزَّكَاةِ، وَيَعْفُونَ عَنْ زَلَّاتِ غَيْرِهِمْ، وَلَا يُصِرُّونَ عَلَى ذُنُوبِهِمْ بَلْ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ، فَهَؤُلَاءِ كَتَبَ اللَّـهُ لَهُمُ الْفَوْزَ وَالْفَلَاحَ، وَأَعَدَّ لَهُمْ دَارَ كَرَامَتِهِ، يَجِدُونَ فِيهَا: اَلْحَدَائِقَ ذَاتَ الْأَشْجَارِ الْمُثْمِرَةِ كَـ:الْعِنَبِ وَالنَّخِيلِ وَالرُّمَّانِ؛

كَمَا يَتَمَتَّعُونَ فِيهَا بِـ: بَنَاتٍ لَا تَرَى فِيهِنَّ عَجُوزًا، كُلُّهُنَّ مِنْ تِرْبٍ وَاحِدٍ، وَاسْتِوَاءٍ وَاحِدٍ، وَتَنَاسُقٍ وَاحِدٍ،

وَكَمَا يَجِدُونَ بِجَانِبِ هَذَا النَّعِيمِ كُؤُوسًا مَمْلُوءَةً بِمَا لَذَّ وَطَابَ: مِنَ الْعَسَلِ الْمُصَفَّى، وَالشَّرَابِ الطَّهُورِ، لَا يَسْمَعُونَ عِنْدَ شُرْبِهِمْ شَيْئًا يَكْرَهُونَهُ مِنْ لَغْوِ الْكَلَامِ، جَزَاءً عَلَى مَا عَمِلُوا فِي حَيَاتِهِمْ مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ.

ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ بَعْدَ مَا بَيَّنَ مَا لِلْمُتَّقِينَ مِنْ نَعِيمٍ، شَرَعَ فِي بَيَانِ: سَعَةِ مُلْكِهِ، وَكَمَالِ قُدْرَتِهِ، وَأَنَّهُ صَاحِبُ السُّلْطَانِ الْمُطْلَقِ فِي كُلِّ أَوَامِرِهِ وَتَدْبِيرِهِ:

﴿رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾﴾

﴿تَفْسِيرُ الْمُفْرَدَاتِ﴾

اَلرُّوحُ: جِبْرِيلُ.

اَلْمَلَائِكَةُ: مَخْلُوقَاتُ اللَّهِ الَّتِي غَيَّبَهَا عَنَّا وَلَمْ يَجْعَلْ لَنَا الْقُدْرَةَ عَلَى رُؤْيَتِهَا.

﴿اَلْبَيَانُ﴾

مَالِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا مِنْ سُحُبٍ وَرِيَاحٍ هُوَ اللَّهُ تَعَالَى، لَا يَمْلِكُ إِنْسَانٌ مَعَهُ شَيْئًا، حَتَّى إِنَّ جِبْرِيلَ وَالْمَلَائِكَةَ مَعَ قُرْبِهِمْ مِنَ اللَّهِ وَعَظِيمِ مَنْزِلَتِهِمْ عِنْدَهُ، يَقِفُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ خَاشِعِينَ خَاضِعِينَ، لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَنْ يَشْفَعَ لِأَحَدٍ، أَوْ يُخَاطِبَ اللَّهَ: إِجْلَالًا لَهُ، وَخَوْفًا مِنْهُ، إِلَّا إِذَا أَذِنَ اللَّهُ لَهُ بِالْكَلَامِ، بِشَرْطِ أَنْ يَكُونَ كَلَامُهُ صِدْقًا وَصَوَابًا.

ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ بَعْدَ مَا بَيَّنَ: عَظَمَتَهُ، وَأَنَّهُ هُوَ الْمُهَيْمِنُ وَحْدَهُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، شَرَعَ لَنَا فِي بَيَانِهِ وَتَفْصِيلِهِ فَقَالَ:

﴿ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾ إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا﴾

﴿تَفْسِيـرُ الْمُفْـرَدَاتِ﴾

اَلْحَقُّ: اَلثَّابِتُ الذِي لَا شُبْهَةَ فِيهِ.

أَنْذَرْنَاكُمْ: حَذَّرْنَاكُمْ؛ وَالْإِنْذَارُ هُوَ الْإِخْبَارُ بِالْمَكْرُوهِ قَبْلَ وُقُوعِهِ.

﴿اَلْـبَـيَـانُ﴾

اَلْمُرَادُ بِالْيَوْمِ الْحَقِّ: يَوْمُ الْقِيَامَةِ، لِأَنَّهُ الْيَوْمُ الذِي يُفْصَلُ فِيهِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، فَمَنْ شَاءَ النَّجَاةَ لِنَفْسِهِ، فَلْيُبَادِرْ بِالتَّوْبَةِ وَالرُّجُوعِ إِلَى رَبِّهِ قَبْلَ فَوَاتِ الْفُرْصَةِ، وَيَتَّخِذْ طَرِيقاً: يُوصِلُهُ إِلَى رَبِّهِ، وَيُدْنِيهِ مِنْ كَرَامَتِهِ، وَيُبَاعِدُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عُقُوبَتِهِ؛ لِأَنَّهُ لَا عُذْرَ لِلْعَبْدِ بَعْدَ مَا: أَنْذَرَهُ اللّٰـهُ وَحَذَّرَهُ مِنْ عَذَابِ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ، وَخَوَّفَهُ مِنْ عِقَابِهِ الْقَرِيبِ الذِي هُوَ عَذَابُ الْقَبْرِ، لِأَنَّ الْقَبْرَ إِمَّا أَنْ يَكُونَ: رَوْضَةً مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ، أَوْ حُفْرَةً مِنْ حُفَرِ النَّارِ.

فَطُوبَى لِمَنْ مَلَأَ صَحِيفَتَهُ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، وَاغْتَنَمَ وَقْتَ حَيَاتِهِ قَبْلَ انْصِرَامِ الْأَجَلِ؛

وَوَيْلٌ لِلْمُكَذِّبِ أَوِ الْكَافِرِ الذِي يَتَمَنَّى أَنْ لَوْ كَانَ تُرَابًا، وَلَمْ يُخْلَقْ إِنْسَانًا.

﴿اَلْعِبْـرَةُ﴾

تُرْشِدُكَ هَٰذِهِ السُّورَةُ إِلَى: أَنَّ الْمُسْتَحِقَّ لِلْعِبَادَةِ وَالْخُضُوعِ هُوَ اللّٰـهُ وَحْدَهُ؛ فَهُوَ الذِي: مَهَّدَ الْأَرْضَ وَحَفِظَهَا بِالْجِبَالِ، وَخَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى، وَجَعَلَ النَّاسَ مُخْتَلِفِينَ فِي أَشْكَالِهِمْ وَأَلْوَانِهِمْ وَلُغَاتِهِمْ، وَأَوْجَدَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ:

وَجَعَلَ فِي الْأُولَى الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ؛

وَفِي الثَّانِيَةِ[1]: الْإِنْسَانَ وَالْحَيَوَانَ وَالنَّبَاتَ وَالْمِيَاهَ وَالْجِبَالَ؛

وَأَنْزَلَ الْمَطَرَ مِنَ السَّمَاءِ فَأَنْبَتَ: الْحَدَائِقَ وَالْبَسَاتِينَ وَغَيْرَ ذَٰلِكَ مِنْ صَنَائِعِ قُدْرَتِهِ، الَّتِي نَسْتَدِلُّ بِهَا عَلَى أَنَّ مُوجِدَ هَٰذِهِ الْأَشْيَاءِ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ: مَوْجُودًا، قَادِرًا أَتَمَّ الْقُدْرَةِ، لِأَنَّ مَنْ قَدَرَ عَلَى خَلْقِ هَٰذِهِ الْأَشْيَاءِ، لَا يُعْجِزُهُ إِحْيَاءُ النَّاسِ مِنْ قُبُورِهِمْ

---

(1) أي الأرض.

بَعْدَ مَوْتِهِمْ، لِلْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ عَلَى مَا قَدَّمُوا فِي دُنْيَاهُمْ، فَالذَّكِيُّ مَنِ انْتَهَزَ فُرْصَةَ وُجُودِهِ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا وَتَزَوَّدَ مِنْهَا لِآخِرَتِهِ؛

وَالْآيَةُ الَّتِي مَرَّتْ بِكَ فِي قَوْلِهِ: ﴿يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ تُنَبِّهُكَ إِلَى أَنَّ هَذِهِ الدَّارَ هِيَ دَارُ نَجَاةٍ لِمَنْ عَرَفَهَا، وَدَارُ غِنًى لِمَنْ تَزَوَّدَ مِنْهَا.

لَا تُتْبِعِ الدُّنْيَا وَأَيَّامَهَا ذَمًّا وَإِنْ دَارَتْ بِكَ الدَّائِرَةْ
مِنْ شَرَفِ الدُّنْيَا وَمِنْ فَضْلِهَا أَنْ بِهَا تُسْتَدْرَكُ الْآخِرَةْ

﴿سُورَةُ النَّازِعَاتِ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ۝ وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا ۝ وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا ۝ فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا ۝ فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ۝ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ۝ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ ۝ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ۝ أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ ۝ يَقُولُونَ أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ ۝ أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا نَّخِرَةً ۝ قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ۝ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ۝ فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ ۝﴾

﴿تَفْسِيرُ الْمُفْرَدَاتِ﴾

اَلنَّازِعَاتُ: اَلْمُرَادُ بِهَذِهِ الصِّفَةِ وَمَا بَعْدَهَا: النُّجُومُ، وَمَعْنَى كَوْنِهَا نَازِعَاتٍ عَلَى سَيْرٍ مُتَّفِقٍ: أَيْ جَارِيَاتٌ.

غَرْقًا: مُجِدَّةً فِي سَيْرِهَا.

اَلنَّاشِطَاتُ: اَلْمُجِدَّةُ فِي عَمَلِهَا، وَالْمُرَادُ أَنَّهَا تَخْرُجُ مِنْ بُرْجٍ إِلَى بُرْجٍ.

اَلسَّابِحَاتُ: اَلنُّجُومُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ تَسْبَحُ فِي أَفْلَاكِهَا، يَعْنِي تَسِيرُ فِيهَا سَيْرًا يَسِيرًا هَادِئًا لَا اضْطِرَابَ فِيهِ.

اَلسَّابِقَاتُ: السُّرْعَةُ، أَيْ أَنَّ بَعْضَ الْكَوَاكِبِ أَسْرَعُ سَيْرًا مِنْ بَعْضٍ.

اَلْمُدَبِّرَاتُ: مِنْ دَبَّرَ الْأَمْرَ الَّذِي فَكَّرَ فِيهِ حَتَّى أَتَى وَفْقَ مُرَادِهِ.

اَلرَّاجِفَةُ: اَلِاضْطِرَابُ الشَّدِيدُ، وَالْمُرَادُ بِالرَّاجِفَةِ: اَلْأَرْضُ وَمَا عَلَيْهَا.

اَلرَّادِفَةُ: التَّابِعَةُ، وَكُلُّ شَيْءٍ جَاءَ بَعْدَ شَيْءٍ فَهُوَ رَادِفٌ لَهُ.

اَلْوَاجِفَةُ: اَلْخَائِفَةُ.

خَاشِعَةٌ: خَاضِعَةٌ.

اَلْحَافِرَةُ: اَلطَّرِيقُ الَّتِي جَاءَ مِنْهَا الْإِنْسَانُ فَحَفَرَهَا بِقَدَمِهِ وَأَثَّرَ فِيهَا.

عِظَامًا نَخِرَةً: هِيَ الَّتِي لَوْ مَسَسْتَهَا تَفَتَّتَتْ.

خَاسِرَةٌ: غَيْرُ رَابِحَةٍ.

اَلزَّجْرَةُ: الصَّيْحَةُ.

اَلسَّاهِرَةُ: اَلْأَرْضُ الْبَيْضَاءُ الْمُسْتَوِيَةُ.

﴿اَلْبَيَانُ﴾

صَدَّرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هَذِهِ السُّورَةَ الْكَرِيمَةَ بِالْحَلِفِ بِأَشْيَاءَ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ، ذَكَرَ لَنَا صِفَاتِهَا وَلَمْ يُعَيِّنْ ذَوَاتِهَا، فَكَانَ الْمَرْجِعُ فِي تَفْسِيرِهَا كُتُبَ اللُّغَةِ، وَقَدِ اخْتَلَفَتْ عِبَارَاتُ الْمُفَسِّرِينَ فِي هَذِهِ الْكَلِمَاتِ: فَبَعْضُهُمْ فَسَّرَهَا بِالْمَلَائِكَةِ، وَبَعْضُهُمْ بِأَنْفُسِ الْغُزَاةِ، وَبِخَيْلِ الْجِهَادِ؛

وَقَدْ أَقْسَمَ اللَّهُ بِهَذِهِ الْأَشْيَاءِ لِيُذَكِّرَنَا وَيُنَبِّهَنَا، عَلَى أَنَّ كُلَّ امْرِئٍ سَيُبْعَثُ مِنَّا مِنْ مَرْقَدِهِ فِي يَوْمٍ عَظِيمٍ: تَتَحَرَّكُ فِيهِ الْأَرْضُ، وَتَنْقَلِبُ الْجِبَالُ، وَتَتَشَقَّقُ السَّمَاءُ، وَتَضْطَرِبُ الْقُلُوبُ، وَإِذْ ذَاكَ يَتَذَكَّرُ مُنْكِرُو الْبَعْثِ إِذْ قِيلَ لَهُمْ إِنَّكُمْ تُبْعَثُونَ، فَيَقُولُونَ مُتَعَجِّبِينَ: أَنُرَدُّ نَحْنُ إِلَى أَوَّلِ حَيَاتِنَا وَابْتِدَاءِ أَمْرِنَا، فَنَصِيرَ أَحْيَاءً كَمَا كُنَّا، بَعْدَ مَا صِرْنَا عِظَامًا بَالِيَةً، إِنْ صَحَّ ذَلِكَ فَنَحْنُ إِذًا خَاسِرُونَ، لِأَنَّنَا كَذَّبْنَا بِهَذَا، وَلَمْ نَعْمَلْ مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ مَا نُثَابُ عَلَيْهِ؛ وَبَيْنَمَا هُمْ فِي خَوْفِهِمْ وَتَعَجُّبِهِمْ، إِذْ فُوجِئُوا بِصَيْحَةٍ وَاحِدَةٍ تَقُولُ لَهُمْ: **قُومُوا مِنْ قُبُورِكُمْ**، فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ، لَا يَتَخَلَّفُ مِنْهُمْ أَحَدٌ:

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَى

رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَىٰهُ ٱلْءَايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْءَاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ﴿٢٦﴾ ﴾

﴿ تَفْسِيرُ الْمُفْرَدَاتِ ﴾

اَلْوَادِي: اَلْمَوْضِعُ الذِي يَسِيلُ فِيهِ الْمَاءُ.
اَلْمُقَدَّسُ: اَلْمُطَهَّرُ، وَهُوَ وَادٍ بِالشَّامِ.
طُوَى: اِسْمٌ لِلْوَادِي.
طَغَى: تَكَبَّرَ وَتَجَاوَزَ الْحَدَّ.
تَزَكَّى: تَتَطَهَّرُ مِنَ الْأَدْنَاسِ.
اَلْخَشْيَةُ: اَلْخَوْفُ.
اَلْآيَةُ: اَلْعَلَامَةُ، وَالْمُرَادُ بِهَا هُنَا: اَلْمُعْجِزَةُ.
أَدْبَرَ: وَلَّى وَأَعْرَضَ.
اَلسَّعْيُ: اَلْمَشْيُ السَّرِيعُ.
حَشَرَ: جَمَعَ النَّاسَ مِنْ مَقَرِّهِمْ.
اَلنَّكَالُ: اَلْعُقُوبَةُ الَّتِي يَتَّعِظُ بِهَا الْغَيْرُ.
اَلْعِبْرَةُ: اَلْعِظَةُ.

﴿ اَلْبَيَانُ ﴾

أَجْمَلَ اللَّـهُ فِي هَذِهِ السُّورَةِ قِصَّةَ سَيِّدِنَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مَعَ فِرْعَوْنَ طَاغِيَةِ مِصْرَ، وَقَدْ فَصَّلَهَا فِي سُوَرٍ أُخْرَى:

﴿ وَخُلَاصَةُ هَذِهِ الْقِصَّةِ ﴾

أَنَّ اللَّـهَ ذَكَّرَ نَبِيَّهُ ﷺ أَنَّهُ أَمَرَ مُوسَى أَنْ يُسَافِرَ إِلَى فِرْعَوْنَ، لِأَنَّهُ طَغَى وَتَجَبَّرَ وَزَعَمَ أَنَّهُ الْإِلَهُ، وَأَمَرَهُ: أَنْ يَلِينَ فِي دَعْوَتِهِ، وَيَتَلَطَّفَ فِي إِرْشَادِهِ، وَيَقُولَ لَهُ: هَلْ

تَرْغَبُ فِي أَنْ تَتَطَهَّرَ؟ إِنَّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَتَى آمَنْتَ بِرَبِّكَ وَعَرَفْتَ عَظَمَتَهُ خِفْتَهُ، وَصَلَحَتْ نَفْسُكَ، وَصَلَحَتْ بِكَ رَعِيَّتُكَ؛

وَقَدْ أَقَامَ لَهُ سَيِّدُنَا مُوسَى عليه السلام عَلَى كَلَامِهِ هَذَا: الْبَرَاهِينَ السَّاطِعَةَ، وَالْحُجَجَ الدَّامِغَةَ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَقْتَنِعْ بِهَا حَتَّى إِنَّهُ اضْطُرَّ أَنْ يُرِيَهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى، الدَّالَّةَ عَلَى صِدْقِ دَعْوَاهُ، وَهِيَ انْقِلَابُ الْعَصَا حَيَّةً، وَمَعَ ذَلِكَ لَمْ يُؤْمِنْ، بَلْ كَذَّبَ بِهَا، وَأَخَذَ يَسْعَى وَيَجِدُّ لِيَكِيدَ لِمُوسَى، فَجَمَعَ السَّحَرَةَ الذِينَ فِي بِلَادِهِ وَتَحْتَ سُلْطَانِهِ وَقَالَ لِمُوسَى:

أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ مَنَازِلِنَا بِسِحْرِكَ؟ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ، فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نَتَعَدَّاهُ، فَنَنْظُرَ أَيُّنَا يَغْلِبُ صَاحِبَهُ، فَقَالَ مُوسَى لِفِرْعَوْنَ: مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الْعِيدِ، وَهُوَ يَوْمٌ كَانَ فِرْعَوْنُ يَخْرُجُ لَهُ، وَيَتَزَيَّنُونَ فِيهِ بَعْدَ انْبِسَاطِ الشَّمْسِ؛

وَعِنْدَ الاِجْتِمَاعِ، خَيَّرَ السَّحَرَةُ مُوسَى بَيْنَ أَنْ يُلْقِيَ أَوَّلاً أَوْ يُلْقُوا هُمْ، ثُمَّ أَمَرَهُمْ أَنْ يُلْقُوا قَبْلَهُ.

فَلَمَّا أَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ، تَخَيَّلَ مُوسَى أَنَّهَا تُشْبِهُ الْحَيَّاتِ فَخَافَ عَلَى نَفْسِهِ، فَأَوْحَى اللَّـهُ إِلَيْهِ: لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى عَلَى هَؤُلَاءِ السَّحَرَةِ وَعَلَى فِرْعَوْنَ، وَأَمَرَهُ أَنْ يُلْقِيَ عَصَاهُ.

فَلَمَّا أَلْقَاهَا صَارَتْ ثُعْبَانًا كَبِيرًا، اِبْتَلَعَ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ، وَبِذَلِكَ كَانَ الْفَوْزُ وَالنُّصْرَةُ لِمُوسَى عليه السلام، وَلَمَّا رَأَى السَّحَرَةُ ذَلِكَ خَرُّوا لِلَّـهِ سَاجِدِينَ، وَقَالُوا: آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى، فَهَدَّدَهُمْ فِرْعَوْنُ بِالْقَتْلِ وَالصَّلْبِ فَرَضُوا بِذَلِكَ، وَقَالُوا لِفِرْعَوْنَ: لَا نُبَالِي بِمَا هَدَّدْتَنَا بِهِ مَا دُمْنَا عَلَى الْحَقِّ، فَهَذِهِ الدُّنْيَا فَانِيَةٌ لَا تَدُومُ، وَنَحْنُ قَدْ آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا ذُنُوبَنَا؛ وَقَدْ عَاقَبَ اللَّـهُ فِرْعَوْنَ: فِي الدُّنْيَا بِالْإِغْرَاقِ، لِيَكُونَ عِبْرَةً يَتَّعِظُ بِهَا كُلُّ مَنْ رَآهُ، وَفِي الْآخِرَةِ بِالْإِحْرَاقِ:

﴿ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَآءُ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَا ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَالْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٣﴾ ﴾

﴿تَفْسِيرُ الْمُفْرَدَاتِ﴾

اَلْبِنَاءُ: ضَمُّ الْأَجْزَاءِ الْمُتَفَرِّقَةِ بَعْضِهَا إِلَى بَعْضٍ، وَرَبْطُهَا بِمَا يُمْسِكُهَا حَتَّى يَحْصُلَ عَنْ جَمِيعِهَا بُنْيَةٌ وَاحِدَةٌ.

اَلسَّمْكُ: اَلْعُلُوُّ.

فَسَوَّاهَا: عَدَّلَهَا، أَيْ وَضَعَ كُلَّ جُزْءٍ مِنْهَا مَوْضِعَهُ الَّذِي يَسْتَحِقُّهُ.

أَغْطَشَ لَيْلَهَا: جَعَلَهُ مُظْلِماً.

وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا: أَظْهَرَهُ، وَالْمُرَادُ بِهِ النَّهَارُ.

دَحَاهَا: بَسَطَهَا وَمَهَّدَهَا.

أَرْسَاهَا: جَعَلَهَا ثَابِتَةً.

اَلْمَتَاعُ: اَلِانْتِفَاعُ.

اَلْأَنْعَامُ: اَلْإِبِلُ، وَالْبَقَرُ، وَالْغَنَمُ.

﴿اَلْبَيَانُ﴾

إِنَّكُمْ أَيُّهَا الْمُكَذِّبُونَ الَّذِينَ تُشَاهِدُونَ عَظَمَةَ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ، الَّتِي هِيَ أَعْظَمُ مِنْكُمْ خَلْقاً، كَيْفَ تَسْتَبْعِدُونَ وَتُنْكِرُونَ أَنَّنَا نَعْجِزُ عَنْ إِعَادَتِكُمْ بَعْدَ مَوْتِكُمْ؟ مَعَ أَنَّكُمْ لَوْ فَكَّرْتُمْ لَرَأَيْتُمْ أَنَّ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ فَقَدْ: بَنَيْتُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَرَفَعْتُهَا بِغَيْرِ عَمَدٍ، وَأَمْسَكْتُهَا بِقُدْرَتِي، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَسَقَطَتْ؛ وَزَيَّنْتُهَا بِالْكَوَاكِبِ السَّاطِعَةِ: مِنْ شَمْسٍ وَقَمَرٍ، وَلَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا شُقُوقًا وَلَا اخْتِلَافًا؛ وَجَعَلْتُ: لَيْلَهَا مُظْلِمًا وَنَهَارَهَا مُبْصِرًا؛ وَمَهَّدْتُ الْأَرْضَ وَجَعَلْتُهَا صَالِحَةً لِلسُّكْنَى،

ثُمَّ هَيَّأْتُهَا فَأَخْرَجْتُ مِنْهَا: الْعُيُونَ وَالْأَنْهَارَ وَالنَّبَاتَاتِ عَلَى اخْتِلَافِ أَنْوَاعِهَا، لِيَأْكُلَ مِنْهَا النَّاسُ وَالدَّوَابُّ؛ وَحَفِظْتُهَا بِالْجِبَالِ لِتَكُونَ أَوْتَادًا لَهَا، حَتَّى لَا تَضْطَرِبَ فَيَهْلَكَ مَنْ عَلَيْهَا؛

خَلَقْنَا ذَلِكَ كُلَّهُ: مُتْعَةً وَمَنْفَعَةً لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ.

وَبَعْدَ مَا أَرْشَدَنَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنْ عَظَمَةِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، شَرَعَ فِي بَيَانِ يَوْمِ الْحَشْرِ وَالْجَزَاءِ، وَمَا يَحْدُثُ يَوْمَئِذٍ مِنَ الْأَهْوَالِ فَقَالَ:

﴿فَإِذَا جَآءَتِ الطَّآمَّةُ الْكُبْرَىٰ ۝ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ۝ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ۝ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ۝ وَءَاثَرَ الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا ۝ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ۝ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ۝﴾

﴿تَفْسِيرُ الْمُفْرَدَاتِ﴾

اَلطَّامَّةُ: اَلدَّاهِيَةُ الْكُبْرَى الَّتِي لَا يُسْتَطَاعُ احْتِمَالُهَا.

وَبُرِّزَتْ: أُظْهِرَتْ.

اَلْجَحِيمُ: اَلنَّارُ الْعَظِيمَةُ.

اَلطُّغْيَانُ: تَجَاوُزُ الْحُدُودِ فِي الْعِصْيَانِ.

آثَرَ: اِخْتَارَ.

اَلْمَأْوَى: اَلْمُسْتَقَرُّ وَالْمُقَامُ الَّذِي يَأْوِي إِلَيْهِ الْإِنْسَانُ.

اَلْهَوَى: مَيْلُ النَّفْسِ إِلَى الشَّهَوَاتِ.

﴿اَلْبَيَانُ﴾

أَعْلَمَنَا اللَّـهُ أَنَّهُ إِذَا جَاءَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، يَتَذَكَّرُ كُلُّ إِنْسَانٍ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ مَا عَمِلَهُ فِي الدُّنْيَا: مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، إِذْ يَرَى أَعْمَالَهُ مُدَوَّنَةً فِي كِتَابِهِ، كَمَا يَنْظُرُ إِلَى النَّارِ بِعَيْنَيْهِ؛

فَمَنْ كَانَتْ أَعْمَالُهُ سَيِّئَةً إِسْتَحَقَّ الْعَذَابَ فِي الْجَحِيمِ، وَمَنْ كَانَتْ أَعْمَالُهُ حَسَنَةً ـ وَحَسَنَاتُهُ رَاجِحَةٌ عَنْ سَيِّئَاتِهِ ـ فَازَ: بِالنَّجَاةِ، وَالنَّعِيمِ فِي الْجَنَّةِ، يَأْكُلُ مِنْ ثِمَارِهَا،

وَيَشْرَبُ مِنْ أَنْهَارِهَا، وَقَدِ اسْتَحَقَّ هَذَا الْجَزَاءَ، لِأَنَّهُ: عَرَفَ مَقَامَ رَبِّهِ فِي الدُّنْيَا، وَنَهَى نَفْسَهُ عَنْ عِصْيَانِهِ:

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾﴾

﴿تَفْسِيرُ الْمُفْرَدَاتِ﴾

اَلْمُرْسَى: اَلْمُسْتَقَرُّ وَالْمُنْتَهَى وَالْحُصُولُ.

اَلذِّكْرَى: اَلتَّذَكُّرُ وَالْإِنْذَارُ، أَيِ الْإِعْلَامُ مَعَ تَخْوِيفٍ.

اَلْخَشْيَةُ: خَوْفٌ يَشُوبُهُ تَعْظِيمٌ.

اَللَّبْثُ: اَلْإِقَامَةُ.

اَلْعَشِيَّةُ: طَرَفُ النَّهَارِ مِنْ آخِرِهِ.

اَلضُّحَى: طَرَفُهُ مِنْ أَوَّلِهِ.

﴿اَلْبَيَانُ﴾

تَضَمَّنَتْ هَذِهِ الْآيَاتُ، أَنَّ فَرِيقًا مِنْ أَهْلِ الْعِنَادِ:

سَأَلُوا رَسُولَ اللّٰهِ ﷺ عَنِ السَّاعَةِ مَتَى تَقُومُ؟ وَمَتَى تَحْصُلُ وَتَظْهَرُ؟

وَطَلَبُوا مِنْهُ أَنْ يُبَيِّنَ لَهُمْ زَمَانَهَا وَوَقْتَهَا؛ فَأَعْلَمَهُ اللّٰهُ:

بِأَنَّهُ وَحْدَهُ الْعَلِيمُ بِمَجِيئِهَا وَقَالَ لَهُ: إِنَّمَا أَنْتَ بُعِثْتَ لِتُحَذِّرَ النَّاسَ مِنْ هَوْلِهَا، وَتُخَوِّفَهُمْ مِنْ حِسَابِهَا؛

وَأَنَّهُمْ ـ مِنْ هَوْلِ مَا يَرَوْنَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ ـ تَوَهَّمُوا أَنَّهُمْ لَمْ يَلْبَثُوا فِي الدُّنْيَا إِلَّا بَعْضَ يَوْمٍ، أَوْ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ. وَقَانَا اللّٰهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ

﴿اَلْعِبْرَةُ﴾

ـ تُرْشِدُكَ هَذِهِ السُّورَةُ إِلَى:

أَنَّ النَّاسَ مِنْ جِهَةِ الطَّاعَةِ وَالْخَوْفِ مِنَ اللّٰهِ رَجُلَانِ:

1) رَجُلٌ يَسْتَجِيبُ لِلطَّاعَةِ، وَيُدَاوِمُ عَلَيْهَا، وَيَخَافُ اللَّـهَ فِي كُلِّ حِينٍ، وَهَذَا لَا شَكَّ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، تَصْدُقُ عَلَيْهِ الْآيَةُ الَّتِي مَرَّتْ بِكَ فِي قَوْلِهِ: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾.

2) وَرَجُلٌ يَسْتَجِيبُ لِلطَّاعَةِ، وَلَكِنَّهُ يُقْدِمُ عَلَى الْمَعْصِيَةِ بِجُرْأَةٍ، كَأَنَّهُ لَا يَعْتَقِدُ أَنَّ هُنَاكَ رَقِيبًا مُطَّلِعًا عَلَى عِبَادِهِ، وَهَذَا لَا شَكَّ يَسْتَحِقُّ عَذَابَ الْهُونِ.

قِيلَ لِبَعْضِ الزُّهَّادِ: مَا تَقُولُ فِي صَلَاةِ اللَّيْلِ؟ فَقَالَ: (خَفِ اللَّـهَ بِالنَّهَارِ وَنَمْ بِاللَّيْلِ). وَقَالَ الشَّاعِرُ:

أَطَاعَ اللَّـهَ قَـوْمٌ فَـاسْتَـرَاحُـوا وَلَمْ يَتَجَـرَّعُـوا غُصَـصَ الْمَعَـاصِـي

* فَرَأْسُ الْحِكْمَةِ مَخَافَةُ اللَّـهِ؛

وَنَحْنُ إِذَا تَدَبَّرْنَـا الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ، وَجَـدْنَا أَنَّ كَثِيراً مِنْ آيَاتِـهِ فِيهَا حَـضٌّ عَلَى الْخَوْفِ مِنَ اللَّـهِ فِي السِّرِّ وَالْعَلَنِ؛

فَالْمُسْلِمُ الْكَامِلُ: الَّذِي يَضَعُ مَخَافَةَ اللَّـهِ نُصْبَ عَيْنَيْهِ، تَرَاهُ لَا يَرْتَكِبُ مُحَرَّمًا قَطُّ، وَلَا تُسَوِّلُ لَهُ نَفْسُهُ اغْتِيَالَ حَقٍّ لِغَيْرِهِ، بَلْ يُعْمِلُ جُهْدَهُ لِمَا فِيهِ صَلَاحُهُ وَخَيْرُهُ.

﴿سُـورَةُ عَبَـسَ﴾

* سَبَبُ نُزُولِ هَذِهِ السُّورَةِ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا كَانَ بِمَكَّةَ، جَاءَهُ نَفَرٌ مِنْ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ، مِنْهُمْ: أَبُو جَهْلٍ، وَالْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ، وَأُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ، يُجَادِلُونَهُ فِيمَا يَدْعُو النَّاسَ إِلَيْهِ، فَفَرِحَ ﷺ بِمَجِيئِهِمْ، وَأَخَذَ يُبَيِّنُ لَهُمْ: مَا جَاءَ بِهِ، وَمَا يَدْعُو إِلَيْهِ، وَكَانَ يَرْجُو أَنْ يَشْرَحَ اللَّـهُ صُدُورَهُمْ فَيَدْخُلُوا فِي دِينِ اللَّـهِ، لِأَنَّهُ يَعْلَمُ بِإِسْلَامِهِمْ سَيَدْخُلُ فِي دِينِ اللَّـهِ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ؛

وَبَيْنَمَا هُوَ يَتَحَدَّثُ إِلَيْهِمْ وَيَتْلُو عَلَيْهِمْ كِتَابَ اللهِ، جَاءَ عَبْدُ اللَّـهِ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ قَائِلاً: أَقْرِئْنِي يَا رَسُولَ اللَّـهِ، وَعَلِّمْنِي مِمَّا عَلَّمَكَ اللَّـهُ، فَكَرِهَ رَسُولُ اللَّـهِ قَطْعَهُ لِكَلَامِهِ، وَأَعْرَضَ عَنْهُ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَاتُ: عِتَابًا لِرَسُولِ اللَّـهِ، وَتَعْظِيمًا لِقَدْرِ مَنْ آمَنَ بِهِ، وَتَحْقِيرًا لِشَأْنِ مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ؛

وَكَانَ رَسُولُ اللَّـهِ بَعْدَ نُزُولِ هَذِهِ الْآيَاتِ، يُكْرِمُ ابْنَ أُمِّ مَكْتُومٍ وَيَقُولُ: أَهْلاً بِمَنْ عَاتَبَنِي فِيهِ رَبِّي:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ ۝ أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ ۝ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ ۝ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَىٰ ۝ أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَىٰ ۝ فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّىٰ ۝ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝ وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَىٰ ۝ وَهُوَ يَخْشَىٰ ۝ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ۝ ﴾

﴿ تَفْسِيرُ الْمُفْرَدَاتِ ﴾

اَلْعُبُوسُ: قُطُوبُ الْوَجْهِ مِنْ ضِيقِ الصَّدْرِ.

تَوَلَّى: أَعْرَضَ.

يُدْرِيكَ: يُعْرِفُكَ.

يَزَّكَّى: يَتَطَهَّرُ.

اَلذِّكْرَى: اَلْعِظَةُ.

اِسْتَغْنَى: قَلَّتْ حَاجَتُهُ إِلَى النَّاسِ.

تَصَدَّى: تَتَعَرَّضُ.

اَلسَّعْيُ: اَلْمَشْيُ السَّرِيعُ.

اَلْخَشْيَةُ: اَلْخَوْفُ.

تَلَهَّى: تَتَشَاغَلُ.

﴿ اَلْبَيَانُ ﴾

اَلْمَقْصُودُ مِنْ عِتَابِ النَّبِيِّ ﷺ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ، هُوَ التَّشْرِيعُ، وَسَنُّ الطَّرِيقِ الْوَاضِحَةِ لِلْمُسْلِمِينَ، لِيَعْلَمُوا كَيْفَ يُعَامِلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، فَاللَّـهُ يَقُولُ:

عَبَسَ فِي وَجْهِهِ وَأَعْرَضَ عَنِ اسْتِمَاعِ كَلَامِهِ لَمَّا جَاءَهُ الْأَعْمَى، وَمَا كَانَ يَنْبَغِي مِنْكَ ذَلِكَ يَا مُحَمَّدُ، وَكَانَ جَدِيرًا بِكَ أَنْ تَعْذِرَهُ لِعَمَاهُ، وَأَيُّ شَيْءٍ يُعَرِّفُكَ حَالَهُ، وَيُطْلِعُكَ عَلَى دَخِيلَةِ قَلْبِهِ، لَعَلَّهُ يَتَطَهَّرُ، وَيَتَّعِظُ، وَيَنْتَفِعُ بِمَا يَسْمَعُ فَتُؤَثِّرُ فِيهِ تِلْكَ

الْمَوْعِظَةُ الَّتِي يَتَلَقَّاهَا مِنْكَ، بِخِلَافِ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارِ الَّذِينَ أَقْبَلْتَ عَلَيْهِمْ وَحَرَصْتَ عَلَى إِيمَانِهِمْ، فَإِنَّهُمْ: لَا يَسْمَعُونَ، وَفِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ؛ فَالَّذِي اسْتَغْنَى بِمَالِهِ وَوَجَاهَتِهِ عَنِ اسْتِمَاعِ النَّصِيحَةِ فَأَنْتَ تَتَصَدَّى لَهُ وَتُقْبِلُ عَلَيْهِ، مَعَ أَنَّهُ كَفَرَ بِاللَّهِ، وَأَنْتَ لَسْتَ بِمَسْؤُولٍ عَنْ كُفْرِهِ، فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ،

وَإِنَّكَ تَتَلَهَّى وَتَتَشَاغَلُ عَمَّنْ جَاءَكَ يَطْلُبُ الْهِدَايَةَ، وَهُوَ يَخْشَى اللَّهَ وَيَخَافُهُ، وَلِذَا جَاءَكَ مُسْتَهْدِيًا وَمُسْتَرْشِدًا، وَمِثْلُكَ لَا يَلِيقُ بِهِ هَذَا الْفِعْلُ، فَمَا أَشَدَّ وَقْعَ هَذَا الْعِتَابِ عَلَى الرَّسُولِ ﷺ:

﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿١٢﴾ فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾﴾

﴿تَفْسِيرُ الْمُفْرَدَاتِ﴾

كَلَّا: كَلِمَةُ رَدْعٍ وَزَجْرٍ.

سَفَرَةٌ: جَمْعُ سَافِرٍ بِمَعْنَى سَفِيرٍ، وَهُوَ الْوَاسِطَةُ بَيْنَ اللَّهِ وَخَلْقِهِ.

بَرَرَةٌ: جَمْعُ بَارٍّ، وَهُوَ صَانِعُ الْبِرِّ.

﴿اَلْبَيَانُ﴾

إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ تَذْكِيرٌ وَتَنْبِيهٌ لِمَنْ غَفَلَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ، فَمَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّعِظَ بِهِ فَلْيَفْعَلْ، وَمَنْ لَمْ يَنْفَعْهُ تَذْكِيرُهُ فَإِنَّمَا جَنَى عَلَى نَفْسِهِ؛

وَهَذِهِ التَّذْكِرَةُ مُودَعَةٌ فِي صُحُفٍ شَرِيفَةٍ عَالِيَةٍ، خَالِصَةٍ مِنَ الضَّلَالَةِ، لَمْ تَمَسَّهَا إِلَّا أَيْدِي الْأُمَنَاءِ، وَهُمُ الرُّسُلُ الَّذِينَ حَمَلُوهَا إِلَى النَّاسِ، وَهُمْ: كِرَامٌ بَرَرَةٌ أَخْيَارٌ:

﴿قُتِلَ الْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ ﴿٢٣﴾﴾

﴿تَفْسِيرُ الْمُفْرَدَاتِ﴾

اَلنُّطْفَةُ: اَلْمَنِيُّ الَّذِي يَخْرُجُ مِنَ الْإِنْسَانِ.

اَلسَّبِيلُ: اَلطَّرِيقُ.

يَسَّرَهُ: سَهَّلَهُ.

أَقْبَرَهُ: جَعَلَ لَهُ قَبْرًا يُوَارَى فِيهِ.

أَنْشَرَهُ: أَحْيَاهُ.

﴿ اَلْبَيَانُ ﴾

هَذَا دُعَاءٌ عَلَى الْإِنْسَانِ مِنْ أَقْسَى الدَّعَوَاتِ، وَمَا دَعَا اللَّهُ بِهِ عَلَيْهِ إِلَّا لِعَظِمِ جُرْمِهِ وَتَمَادِيهِ فِي جُحُودِهِ لِمَنْ غَمَرَهُ بِنِعَمِهِ مُنْذُ أَنْ كَانَ نُطْفَةً، لَا حَوْلَ لَهُ وَلَا قُوَّةَ؛ فَلَوْ تَذَكَّرَ الْإِنْسَانُ أَصْلَهُ وَفَكَّرَ فِي نَشْأَتِهِ لَعَلِمَ أَنَّهُ خُلِقَ مِنْ نُطْفَةٍ قَذِرَةٍ، فَخَلَقَ فِيهِ الْحَوَاسَّ وَالْأَعْضَاءَ، وَجَعَلَهَا مُتَنَاسِبَةً تُلَائِمُ حَاجَاتِهِ، ثُمَّ سَهَّلَ لَهُ الْحَيَاةَ بِمَا خَلَقَ لَهُ مِنْ: طَعَامٍ وَلِبَاسٍ وَمَسْكَنٍ، ثُمَّ سَلَبَهُ هَذِهِ الْحَيَاةَ بَعْدَ أَنْ مَتَّعَهُ بِهَا زَمَانًا، لِيَعْلَمَ:

1) أَنَّ الدُّنْيَا دَارُ مَمَرٍّ، وَالْآخِرَةَ دَارُ مَقَرٍّ؛

2) وَأَنَّ فِي الْإِقْبَارِ فَضْلَ اللَّهِ عَلَى الْإِنْسَانِ، لِأَنَّهُ بِالْإِمَاتَةِ يَسْتَرِيحُ الْإِنْسَانُ مِنْ: عَنَاءِ الشَّيْخُوخَةِ، وَآلَامِ الْحَيَاةِ، وَعُسْرِهَا.

ثُمَّ إِذَا كَانَ الْمَوْتُ عَاقِبَةَ الْإِنْسَانِ فِي هَذِهِ الدَّارِ، كَانَ قَبِيحًا بِهِ: أَنْ يَتَكَبَّرَ عَلَى سِوَاهُ، وَأَنْ يَفْتَخِرَ بِمَالٍ أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ، وَأَنْ يَغْفُلَ عَنْ أُخْرَاهُ، الَّتِي هِيَ فِي دَارِ الْبَقَاءِ مَقَرُّهُ وَمَثْوَاهُ؛ ثُمَّ إِذَا شَاءَ لَهُ الْحَيَاةَ الثَّانِيَةَ أَحْيَاهُ وَبَعَثَهُ.

ثُمَّ رَدَعَنَا جَلَّ شَأْنُهُ وَبَيَّنَ لَنَا: أَنَّ هَذَا الْإِنْسَانَ مَعَ طُولِ مُكْثِهِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، لَمْ يُؤَدِّ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ عَلَى لِسَانِ أَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ، لِيَنْجُوَ وَيَسْلَمَ:

﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾

﴿ تَفْسِيرُ الْمُفْرَدَاتِ ﴾

اَلْحَبُّ: اَلْحِنْطَةُ وَالشَّعِيرُ.

اَلْحَدَائِقُ: اَلْبَسَاتِينُ ذَاتُ الْأَشْجَارِ الْمُثْمِرَةِ.

اَلْغُلْبُ: جَمْعُ غَلْبَاءَ وَهِيَ الضَّخْمَةُ الْعَظِيمَةُ.

اَلْأَبُّ: اَلْمَرْعَى.

اَلْمَتَاعُ: مَا يَتَمَتَّعُ بِهِ الْإِنْسَانُ.

اَلْأَنْعَامُ: اَلْمَاشِيَةُ وَكُلُّ مَا يَنْتَفِعُ بِهِ الْإِنْسَانُ مِنَ الْحَيَوَانِ.

﴿ اَلْبَيَانُ ﴾

بَعْدَ أَنْ عَدَّدَ اللّٰهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى نِعَمَهُ عَلَى الْإِنْسَانِ فِي نَفْسِهِ، وَذَكَّرَهُ بِنَشْأَتِهِ حَتَّى جَاءَ عَلَى أَكْمَلِ صُورَةٍ: ذَكَّرَهُ بِنِعْمَةِ الْغِذَاءِ الَّذِي يَعِيشُ بِهِ، وَأَمَرَهُ بِالتَّدَبُّرِ فِي شَأْنِهِ، لِيُدْرِكَ كَيْفَ دَبَّرَ اللّٰهُ أَمْرَ هَذَا الطَّعَامِ:

فَقَدْ أَنْزَلَ اللّٰهُ الْمَطَرَ مِنَ السَّمَاءِ، ثُمَّ شَقَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَهَا قَابِلَةً لِلْمَاءِ، لِيَتَيَسَّرَ زَرْعُهَا وَبَذْرُهَا فِي جَمِيعِ الْأَنْوَاعِ: كَالْقَمْحِ وَالشَّعِيرِ، وَالْعِنَبِ وَالزَّيْتُونِ، وَالنَّخِيلِ وَالتُّفَّاحِ وَالرُّمَّانِ، وَالنَّبَاتَاتِ الْمُخْتَلِفَةِ لِرَعْيِ الْحَيَوَانِ، وَهُوَ الْمُعَبَّرُ عَنْهُ: وَأَبًّا؛

وَهَذَا فَضْلٌ مِنَ اللّٰهِ عَظِيمٌ، يُمَتِّعُنَا بِجَمِيعِ هَذِهِ الطَّيِّبَاتِ، وَنَحْنُ لَا نُفَكِّرُ فِي نِعَمِهِ وَلَا نَشْكُرُهُ عَلَيْهَا. فَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللّٰهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ:

﴿ فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ (33) يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (34) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (35) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ (36) لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ (37) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ (38) ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ (39) وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ (40) تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ (41) أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ (42) ﴾

﴿ تَفْسِيرُ الْمُفْرَدَاتِ ﴾

اَلصَّاخَّةُ: اَلصَّوْتُ الشَّدِيدُ، وَالْمُرَادُ هُنَا: اَلنَّفْخَةُ الَّتِي تَقُومُ عَنْهَا الْقِيَامَةُ.

مُسْفِرَةٌ: مُضِيئَةٌ.

اَلْغَبَرَةُ: اَلْغُبَارُ أَوِ التُّرَابُ.

تَرْهَقُهَا: تَغْشَاهَا.

اَلْقَتَرَةُ: اَلسَّوَادُ.

اَلْفَجَرَةُ: جَمْعُ فَاجِرٍ، وَهُوَ الْمُتَوَسِّعُ فِي الْإِثْمِ.

﴿اَلْبَيَانُ﴾

ـ إِذَا جَاءَتْ سَاعَةُ الْفَنَاءِ لِهَذَا الْعَالَمِ: إِشْتَغَلَ كُلُّ إِنْسَانٍ بِنَفْسِهِ، وَتَبَاعَدَ عَنْ أَخِيهِ الذِي كَانَ يُسَارِعُ فِي الدُّنْيَا: إِلَى نُصْرَتِهِ، وَيَسْتَنْجِدُ بِهِ، وَيُعَوِّلُ عَلَيْهِ، كَمَا يَهْرُبُ مِنْ أَبَوَيْهِ اللَّذَيْنِ كَانَ يَبَرُّهُمَا، وَيَحِنُّ عَلَيْهِمَا، كَذَلِكَ يَفِرُّ مِنْ زَوْجَتِهِ التِي كَانَ: يُحِبُّهَا، وَيَذُودُ عَنْ كَرَامَتِهَا، وَأَوْلَادِهِ الذِينَ كَانُوا قُرَّةَ عَيْنِهِ، وَمَوْضِعَ عَطْفِهِ.

يَفِرُّ مِنْ كُلِّ أُولَئِكَ، لِعِلْمِهِ أَنَّهُمْ لَا يُغْنُونَ عَنْهُ شَيْئًا، لِأَنَّهُ يُشَاهِدُ عَجْزَهُمْ عَنْ نُصْرَةِ أَنْفُسِهِمْ؛

ـ وَفِي هَذَا الْيَوْمِ يَنْقَسِمُ النَّاسُ قِسْمَيْنِ: سُعَدَاءَ وَأَشْقِيَاءَ:

ـ فَالْفَرِيقُ الْأَوَّلُ: تَكُونُ وُجُوهُهُمْ: بَيْضَاءَ، مُضِيئَةً، ضَاحِكَةً، مُسْتَبْشِرَةً، بِسَبَبِ مَا تَجِدُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الرَّاحَةِ وَالْفَوْزِ وَالنَّعِيمِ.

ـ وَالْفَرِيقُ الثَّانِي: تَكُونُ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةً مُظْلِمَةً مُغْبَرَّةً، بِسَبَبِ مَا يَعْتَرِيهَا مِنَ الْغَمِّ وَالْكَآبَةِ، وَهُمُ الْجَامِعُونَ بَيْنَ الْكُفْرِ وَالْفُجُورِ،

ـ وَالْفُجُورُ: مَعْنَاهُ الْكَذِبُ وَالتَّوَسُّعُ فِي الْمَعَاصِي.

* نَسْأَلُ اللَّـهَ أَنْ يَحْشُرَنَا وَوُجُوهُنَا ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ.

﴿اَلْعِبْـرَةُ﴾

ـ تُرْشِدُكَ هَذِهِ السُّورَةُ إِلَى: أَنَّ الْإِسْلَامَ دِينُ الْعِزَّةِ وَالْكَرَامَةِ وَالْمُسَاوَاةِ، فَلَا فَرْقَ بَيْنَ غَنِيٍّ وَفَقِيرٍ، وَأَمِيرٍ وَمَأْمُورٍ إِلَّا بِالتَّقْوَى: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ (سورة الحجرات آية: 13)؛ لِذَلِكَ يَنْبَغِي عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَادِقِ الْإِيمَانِ:

أَنْ لَا يَحْتَرِمَ وَلَا يُعَظِّمَ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا إِلَّا أَصْحَابَ النُّفُوسِ الطَّاهِرَةِ، وَالْقُلُوبِ الطَّيِّبَةِ، وَلَوْ كَانُوا فُقَرَاءَ مُعْدَمِينَ؛

وَأَنْ يَعْلَمَ: أَنَّ الْفَقِيرَ التَّقِيَّ، أَحَبُّ إِلَى اللَّـهِ مِنَ الْغَنِيِّ الْجَحُودِ؛

وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكَ مِنْ هَذِهِ السُّورَةِ، كَيْفَ أَنَّ اللَّـهَ نَهَى نَبِيَّهُ أَنْ يُقْبِلَ عَلَى الْأَغْنِيَاءِ الْأَقْوِيَاءِ، وَيَتْرُكَ الْفُقَرَاءَ الضُّعَفَاءَ، لِيَرْجِعَ الْغَنِيُّ عَنْ طُغْيَانِهِ، وَيَزْدَادَ الْفَقِيرُ إِيمَانًا عَلَى إِيمَانِهِ.

* أَسْأَلُ اللَّـهَ أَنْ يُثَبِّتَ قُلُوبَنَا عَلَى دِينِهِ الْقَوِيمِ، وَأَقْدَامَنَا عَلَى صِرَاطِهِ الْمُسْتَقِيمِ.

﴿سُـورَةُ التَّكْـوِيـرِ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝ وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ ۝ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۝ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ۝ بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ ۝ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ۝ وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ۝ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ۝ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ۝ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ﴾

﴿تَفْسِيـرُ الْمُفْـرَدَاتِ﴾

كُوِّرَتْ: أُلْقِيَتْ وَرُمِيَتْ عَنْ فَلَكِهَا.

اِنْكَدَرَتْ: اِنْتِثَارُهَا وَتَسَاقُطُهَا.

سُيِّرَتْ: ذَهَابُهَا عَنْ وَجْهِ الْأَرْضِ.

اَلْعِشَارُ: هِيَ النَّاقَةُ الَّتِي مَضَى عَلَى حَمْلِهَا عَشَرَةُ أَشْهُرٍ.

عُطِّلَتْ: تُرِكَتْ مُهْمَلَةً لَا رَاعِيَ لَـهَا.

حُشِرَتْ: جُمِعَتْ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ.

سُجِّرَتْ: اِمْتَلَأَتْ وَفَاضَتْ وَاخْتَلَطَ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ.

زُوِّجَتْ: اِقْتَرَنَتْ بِأَجْسَادِهَا.

اَلْمَوْءُودَةُ: اَلْبِنْتُ الْـمَقْتُولَةُ حَيَّةً.

كُشِطَتْ: زَالَتْ عَنْ مَوْضِعِهَا.

أُزْلِفَتْ: أُدْنِيَتْ وَقُرِّبَتْ مِنْ أَهْلِهَا: أَيْ هُيِّئَتْ لَهُمْ وَأُعِدَّتْ لِنُزُلِهِمْ.

﴿اَلْـبَيَـانُ﴾

ذَكَرَ اللَّـهُ لَنَا فِي هَذِهِ السُّورَةِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ عَلَامَةً مِنْ عَلَامَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَأَخْبَرَنَا أَنَّهُ إِذَا وَقَعَتْ هَذِهِ الْعَلَامَاتُ، عَلِمَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا قَدَّمَتْ مِنْ عَمَلٍ مَبْرُورٍ، وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ مَرْدُودٍ عَلَيْهَا:

فَأُولَى هَذِهِ الْعَلَامَاتِ: ذَهَابُ ضَوْءِ الشَّمْسِ الذِي كُنَّا نَنْتَفِعُ بِهِ.

وَثَانِيَتُهَا: تَنَاثُرُ النُّجُومِ التِي كُنَّا نَهْتَدِي بِهَا فِي الظُّلُمَاتِ.

وَثَالِثَتُهَا: نَسْفُ الْجِبَالِ.

وَرَابِعَتُهَا: تَرْكُ النُّوقِ وَإِهْمَالُهَا، وَعَدَمُ اهْتِمَامِ أَصْحَابِهَا بِهَا، لِشِدَّةِ مَا نَزَلَ بِهِمْ مِنَ الرُّعْبِ وَالْخَوْفِ.

وَخَامِسَتُهَا: تَجَمُّعُ الْحَيَوَانَاتِ لِيُقْتَصَّ لَهَا مِمَّنْ ظَلَمَهَا وَكَلَّفَهَا فَوْقَ طَاقَتِهَا.

وَسَادِسَتُهَا: اِخْتِلَاطُ الْبِحَارِ بَعْضِهَا بِبَعْضٍ.

وَسَابِعَتُهَا: اِقْتِرَانُ الْأَرْوَاحِ بِأَجْسَادِهَا التِي كَانَتْ فِيهَا فِي الدُّنْيَا، فَتَعُودُ كُلُّ رُوحٍ إِلَى بَدَنِهَا.

وَثَامِنَتُهَا: سُؤَالُ الْمَوْؤُودَةِ وَهِيَ: الْبِنْتُ التِي دَفَنَهَا أَهْلُهَا حَيَّةً مَخَافَةَ الْعَارِ،

* فَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، إِذَا وُلِدَتْ لَهُ بِنْتٌ، يَتْرُكُهَا حَتَّى تَبْلُغَ قَامَتُهَا سِتَّةَ أَشْبَارٍ، فَإِذَا بَلَغَتْهَا قَالَ لِأُمِّهَا: زَيِّنِيهَا حَتَّى أَذْهَبَ بِهَا إِلَى أَهْلِهَا، وَقَدْ حَفَرَ لَهَا حُفْرَةً فِي الصَّحْرَاءِ، فَيَذْهَبُ بِهَا إِلَى هَذِهِ الْحُفْرَةِ فَيَقُولُ لَهَا: أُنْظُرِي إِلَيْهَا، فَإِذَا نَظَرَتْ رَمَاهَا فِيهَا، فَيُهِيلُ عَلَيْهَا التُّرَابَ؛ وَلَمَّا جَاءَ الْإِسْلَامُ نَهَاهُمْ عَنْ ذَلِكَ، وَأَنْكَرَ عَلَيْهِمْ وَأْدَ الْبَنَاتِ.

فَالْمَوْؤُودَةُ يَسْأَلُهَا رَبُّهَا يَوْمَ الْحِسَابِ عَنِ الذَّنْبِ الذِي قُتِلَتْ بِهِ، لِيَكُونَ سُؤَالُهَا وَجَوَابُهَا تَبْكِيتًا لِقَاتِلِهَا، وَإِشْعَارًا بِأَنْ لَا حُجَّةَ لَهُ عَنْ هَذِهِ الْجَرِيمَةِ.

وَتَاسِعَتُهَا: نَشْرُ الصُّحُفِ.

وَعَاشِرَتُهَا: زَوَالُ السَّمَاءِ عَنْ مَوْضِعِهَا.

اَلْحَادِيَةَ عَشَرَ: تَسْعِيرُ الْجَحِيمِ، أَيْ إِيقَادُهَا إِيقَادًا شَدِيدًا.

اَلثَّانِيَةُ عَشَرَ: دُنُوُّ الْجَنَّةِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَّقِينَ، فَيَدْخُلُونَهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ.

* هَذِهِ هِيَ الْعَلَامَاتُ الَّتِي أَنْذَرَنَا اللَّـهُ بِهَا فِي هَذِهِ الْآيَاتِ، لِيُحَذِّرَنَا مِنْ أَهْوَالِ ذَلِكَ الْيَوْمِ؛

فَالْعَاقِلُ مَنْ يَسْتَعِدُّ: لِهَذِهِ الرِّحْلَةِ الطَّوِيلَةِ، وَلِذَلِكَ الْيَوْمِ الْمَشْهُودِ، وَلِتِلْكَ الدَّارِ الْبَاقِيَةِ، بِنَفْسٍ يُطَهِّرُهَا، وَخُلُقٍ طَيِّبٍ يَتَجَمَّلُ بِهِ، وَعَمَلٍ صَالِحٍ يُقَدِّمُهُ:

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ ۝ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ ۝ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ۝ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ۝ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ۝ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ۝ وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ ۝ وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ ۝ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ۝ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ۝ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ۝ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ۝ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾

﴿تَفْسِيرُ الْمُفْرَدَاتِ﴾

اَلْخُنَّسُ: جَمْعُ خَانِسٍ، وَهُوَ الْمُنْقَبِضُ الْمُسْتَخْفِي، وَفِي الْحَدِيثِ: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ يُوَسْوِسُ إِلَى الْعَبْدِ، فَإِذَا ذَكَرَ اللَّـهَ خَنَسَ﴾[1] يُرِيدُ انْقَبَضَ وَاخْتَفَى هَارِبًا.

اَلْكُنَّسُ: جَمْعُ كَانِسٍ، اَلْمُخْتَفِي أَيْضاً؛ وَالْمُرَادُ بِـ: الْخُنَّسِ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ، جَمِيعُ الْكَوَاكِبِ، وَخُنُوسُهَا: رُجُوعُهَا؛ وَكُنُوسُهَا: اِخْتِفَاؤُهَا تَحْتَ ضَوْءِ الشَّمْسِ.

عَسْعَسَ: أَدْبَرَ ظَلَامُهُ.

تَنَفَّسَ: ظَهَرَ نُورُهُ.

اَلْعَرْشُ: الْمُلْكُ وَالسَّرِيرُ.

مَكِينٌ: صَاحِبُ مَنْزِلَةٍ عَالِيَةٍ.

ثَمَّ: بِمَعْنَى هُنَاكَ.

---

(1) حَدِيثُ أَنَسِ ابْنِ مَالِكٍ: (إِنَّ الشَّيْطَانَ وَاضِعٌ خَطْمَهُ عَلَى قَلْبِ ابْنِ آدَمَ فَإِذَا ذَكَرَ اللَّهَ خَنَسَ، وَإِنْ نَسِيَ الْتَقَمَ قَلْبَهُ فَذَلِكَ الْوَسْوَاسُ الْخَنَّاسُ). وَهَذَا إِسْنَادٌ ضَعِيفٌ لِضَعْفِ بَعْضِ رُوَاتِهِ، رَوَاهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا وَالْبَيْهَقِيُّ. لَكِنْ لَهُ شَاهِدٌ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَوَاهُ الْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ، وَقَالَ: صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ.

اَلْأُفُقُ: النَّاحِيَةُ الظَّاهِرَةُ الْوَاضِحَةُ.

اَلضَّنِينُ: اَلْبَخِيلُ.

اَلرَّجِيمُ: اَلْمَطْرُودُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّـهِ.

اَلذِّكْرُ: التَّنْبِيهُ وَالتَّذْكِيرُ.

﴿اَلْـبَـيَـانُ﴾

ـ أَقْسَمَ اللَّـهُ بِأُمُورٍ ثَلَاثَةٍ، عَلَى أَنَّ مَا قَصَّ عَلَيْنَا مِنْ حَوَادِثِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ حَقٌّ لَا مِرْيَةَ فِيهِ:

فَأَوَّلُهَا: اَلْكَوَاكِبُ: مَصْدَرُ الْأَنْوَارِ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ.

ثَانِيهَا: اَللَّيْلُ: إِذْ جَعَلَهُ اللَّـهُ سَكَنًا يَسْتَكْمِلُ فِيهِ الْجِسْمُ رَاحَتَهُ.

ثَالِثُهَا: اَلصُّبْحُ: إِذَا ظَهَرَ نُورُهُ، وَهُوَ وَقْتُ: الطَّاعَةِ وَابْتِغَاءِ الْكَسْبِ.

وَالْمَقْصُودُ مِنْ هَذَا الْحَلِفِ، أَنَّ هَذَا الذِي أَخْبَرَكُمْ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ، لَيْسَ بِكَهَانَةٍ وَلَا ظَنٍّ، وَإِنَّمَا هُوَ قَوْلٌ نَزَلَ بِهِ جِبْرِيلُ وَحْيًا مِنْ عِنْدِ اللَّـهِ؛

ـ وَقَدْ وَصَفَ اللَّـهُ جِبْرِيلَ بِسِتَّةِ أَوْصَافٍ:

أَوَّلُهَا: أَنَّهُ رَسُولُ اللَّـهِ، يَتَوَلَّى السِّفَارَةَ بَيْنَ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَبَيْنَ مُحَمَّدٍ ﷺ.

ثَانِيهَا: أَنَّهُ كَرِيمٌ يُعْطِي أَفْضَلَ الْعَطَايَا، وَهِيَ الْهِدَايَةُ وَالْإِرْشَادُ.

ثَالِثُهَا: أَنَّهُ صَاحِبُ قُوَّةٍ، لَا يَعْجِزُ عَنِ الْقِيَامِ بِمَا وُكِلَ إِلَيْهِ.

رَابِعُهَا: أَنَّهُ ذُو مَكَانَةٍ وَمَنْزِلَةٍ عِنْدَ رَبِّهِ.

خَامِسُهَا: أَنَّهُ مُطَاعٌ فِي الْمَلَائِكَةِ، فَهُمْ يَأْتَمِرُونَ بِأَمْرِهِ، وَيَرْجِعُونَ إِلَى رَأْيِهِ.

سَادِسُهَا: أَنَّهُ أَمِينٌ عَلَى وَحْيِ اللَّـهِ الذِي كُلِّفَ بِتَبْلِيغِهِ، لَا يَزِيدُ وَلَا يُنْقِصُ.

* ثُمَّ نَفَى اللَّـهُ عَنْ مُحَمَّدٍ الْجُنُونَ كَمَا يَدَّعِي الْمُكَذِّبُونَ، وَأَخْبَرَ:

أَنَّهُ رَأَى جِبْرِيلَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، وَمَا هُوَ بِالذِي يَكْتُمُ شَيْئًا كُلِّفَ بِإِبْلَاغِهِ، فَلَيْسَ مُحَمَّدٌ بِمُتَّهَمٍ عَلَى الْغَيْبِ، وَلَكِنَّهُ الصَّادِقُ الْأَمِينُ،

وَلَيْسَ الْوَحْيُ الذِي جَاءَ بِهِ هُوَ قَوْلَ شَيْطَانٍ يُلْقِيهِ عَلَى لِسَانِهِ، فَأَيَّ طَرِيقٍ تَسْلُكُونَهُ بَعْدَ أَنْ بَطَلَتْ جَمِيعُ مُفْتَرَيَاتِكُمْ، فَلَمْ يَبْقَ لَكُمْ إِلَّا الْخُضُوعُ؛ وَمَا

الْقُرْآنُ إِلَّا تَذْكِيرٌ يُذَكِّرُكُمْ بِاللَّهِ، فَالسَّعِيدُ مَنْ وُعِظَ بِهِ، لَكِنَّ الْقُرْآنَ إِنَّمَا يَنْتَفِعُ بِهِ مَنْ شَاءَ أَنْ يَسْتَقِيمَ، أَمَّا مَنْ صَرَفَ نَفْسَهُ عَنْهُ فَالْقُرْآنُ لَا يُؤَثِّرُ فِيهِ، وَإِنَّ إِرَادَتَنَا وَمَشِيئَتَنَا مَخْلُوقَةٌ لِلَّهِ إِنْ شَاءَ سَلَبَهَا وَجَعَلَنَا مِثْلَ الْحَيَوَانِ الْأَعْجَمِ، الَّذِي لَا إِرَادَةَ لَهُ.

﴿ اَلْعِبْرَةُ ﴾

ـ تُرْشِدُكَ هَذِهِ السُّورَةُ إِلَى: أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ الْكِيَاسَةِ وَالْحَزْمِ أَنْ تُضَيِّعَ أَوْقَاتِكَ سُدًى دُونَ أَنْ تَشْتَغِلَهَا فِيمَا يَعُودُ عَلَيْكَ بِالْخَيْرِ وَالسَّعَادَةِ فِي دِينِكَ وَدُنْيَاكَ. وَالْآيَةُ الَّتِي مَرَّتْ بِكَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ﴾ أَكْبَرُ عِظَةٍ تُنَبِّهُكَ إِلَى أَنَّكَ سَتَقِفُ عَلَى مَصِيرِكَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الْمَهُولِ، فَلَا يَلِيقُ بِكَ أَنْ تُعْرِضَ عَنْ رَبِّكَ وَلَا تُفَكِّرَ فِي عَاقِبَةِ أَمْرِكَ، بَلْ عَلَيْكَ أَنْ تَغْتَنِمَ أَوْقَاتِ فَرَاغِكَ لِإِصْلَاحِ مَعَاشِكَ وَمَعَادِكَ، فَعُمُرُكَ قَصِيرٌ لَا يَتَّسِعُ لِلَّهْوِ وَاللَّعِبِ وَالتَّرَدُّدِ عَلَى الْمَقَاهِي وَالْمَلَاهِي، فَإِذَا لَمْ تُؤَدِّ وَاجِبَكَ نَحْوَ: رَبِّكَ وَأَهْلِكَ وَوَطَنِكَ فِي حَيَاتِكَ فَهَلْ تُؤَدِّيهِ بَعْدَ مَمَاتِكَ؟ أَمْ تَطْلُبُ مِنْ مَلَكِ الْمَوْتِ أَنْ يُمْهِلَكَ إِذَا جَاءَكَ؟ فَيَصْدُقَ عَلَيْكَ قَوْلُ اللَّهِ: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ۝ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّآ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ﴾ (المؤمنون: ٩٩-١٠٠).

فَاعْرِفْ قِيمَةَ الْوَقْتِ وَلَا تُضَيِّعْهُ فِي قِيلٍ وَقَالٍ فَتَخْسَرَ حَيَاتَكَ الَّتِي هِيَ رَأْسُ مَالِكَ، وَاقْتَدِ بِإِمَامِكَ الْأَعْظَمِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ، فَقَدْ كَانَ لَا يَخْلُو وَقْتُهُ: مِنْ تَعْلِيمِ جَاهِلٍ، وَإِرْشَادِ ضَالٍّ، وَتَذَلُّلٍ وَخُضُوعٍ لِرَبِّهِ، وَلَقَدْ قَامَ اللَّيْلَ حَتَّى وَرِمَتْ قَدَمَاهُ وَقَالَ لِمَنْ أَشْفَقَ عَلَيْهِ: «أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا»[1].

* أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَمُنَّ عَلَيْنَا بِالتَّوْفِيقِ وَالْهِدَايَةِ.

---

(١) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ حَتَّى تَتَفَطَّرَ قَدَمَاهُ، فَقُلْتُ لَهُ: لِمَ تَصْنَعُ هَذَا، يَا رَسُولَ اللهِ، وَقَدْ غُفِرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ قَالَ: «أَفَلَا أَكُونُ عَبْداً شَكُوراً»: مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

﴿سُورَةُ الإِنْفِطَارِ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ ۝ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ ۝ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ۝ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ۝ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾

﴿تَفْسِيرُ الْمُفْرَدَاتِ﴾

اِنْفَطَرَتْ: إِنْشَقَّتْ وَتَهَدَّمَ بِنَاؤُهَا.

اِنْتَثَرَتْ: سَقَطَتْ مُتَفَرِّقَةً فِي الْفَضَاءِ.

فُجِّرَتْ: فَاضَتْ عَلَى سَطْحِ الأَرْضِ.

بُعْثِرَتْ: قُلِبَ أَسْفَلُهَا أَعْلَاهَا لِيَخْرُجَ مَنْ فِيهَا مِنَ الْمَوْتَى أَحْيَاءً.

﴿اَلْبَيَانُ﴾

ذَكَرَ اللّٰهُ لَنَا فِي صَدْرِ هَذِهِ السُّورَةِ عَلَامَاتٍ أَرْبَعَةً مِنْ حَوَادِثِ ذَلِكَ الْيَوْمِ الذِي يَفْنَى فِيهِ الْعَالَمُ:

أَوَّلُهَا: تَشَقُّقُ السَّمَاءِ.

ثَانِيهَا: تَسَاقُطُ النُّجُومِ.

ثَالِثُهَا: فَيَضَانُ الْبِحَارِ وَاخْتِلَاطُ عَذْبِهَا بِمَالِحِهَا.

رَابِعُهَا: تَبَعْثُرُ الْقُبُورِ وَقَلْبُ أَسْفَلِهَا أَعْلَاهَا لِيَخْرُجَ مَنْ فِيهَا مِنَ الْمَوْتَى أَحْيَاءً.

وَفِي ذَلِكَ الْيَوْمِ يَعْلَمُ كُلُّ إِنْسَانٍ مَا قَدَّمَهُ لِنَفْسِهِ مِنَ الأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ وَمَا أَهْمَلَهُ وَأَخَّرَهُ وَتَكَاسَلَ عَنْهُ؛

وَالْمَقْصُودُ التَّرْغِيبُ فِي الطَّاعَةِ وَالتَّنْفِيرُ مِنَ الْمَعْصِيَةِ:

﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ۝ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ۝ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ۝ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ ۝ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝ كِرَامًا كَاتِبِينَ ۝ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝﴾

﴿تَفْسِيرُ الْمُفْرَدَاتِ﴾

غَرَّكَ: خَدَعَكَ.

اَلْكَرِيمُ: اَلْمُحْسِنُ.

سَوَّاكَ: أَكْمَلَكَ.

عَدَلَكَ: جَعَلَكَ مُتَنَاسِبَ الْخَلْقِ مُعْتَدِلَ الْقَامَةِ.

﴿اَلْبَيَانُ﴾

اَلْمُرَادُ بِالْإِنْسَانِ مَا يَشْمَلُ الْكَافِرَ وَالْعَاصِيَ؛

ـ وَالْمَعْنَى: يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ الْعَاقِلُ، مَا الَّذِي خَدَعَكَ وَجَرَّأَكَ عَلَى عِصْيَانِ رَبِّكَ؟ الَّذِي خَلَقَكَ وَنَقَلَكَ فِي أَطْوَارٍ مُخْتَلِفَةٍ: مِنْ نُطْفَةٍ إِلَى عَلَقَةٍ، إِلَى مُضْغَةٍ، إِلَى جَنِينٍ، إِلَى طِفْلٍ كَامِلِ النُّمُوِّ وَمُسْتَعِدٍّ لِلْحَرَكَةِ قَابِلٍ لِلْحَيَاةِ؛

فَأَمَدَّكَ: بِالسَّمْعِ، وَالْبَصَرِ، وَالْعَقْلِ، وَالْفُؤَادِ،

وَعَدَّلَ خَلْقَكَ: فِي الْعَيْنَيْنِ، وَالْأُذُنَيْنِ، وَالْيَدَيْنِ، وَالرِّجْلَيْنِ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ؛

فَلَوْ عَرَفْتَ أَصْلَكَ وَنَظَرْتَ إِلَى نَفْسِكَ نَظْرَةَ الْمُتَدَبِّرِ الْحَكِيمِ، لَوَجَدْتَ نَفْسَكَ كَمَمْلَكَةٍ عَظِيمَةٍ، يَقُومُ كُلُّ عُضْوٍ فِيهَا بِمَا كُلِّفَ بِهِ، فَكَانَ مِنَ الْوَاجِبِ عَلَيْكَ أَنْ: تَشْكُرَ رَبَّكَ عَلَى عَطَايَاهُ، وَتَمْتَثِلَ لِأَوَامِرِهِ، وَتُصَدِّقَ بِوَعْدِهِ وَوَعِيدِهِ، وَلَا تَتَكَاسَلَ عَنْ أَدَاءِ فَرَائِضِهِ، اتِّكَالاً عَلَى رَحْمَتِهِ وَعَفْوِهِ وَكَرَمِهِ، فَهَذَا ظَنٌّ خَاطِئٌ مِنْكَ؛

فَكَمَا أَنَّ اللَّـهَ كَرِيمٌ، فَهُوَ جَبَّارٌ مُنْتَقِمٌ، يَجْزِي كُلَّ إِنْسَانٍ بِمَا عَمِلَ؛

فَلَا تَغْتَرَّ بِكَرَمِ اللَّـهِ وَتَتَهَاوَنْ بِأَوَامِرِهِ: فَتَعْمَلَ الْفَاحِشَةَ، وَتَشْرَبَ الْخَمْرَ، وَتَلْعَبَ الْمَيْسِرَ، وَتَتْرُكَ الصَّلَاةَ، وَتَأْخُذَ الرِّشْوَةَ، وَتَشْهَدَ الزُّورَ، فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ هَذِهِ الْمُوبِقَاتِ كُنْتَ مِنَ الْعَاصِينَ الْمُكَذِّبِينَ بِيَوْمِ الْجَزَاءِ، إِذِ الْمُصَدِّقُ تَرَاهُ مُقْبِلاً عَلَى رَبِّهِ خَائِفًا مِنْ ذَنْبِهِ، وَمِنَ الْمَلَائِكَةِ الَّذِينَ يُحْصُونَ وَيَكْتُبُونَ عَلَيْهِ أَعْمَالَهُ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ؛

فَإِذَا رَأَيْتَ أُنَاسًا يَعْكُفُونَ عَلَى عِصْيَانِ اللَّـهِ، وَيَدْأَبُونَ عَلَى مُخَالَفَتِهِ، وَيُصِرُّونَ عَلَى عِصْيَانِهِمْ، كَانَ عَمَلُهُمْ هَذَا دَلِيلاً عَلَى عَدَمِ إِيمَانِهِمْ، وَبُرْهَانًا عَلَى فَقْدِ الْعَقِيدَةِ

الصَّحِيحَةِ مِنْ قُلُوبِهِمْ، وَإِنْ كَانَتْ لَهُ عَقِيدَةٌ فَهِيَ عَقِيدَةٌ وَاهِيَةٌ هِيَ وَالْعَدَمُ سَوَاءٌ، لِأَنَّهَا لَمْ تَتَغَلَّبْ عَلَى الشَّهَوَاتِ، وَلَمْ تَحُلْ بَيْنَ صَاحِبِهَا وَبَيْنَ الْجَرَائِمِ، نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُقَوِّيَ عَقِيدَتَنَا:

﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ۝ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ۝ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ ۝ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ۝ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ۝ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ۝﴾

﴿تَفْسِيرُ الْمُفْرَدَاتِ﴾

اَلْأَبْرَارُ: اَلَّذِينَ صَدَقُوا فِي إِيمَانِهِمْ.

اَلْفُجَّارُ: اَلْفُسَّاقُ الَّذِينَ مَالُوا عَنِ الْعَمَلِ الصَّالِحِ إِلَى الْبَاطِلِ.

اَلنَّعِيمُ: طِيبُ الْعَيْشِ.

صَلَى النَّارَ: قَاسَى حَرَّهَا.

أَدْرَاكَ: بِمَعْنَى أَعْلَمَكَ.

﴿اَلْبَيَانُ﴾

* تَضَمَّنَتْ هَذِهِ الْآيَاتُ:

1) أَنَّ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرِيقَانِ: فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ، وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ:

ـ فَالْفَرِيقُ الْأَوَّلُ: وَهُمُ الْأَبْرَارُ، يَسْكُنُونَ فِي نَعِيمِ الْجَنَّةِ، لِأَنَّهُمْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ.

ـ وَالْفَرِيقُ الثَّانِي: وَهُمُ الْفُجَّارُ، يَسْكُنُونَ النَّارَ، لِأَنَّهُمْ خَرَجُوا عَنْ حُدُودِ اللَّهِ وَتَهَاوَنُوا بِأَوَامِرِهِ.

2) وَأَنَّ يَوْمَ الْجَزَاءِ لَيَوْمٌ عَظِيمٌ فِي الْهَوْلِ وَالْفَظَاعَةِ، إِذْ فِيهِ تَصْدُرُ الْأَحْكَامُ عَلَى كُلِّ مَخْلُوقٍ: إِمَّا بِنَعِيمٍ، وَإِمَّا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ، لَيْسَ فِيهِ مُحَابَاةٌ وَلَا قَرَابَةٌ، لَا يَجِدُ الْمَرْءُ فِيهِ إِلَّا عَمَلَهُ الَّذِي قَدَّمَهُ.

3) وَأَنَّ الْأَمْرَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ لِلَّهِ وَحْدَهُ، لَا يُشَارِكُهُ فِيهِ أَحَدٌ.

﴿اَلْعِبْـرَةُ﴾

تُرْشِدُكَ هَذِهِ السُّورَةُ إِلَى: أَنَّ النَّاسَ مِنْ جِهَةِ الطَّاعَةِ وَالْخَوْفِ مِنَ اللهِ صِنْفَانِ:

- صِنْفٌ: يَعْمَلُ الْخَيْرَ وَيَتْرُكُ الْأَذَى وَالشُّرُورَ، وَهُمُ الذِينَ عَمَرُوا الدُّنْيَا بِإِصْلَاحَاتِهَا وَمَشْرُوعَاتِهِمُ الْمُفِيدَةِ رَجَاءَ ثَوَابِ اللَّـهِ: وَقَدْ وَصَفَتْهُمُ الْآيَةُ بِالْأَبْرَارِ.

- وَالصِّنْفُ الثَّانِي: اَلْأَشْرَارُ الْأَغْرَارُ الذِينَ لَا يَخْشَوْنَ اللَّـهَ وَلَا يَرْجُونَ ثَوَابَهُ، تَرَاهُمْ يُقْبِلُونَ عَلَى الشَّهَوَاتِ، وَيُرَوِّجُونَ أَسْوَاقَ الْمُوبِقَاتِ، وَإِذَا سُئِلُوا عَنْ ذَلِكَ قَالُوا لِلسَّائِلِ: لَا تُضَيِّقْ وَاسِعًا فَاللَّـهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ، وَنَسُوا أَنَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ، كَمَا نَسُوا أَنَّ رَسُولَ اللَّـهِ ﷺ جَمَعَ عَشِيرَتَهُ وَأَخَذَ يَعِظُهُمْ وَيُخَوِّفُهُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّـهِ، فَقَدْ قَالَ لِابْنَتِهِ فَاطِمَةَ: (يَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ، سَلِينِي مِنْ مَالِي مَا شِئْتِ، إِنِّي لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللَّـهِ شَيْئًا؛ يَا صَفِيَّةُ عَمَّتِي، لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللَّـهِ شَيْئًا).

فَإِذَا كَانَ الرَّسُولُ مَعَ جَلَالَةِ قَدْرِهِ وَعَظِيمِ مَنْزِلَتِهِ عِنْدَ رَبِّهِ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَدْفَعَ عَنْ عَشِيرَتِهِ عَذَابَ اللهِ إِذَا هُمُ اسْتَحَقُّوا عَذَابَهُ؛

فَمَاذَا بَقِيَ لِأَصْحَابِ الْأَمَانِي الْكَاذِبَةِ بَعْدَ هَذَا ؟

* أَسْأَلُ اللَّـهَ أَنْ يَهَبَ لَنَا فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ: عِلْمًا نَافِعًا، وَحَيَاءً عَنِ الْقَبِيحِ دَافِعًا، وَعَمَلًا يَكُونُ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّنَا شَافِعًا، حَتَّى نَخْرُجَ مِنَ الدُّنْيَا بِزَادٍ مِنَ التُّقَى، فِيهِ الْغِنَى يَوْمَ اللِّقَاءِ.

﴿سُـورَةُ الْمُطَفِّفِيـنَ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝ أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

﴿تَفْسِيـرُ الْمُفْـرَدَاتِ﴾

اَلْوَيْلُ: اَلْهَلَاكُ.
اَلتَّطْفِيفُ: اَلنَّقْصُ فِي الْكَيْلِ وَالْوَزْنِ.
أَخْسَرَهُ: أَنْقَصَهُ مِنْ حَقِّهِ.

﴿اَلْـبَـيَـانُ﴾

يُطَالِبُ اللّٰهُ تُجَّارَ الْأُمَّةِ: بِإِيفَاءِ الْكَيْلِ إِذَا كَالُوا، وَبِالْوَزْنِ الْعَادِلِ إِذَا وَزَنُوا، وَيُعَرِّفُهُمْ أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ الدِّينِ أَنَّهُمْ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ اسْتَوْفَوْا حَقَّهُمْ، وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ نَقَصُوا نَصِيبَهُمْ؛

فَإِنَّ ذَلِكَ لَيْسَ يَتَّفِقُ هُوَ وَالْإِنْصَافَ، لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ يَتَّفِقُ مَا طَفَّفُوا كَيْلاً وَلَا بَخَسُوا وَزْنًا، وَلَكِنَّ عَمَلَهُمْ هَذَا دَلِيلٌ عَلَى عَدَمِ اعْتِقَادِهِمْ بِيَوْمِ الْجَزَاءِ، اَلَّذِي يَقِفُ فِيهِ النَّاسُ لِلْعَرْضِ عَلَى خَالِقِهِمْ، لِيَحْكُمَ فِيهِمْ حُكْمَهُ، وَيَقْضِي فِيهِمْ قَضَاءَهُ.

وَفِي هَذَا الْكَلَامِ مِنَ الْبَيَانِ الْبَلِيغِ لِعِظَمِ الذَّنْبِ مَا لَيْسَ يَخْفَى عَلَى مُتَدَبِّرٍ:

﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ۝ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ۝ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ۝ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ۝ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۝ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝ ﴾

﴿تَفْسِيرُ الْمُفْرَدَاتِ﴾

كَلَّا: حَرْفُ رَدْعٍ وَزَجْرٍ.
اَلْفُجَّارُ: جَمْعُ فَاجِرٍ، وَهُوَ الْمُسْتَلْزِمُ لِلْمَعَاصِي.
اَلسِّجِّينُ: مَأْخُوذٌ مِنَ السِّجْنِ وَهُوَ الْحَبْسُ.
اَلْمَرْقُومُ: اَلْمَخْطُوطُ خَطًّا وَاضِحًا بَيِّنًا، لِأَنَّ الرَّقْمَ الْخَطُّ الْغَلِيظُ.
اَلدِّينُ: اَلْجَزَاءُ وَالطَّاعَةُ.
اَلْمُعْتَدِي: اَلْمُتَجَاوِزُ لِلْحُدُودِ.
اَلْأَثِيمُ: اَلْمُذْنِبُ.
اَلْأَسَاطِيرُ: اَلْأَكَاذِيبُ.

﴿اَلْبَيَانُ﴾

تُرْشِدُكَ هَذِهِ الْآيَاتُ:

أَنَّهُ لَا يُقْدِمُ عَلَى التَّطْفِيفِ وَسُوءِ الْمُعَامَلَةِ، إِلَّا مَنْ يُنْكِرُ مَا أَوْعَدَ اللَّهُ بِهِ مِنَ الْبَعْثِ وَالْحِسَابِ، مَعَ أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْهُمَا لِيَنَالَ الْمُطَفِّفُ جَزَاءَهُ مِنَ الْعِقَابِ، وَيَنَالَ الْمُوَفِّي حَقَّهُ مِنَ الثَّوَابِ؛

وَأَنَّ كُلَّ ذَنْبٍ مُقَيَّدٌ فِي كِتَابٍ، وَهَذَا الْكِتَابُ لَهُ عَلَامَةٌ خَاصَّةٌ تُمَيِّزُهُ يُعْرَفُ بِهَا أَنَّهُ فَاجِرٌ؛

وَأَنَّهُ لَا يُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ إِلَّا كُلُّ مُتَجَاوِزٍ لِلْحُدُودِ الْمَشْرُوعَةِ الَّذِي يُكْثِرُ مِنِ ارْتِكَابِ الْمَعَاصِي وَالْآثَامِ، إِذَا سَمِعَ كِتَابَ اللَّهِ يُتْلَى سَخِرَ مِنْ آيَاتِهِ وَقَالَ: إِنَّهَا أَكَاذِيبُ الْأَوَّلِينَ لَيْسَتْ مُنَزَّلَةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِلَى رَسُولِهِ ﷺ:

﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۝ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ۝ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ۝ كَلَّا ﴾

﴿تَفْسِيرُ الْمُفْرَدَاتِ﴾

اَلرَّيْنُ: أَنْ يَسْوَدَّ الْقَلْبُ مِنَ الذُّنُوبِ، وَالرَّيْنُ كَالصَّدَإِ يَغْشَى الْقَلْبَ.

اَلْجَحِيمُ: النَّارُ.

﴿اَلْبَيَانُ﴾

لَيْسَ الْقُرْآنُ أَخْبَارَ الْأَوَّلِينَ أَخَذَهَا النَّبِيُّ ﷺ عَنْ بَعْضِ النَّاسِ، بَلْ هُوَ كَلَامُ اللَّهِ أَوْحَاهُ إِلَى رَسُولِهِ، وَلَكِنَّ الَّذِي جَرَّهُمْ إِلَى الطَّعْنِ فِي آيَاتِ اللَّهِ، وَإِنْكَارِ أَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ، كَثْرَةُ الذُّنُوبِ الَّتِي جَعَلَتْ عَلَى قُلُوبِهِمْ حِجَابًا، حَتَّى صَارُوا لَا يُفَرِّقُونَ بَيْنَ الْكَذِبِ وَالصِّدْقِ، وَلَا يُمَيِّزُونَ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَفِي الْحَدِيثِ: ﴿ أَنَّ الْعَبْدَ كُلَّمَا أَذْنَبَ ذَنْبًا حَصَلَتْ فِي قَلْبِهِ نُقْطَةٌ سَوْدَاءُ حَتَّى يَسْوَدَّ قَلْبُهُ، فَإِنْ تَابَ

صُقِلَ قَلْبُهُ، وَإِنْ عَادَ زِيدَ فِيهَا حَتَّى تَعْلُوَ قَلْبَهُ، وَهُوَ الرَّانُ الذِي ذَكَرَهُ اللَّـهِ﴾[1]، وَإِيضَاحُ ذَلِكَ: أَنَّ الْعَبْدَ إِذَا اسْتَمَرَّ عَلَى إِتْيَانِ ذَنْبٍ مِنَ الذُّنُوبِ يَصِيرُ ذَلِكَ الذَّنْبُ عَادَةً لَهُ، فَيَأْتِيهِ مِنْ غَيْرِ تَدَبُّرٍ وَلَا رَوِيَّةٍ، فَيُظْلِمُ قَلْبُهُ حَتَّى لَا يَبْقَى مَنْفَذٌ لِلنُّورِ يَدْخُلُ إِلَيْهِ مِنْهُ، وَلِهَذَا كَانَ السَّلَفُ يَقُولُونَ: اَلْمَعَاصِي بَرِيدُ الْكُفْرِ.

فَلْيَعْلَمْ هَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبُونَ أَنَّهُمْ بِسَبَبِ طَعْنِهِمْ فِي كِتَابِ اللَّـهِ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّـهُ، وَلَا يَكُونُونَ عِنْدَهُ مِنَ الْـمُقَرَّبِينَ، بَلْ مِنَ الْمَطْرُودِينَ مِنْ رَحْمَتِهِ وَثَوَابِهِ، يُرْمَى بِهِمْ فِي نَارِ جَهَنَّمَ يُقَاسُونَ حَرَّهَا، وَتَقُولُ لَهُمْ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ زِيَادَةً فِي التَّنْكِيلِ وَالتَّقْرِيعِ: هَذَا هُوَ الْعَذَابُ الذِي كُنْتُمْ إِذَا سَمِعْتُمْ خَبَرَهُ مِنَ الرَّسُولِ كَذَّبْتُمُوهُ، وَقَدْ عَايَنْتُمْ بِأَنْفُسِكُمُ الْآنَ أَحَقٌّ هُوَ أَمْ وَهْمٌ وَخَيَالٌ؟ فَأَقْلِعُوا عَنْ غَيِّكُمْ تَفُوزُوا بِرِضَاءِ رَبِّكُمْ.

ثُمَّ إِنَّ اللَّـهَ تَعَالَى لَمَّا ذَكَرَ حَالَ الْفُجَّارِ وَبَيَّنَ سُوءَ مَصِيرِهِمْ، أَتْبَعَهُ بِذِكْرِ الْأَبْرَارِ وَمَا وَعَدَهُمْ بِهِ مِنْ نَعِيمِ الْآخِرَةِ فَقَالَ:

﴿ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾

﴿تَفْسِيرُ الْمُفْرَدَاتِ﴾

اَلْأَبْرَارُ: جَمْعُ بَرٍّ، وَهُوَ الْمُتَوَسِّعُ فِي فِعْلِ الْخَيْرِ.

اَلْعُلُوُّ: اَلسَّعَادَةُ وَحُسْنُ الْحَالِ، وَالسُّفْلُ: اَلضِّيقُ وَالشَّقَاوَةُ وَسُوءُ الْحَالِ.

---

(1) اَلْحَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّـهِ ﷺ قَالَ: (إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَخْطَأَ خَطِيئَةً نُكِتَتْ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، فَإِذَا هُوَ نَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ وَتَابَ صُقِلَ قَلْبُهُ، وَإِنْ عَادَ زِيدَ فِيهَا حَتَّى تَعْلُوَ قَلْبَهُ، وَهُوَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَ اللَّـهُ: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ ـ وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ ـ وَأَحْمَدُ، وَالنَّسَائِيُّ، وَابْنُ مَاجَهْ، وَابْنُ أَبِي الدُّنْيَا، وَابْنُ حِبَّانَ، وَالْـحَاكِمُ، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي شُعَبِ الْإِيمَانِ، وَغَيْرُهُمْ.

مَرْقُومٌ: مَخْطُوطٌ خَطًّا وَاضِحًا بَيِّنًا.

اَلْأَرَائِكُ: جَمْعُ أَرِيكَةٍ، وَهِيَ السَّرِيرُ.

اَلرَّحِيقُ: اَلشَّرَابُ الْخَالِصُ مِنَ الْغِشِّ.

اَلتَّنَافُسُ: اَلتَّسَابُقُ، وَأَصْلُهُ مُجَاهَدَةُ النَّفْسِ لِبُلُوغِ دَرَجَةِ الْأَفَاضِلِ.

اَلْمِزَاجُ: اَلشَّيْءُ الذِي يُخْلَطُ بِغَيْرِهِ.

اَلتَّسْنِيمُ: عَيْنٌ فِي الْجَنَّةِ، سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّ مَاءَهَا أَرْفَعُ شَرَابٍ.

﴿ اَلْـبَـيَـانُ ﴾

بَيَّنَ اللَّـهُ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ: أَنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَيْسَ كَكِتَابِ الْفُجَّارِ:

فَالْأَوَّلُ: مُودَعٌ فِي أَعْلَى مَكَانٍ؛

وَالثَّانِي: فِي أَسْفَلِ مَكَانٍ؛

وَفِي هَذَا الْبَيَانِ إِشَارَةٌ إِلَى قُرْبِ الْأَبْرَارِ مِنَ اللَّـهِ وَعُلُوِّ دَرَجَتِهِمْ.

وَكِتَابُ الْأَبْرَارِ: كِتَابٌ وَاضِحُ الْخَطِّ، قَدِ امْتَازَ عَلَى كِتَابِ الْفُجَّارِ أَنَّهُ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ مِنَ الْمُتَّقِينَ، فَيَطَّلِعُونَ عَلَيْهِ لِيَرَوْا جَمِيلَ مَا عَمِلَ الْأَبْرَارُ، فَيَزْدَادُ سُرُورُ هَؤُلَاءِ بِحُسْنِ مَا قَدَّمُوا؛

وَيَجُوزُ أَنْ يُرَادَ بِالْمُقَرَّبِينَ: الْمَلَائِكَةُ، أَوِ الْأَبْرَارُ أَنْفُسُهُمْ؛

وَمَعْنَى شُهُودِهِمْ لِكُتُبِهِمْ: أَنَّهُمْ يَفْرَحُونَ بِقِرَاءَتِهَا وَلَا يَنْفِرُونَ كَمَا يَنْفِرُ الْفُجَّارُ.

ثُمَّ أَخْبَرَنَا جَلَّ شَأْنُهُ:

أَنَّ الْأَبْرَارَ يَتَمَتَّعُونَ بِنَعِيمِ الْجَنَّةِ، وَأَنَّ ذَلِكَ النَّعِيمَ يَظْهَرُ أَثَرُهُ فِي وُجُوهِهِمْ، فَتَرَاهَا ذَاتَ: بَهْجَةٍ، وَحُسْنٍ، وَجَمَالٍ؛ وَأَنَّهُمْ يَجْلِسُونَ فِي الْجَنَّةِ عَلَى سُرُرٍ مَرْفُوعَةٍ، يَمُدُّونَ أَعْيُنَهُمْ إِلَى مَا شَاؤُوا مِنَ الْمَنَاظِرِ الْجَمِيلَةِ؛

كَمَا أَنَّهُمْ يَشْرَبُونَ مِنْ شَرَابٍ لَا يُصِيبُ شَارِبَهُ مِنْهُ أَذًى، وَمَوْضُوعُ هَذَا الشَّرَابِ فِي قَوَارِيرَ، عَلَى كُلٍّ مِنْهَا غِطَاءٌ لَمْ يُصْنَعْ مِنَ الطِّينِ بَلْ مِنَ الْمِسْكِ؛

كَمَا أَنَّ هَذَا الشَّرَابَ مُزِجَ بِمَاءٍ آخَرَ يَزِيدُهُ طِيبًا إِلَى طِيبِهِ، وَهَذَا الْمَاءُ مِنْ عَيْنٍ عَالِيَةِ الْقَدْرِ فِي الْجَنَّةِ تُسَمَّى التَّسْنِيمَ.

هَذَا النَّعِيمُ الذِي وَصَفَهُ اللَّـهُ لَنَا مِمَّا تَتَشَوَّقُ لَهُ النُّفُوسُ، وَيَرْغَبُ فِيهِ كُلُّ مُؤْمِنٍ، فَهَلْ يَلِيقُ بِنَا أَنْ نَلْتَهِيَ بِدُنْيَا زَائِلَةٍ، عَنْ جَنَّةٍ فِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ، بَلِ الْأَوْلَى أَنْ نَدَعَ التَّنَافُسَ فِيمَا لَا يُفِيدُ، وَنَحُثُّ أَنْفُسَنَا وَالْمُقَصِّرِينَ مِنَّا عَلَى عَمَلِ الصَّالِحَاتِ، لِيَكُونَ لَنَا مِثْلُ مَا لِهَؤُلَاءِ الذِينَ اسْتَحَقُّوا هَذِهِ الْمَنْزِلَةَ.

ثُمَّ إِنَّ اللَّـهَ تَعَالَى بَعْدَ مَا ذَكَرَ النَّعِيمَ الذِي هَيَّأَهُ لِلْأَبْرَارِ، ذَكَرَ مَا أَعَدَّهُ لِلْمُجْرِمِينَ فَقَالَ:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ ﴾

﴿تَفْسِيرُ الْمُفْرَدَاتِ﴾

اَلْإِجْرَامُ: اِكْتِسَابُ السَّيِّئَاتِ.
اَلْغَمْزُ: اَلْإِشَارَةُ بِالْجَفْنِ وَالْحَاجِبِ بِقَصْدِ السُّخْرِيَةِ.
اَلتَّفَكُّهُ: اَلتَّلَذُّذُ بِالْحَدِيثِ.

﴿اَلْبَيَانُ﴾

مِنَ النَّاسِ مَنْ يَعِيشُونَ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا وَلَا هَمَّ لَهُمْ إِلَّا السُّخْرِيَّةُ وَالِاسْتِهْزَاءُ بِالْمُؤْمِنِينَ الصَّادِقِينَ، فَتَرَاهُمْ لِجَهْلِهِمْ بِالدِّينِ يَضْحَكُونَ عَلَى إِخْوَانِهِمُ الذِينَ يُقِيمُونَ شَعَائِرَ دِينِهِمْ وَيَقُولُونَ: إِنَّهُمْ مُتَأَخِّرُونَ لَا يَفْهَمُونَ مَعْنَى الْمَدَنِيَّةِ؛

وَإِذَا مَرُّوا بِأَحَدٍ مِنْهُمْ يَغْمِزُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا هُزُؤًا بِهِ، وَإِذَا رَجَعُوا إِلَى أَهْلِهِمْ رَجَعُوا فَرِحِينَ فَكِهِينَ، يَتَحَدَّثُونَ إِلَى أَزْوَاجِهِمْ وَأَوْلَادِهِمْ وَأَصْدِقَائِهِمْ ضَعِيفِي الْعَقِيدَةِ وَالْإِيمَانِ مِثْلِهِمْ، فَيَرْمُونَهُمْ بِكَثْرَةِ التَّدَيُّنِ، زَاعِمِينَ أَنَّ تِلْكَ الْعِبَادَاتِ وَهَذِهِ الطَّاعَاتِ لَا تُلَائِمُ الْعُصُورَ الْحَاضِرَةَ، وَأَنَّهَا مَا شُرِعَتْ إِلَّا لِلْأَجْيَالِ الْغَابِرَةِ؛ لِأَجْلِ ذَلِكَ تَرَى كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ يَنْتَسِبُونَ إِلَى الدِّينِ وَلَيْسَ لَهُمْ فِيهِ حَظٌّ وَلَا نَصِيبٌ، لِأَنَّهُمْ قَدْ أَذْهَلَهُمْ عَنْهُ الْغَفْلَةُ وَالِانْدِفَاعُ فِي تَيَّارِ الْأَهْوَاءِ، فَصَارُوا يَرَوْنَ الْمُنْكَرَ مَعْرُوفًا، وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ سُوءَ أَعْمَالِهِمْ، فَكَانَ ضَعْفُ الْوَازِعِ الدِّينِيِّ سَبَبًا

فِي النُّفُورِ مِنْ تَعَالِيمِ الدِّينِ، وَلَوْ كَانَ لَهُمْ وَازِعٌ مِنْ دِينٍ، أَوْ عِنْدَهُمْ رَهْبَةٌ مِنَ الْحِسَابِ الْأُخْرَوِيِّ لَأَقْبَلُوا عَلَى شَعَائِرِ الدِّينِ، وَلَكِنَّهُمْ خَسِرُوا الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ:

﴿وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ ۝ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ۝ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ ۝﴾

﴿تَفْسِيرُ الْمُفْرَدَاتِ﴾

الْأَرَائِكُ: جَمْعُ أَرِيكَةٍ، وَهِيَ السَّرِيرُ.

﴿اَلْبَيَانُ﴾

إِنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا لَمْ يُرْسِلْ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارَ رُقَبَاءَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ يَتَفَقَّدُونَهُمْ وَيُحَاسِبُونَهُمْ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ أَنْ يُحَاسِبُوا أَنْفُسَهُمْ فَيَعْدِلُوا عَلَى مَا اعْوَجَّ مِنْهَا، وَأَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا كَانُوا يَضْحَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ؛

فَفِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ يَضْحَكُ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ الْكُفَّارِ بِسَبَبِ مَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْعَذَابِ، قَدْ جَلَسُوا عَلَى أَرِيكَةٍ، يَنْظُرُونَ مِنْهَا إِلَى صُنْعِ اللَّهِ بِأَعْدَائِهِمُ الَّذِينَ كَانُوا يَهْزَؤُونَ عَلَيْهِمْ:

﴿هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ۝﴾

﴿تَفْسِيرُ الْمُفْرَدَاتِ﴾

ثُوِّبَ: مَعْنَاهُ جُوزِيَ وَأُثِيبَ، وَأَصْلُهُ الثَّوَابُ وَالْمُكَافَأَةُ بِالْخَيْرِ أَوِ الشَّرِّ، وَيُقَالُ ثَابَ إِلَى رُشْدِهِ: رَجَعَ إِلَيْهِ.

﴿اَلْبَيَانُ﴾

هَلْ تَرَكَ اللَّهُ الْمُجْرِمِينَ بِلَا عِقَابٍ؟ أَلَمْ يَجْزِهِمْ سُوءَ أَعْمَالِهِمْ، عَلَى مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ بِكُمْ مِنَ: الضَّحِكِ، وَالْغَمْزِ، وَاللَّمْزِ، وَالِاسْتِهْزَاءِ.

﴿اَلْعِبْرَةُ﴾

تَطْلُبُ مِنْكَ هَذِهِ السُّورَةُ: أَنْ تَزِنَ بِالْمِيزَانِ الْحَقِّ، وَأَنْ تُنْصِفَ النَّاسَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَا تُحِبُّ أَنْ يُنْصِفَكَ غَيْرُكَ؛

فَإِقَامَةُ الْوَزْنِ بِالْقِسْطِ خَيْرٌ لِلْأُمَّةِ فِي دُنْيَاهَا، وَأَحْسَنُ لَهَا فِي عَاقِبَةِ أَمْرِهَا؛ وَخَيْرٌ لِلتَّاجِرِ أَنْ يُعْرَفَ بِالصِّدْقِ، وَيَشْتَهِرَ بِالنَّصِيحَةِ، فَإِنَّ ذَلِكَ يُكْسِبُهُ ثِقَةَ النَّاسِ بِهِ، لِأَنَّ ثِقَةَ النَّاسِ بِالتَّاجِرِ هِيَ مِفْتَاحُ سَعَادَتِهِ وَطَرِيقُ نَجَاحِهِ، وَمَتَى عُرِفَ التَّاجِرُ بِالصِّدْقِ وَاشْتَهَرَ بِالِاسْتِقَامَةِ أَقْبَلَتْ عَلَيْهِ الْأُمَّةُ، وَهَلْ يَنْتَظِرُ التَّاجِرُ ثَرْوَةً أَحْسَنَ مِنْ إِقْبَالِ النَّاسِ عَلَيْهِ؟ هَلْ يَتَمَنَّى مُسْتَقْبَلاً فَوْقَ أَنَّ اسْمَهُ إِذَا ذُكِرَ كَانَ مَقْرُونًا بِالْإِكْبَارِ وَالْإِجْلَالِ؟ تِلْكَ هِيَ غَايَتُهُ فِي دُنْيَاهُ، وَلَهُ عِنْدَ رَبِّهِ فَوْقَ ذَلِكَ نَعِيمٌ دَائِمٌ، وَمَكَانَةٌ عَالِيَةٌ، لِأَنَّهُ نَصَحَ لِأُمَّتِهِ فَلَمْ يَغُشَّهَا، وَوَقَفَ عِنْدَ حُدُودِ دِينِهِ فَلَمْ يَخْرُجْ عَلَيْهِ، وَصَدَقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذْ يَقُولُ: «اَلتَّاجِرُ الصَّدُوقُ الْمُسْلِمُ مَعَ الشُّهَدَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[1].

﴿سُورَةُ الِانْشِقَاقِ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ۝١ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۝٢ وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ۝٣ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ۝٤ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۝٥﴾

﴿تَفْسِيرُ الْمُفْرَدَاتِ﴾

أَذِنَتْ: إِسْتَمَعَتْ لِأَمْرِ رَبِّهَا.

وَحُقَّتْ: إِمْتَثَلَتْ.

﴿اَلْبَيَانُ﴾

(1) أَخْرَجَهُ بِهَذَا اللَّفْظِ الْبَيْهَقِيُّ فِي شُعَبِ الْإِيمَانِ، وَالدَّارَقُطْنِيُّ فِي سُنَنِهِ عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (اَلتَّاجِرُ الصَّدُوقُ الْأَمِينُ الْمُسْلِمُ مَعَ الشُّهَدَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)، وَأَخْرَجَهُ بِلَفْظٍ آخَرَ: الدَّارِمِيُّ، وَابْنُ جَرِيرٍ، وَالتِّرْمِذِيُّ ـ وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ ـ وَالْحَاكِمُ وَغَيْرُهُمْ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (اَلتَّاجِرُ الصَّدُوقُ الْأَمِينُ مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ).

يُنَبِّئُنَا اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِهَذِهِ الْآيَاتِ: أَنَّهُ إِذَا حَانَ وَقْتُ فَنَاءِ هَذَا الْعَالَمِ اخْتَلَّ نِظَامُهُ، فَالسَّمَاءُ تَتَشَقَّقُ صَاغِيَةً لِأَمْرِ رَبِّهَا مُنْقَادَةً لَهُ عِنْدَمَا يَأْمُرُهَا، اِنْقِيَادَ الْمَأْمُورِ الْمِطْوَاعِ إِذَا وَرَدَ عَلَيْهِ أَمْرُ الْآمِرِ الْمُطَاعِ، وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَنْقَادَ لِإِرَادَةِ رَبِّهَا وَتُذْعِنَ لَهُ، لِأَنَّهُ هُوَ الذِي كَوَّنَهَا وَخَلَقَهَا؛

وَمَتَى فَسَدَ نِظَامُ السَّمَاءِ وَتَسَاقَطَتْ كَوَاكِبُهُ اتَّبَعَتْهُ الْأَرْضُ، فَتَرَاهَا مُشَتَّتَةَ الْأَجْزَاءِ، مُتَقَطِّعَةَ الْأَوْصَالِ، لَا يَبْقَى عَلَى سَطْحِهَا: جَبَلٌ، وَلَا إِنْسٌ، وَلَا حَيَوَانٌ، وَلَا فِي جَوْفِهَا كَنْزٌ وَلَا مَعْدَنٌ، وَقَدِ امْتَثَلَتْ أَيْضًا لِأَمْرِ رَبِّهَا مِثْلَ السَّمَاءِ، لِأَنَّهَا فِي قَبْضَتِهِ وَتَحْتَ تَصَرُّفِهِ:

﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ ۝ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ۝ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝ وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا ۝ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ۝ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا ۝ وَيَصْلَى سَعِيرًا ۝ إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ۝ إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ ۝ بَلَى إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا ۝﴾

﴿تَفْسِيرُ الْمُفْرَدَاتِ﴾

اَلْكَدْحُ: اَلتَّعَبُ وَالنَّصَبُ.

يَسِيرًا: سَهْلاً.

يَنْقَلِبُ: يَرْجِعُ.

ثُبُورًا: هَلَاكًا.

يَصْلَى: يُقَاسِي.

سَعِيرًا: نَارًا مُلْتَهِبَةً.

يَحُورُ: يَرْجِعُ.

بَصِيرًا: عَالِمًا بِمَا يَعْمَلُهُ.

﴿اَلْبَيَانُ﴾

بَيَّنَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَاتِ: أَنَّ كُلَّ إِنْسَانٍ - سَوَاءٌ كَانَ مُؤْمِنًا أَوْ كَافِرًا أَوْ عَاصِيًا، فَالْخِطَابُ عَامٌّ لِكُلِّ مُكَلَّفٍ - سَيَنْتَهِي إِلَى رَبِّهِ، وَسَيُلَاقِي عَمَلَهُ:

فَالْمُؤْمِنُ السَّعِيدُ يُعْطَى كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ، وَيُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا سَهْلاً لَا مُنَاقَشَةَ فِيهِ وَلَا شِدَّةَ، وَلِذَلِكَ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ﴿مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ عُذِّبَ﴾[1] وَبَعْدَ هَذَا الْحِسَابِ يَرْجِعُ الْمُؤْمِنُ إِلَى: زَوْجَتِهِ، وَأَوْلَادِهِ، وَأَقَارِبِهِ، وَأَصْدِقَائِهِ، فَائِزًا بِالثَّوَابِ، فَرِحًا مَسْرُورًا بِمَا أُوتِيَ مِنَ الْخَيْرِ وَالْكَرَامَةِ؛

أَمَّا الذِي يُؤْتَى كِتَابَهُ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ فَيُنَاوَلُهُ بِشِمَالِهِ، يُعْلَمُ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَيَدْعُو عَلَى نَفْسِهِ بِالْوَيْلِ وَالْهَلَاكِ، لَكِنْ لَا تَنْفَعُهُ هَذِهِ الدَّعَوَاتُ، بَلِ النَّارُ لَا بُدَّ دَاخِلٌ فِيهَا، جَزَاءَ مَا ارْتَكَبَ مِنَ الْآثَامِ وَاجْتَرَحَ مِنَ السَّيِّئَاتِ، فَقَدْ كَانَ فِي الدُّنْيَا بَيْنَ أَهْلِهِ مَسْرُورًا، أَشْغَلَهُ التَّمَتُّعُ بِالْمَالِ وَالْأَهْلِ وَمُعَاقَرَةِ اللَّذَّاتِ عَنِ الْقِيَامِ بِوَاجِبِهِ مِنْ: صَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ، فَلَمْ يَكُنْ يَرْتَدِعُ عَنْ مَعْصِيَتِهِ، ظَنًّا مِنْهُ أَنَّهُ لَنْ يَرْجِعَ إِلَى حَيَاةٍ أُخْرَى فِيهَا الْعِقَابُ وَالثَّوَابُ، وَلَمْ يَدْرِ هَذَا الْجَاهِلُ أَنَّ رَبَّهُ كَانَ عَالِمًا بِمَا يَعْمَلُهُ مِنَ الْمَعْصِيَةِ، فَكَيْفَ يَتْرُكُهُ وَلَا يُعَاقِبُهُ، وَهَذَا زَجْرٌ لِكُلِّ الْمُكَلَّفِينَ عَنْ جَمِيعِ الْمَعَاصِي:

﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ ۝ وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ۝ وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ ۝ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ۝ ﴾

﴿تَفْسِيرُ الْمُفْرَدَاتِ﴾

لَا أُقْسِمُ: عِبَارَةٌ مِنْ عِبَارَاتِ الْقَسَمِ.

الشَّفَقُ: الْحُمْرَةُ التِي تُشَاهَدُ فِي أُفُقِ الْمَغْرِبِ بَعْدَ الْغُرُوبِ، وَبِغَيْبُوبَتِهَا يَدْخُلُ وَقْتُ الْعِشَاءِ.

الْوَسَقُ: مَا يَجْمَعُهُ اللَّيْلُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَذَلِكَ أَنَّ اللَّيْلَ إِذَا أَقْبَلَ أَوَى كُلُّ شَيْءٍ إِلَى مَأْوَاهُ.

---

(1) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ عُذِّبَ، قَالَتْ قُلْتُ أَلَيْسَ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: { فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا } قَالَ ذَلِكِ الْعَرْضُ.

اِتَّسَقَ: مَعْنَاهُ تَمَّ وَتَكَامَلَ وَذَلِكَ مِنْ لَيْلَةِ ثَلَاثَةَ عَشَرَ مِنَ الشَّهْرِ إِلَى سِتَّةَ عَشَرَ.

اَلطَّبَقُ: اَلْحَالُ الَّتِي تُطَابِقُ غَيْرَهَا.

﴿اَلْبَيَانُ﴾

تَضَمَّنَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: أَنَّ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ طَبَقَاتٌ، وَلَيْسَتْ طَبَقَاتُهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَلَى مِثَالِ طَبَقَاتِهِمْ فِي الدُّنْيَا؛ فَكَمْ مِنْ وَضِيعٍ فِي الدُّنْيَا يَحْسَبُهُ النَّاسُ يَصِيرُ رَفِيعًا فِي الْآخِرَةِ، وَكَمْ مِنْ رَفِيعٍ يَصِيرُ وَضِيعًا؛

فَالْمُفَاضَلَةُ بَيْنَ النَّاسِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ لَيْسَتْ فِي الْعَظَمَةِ الْكَاذِبَةِ، وَالْأَمْوَالِ الطَّائِلَةِ، وَالضَّيْعَاتِ الْوَاسِعَاتِ، وَالْقُصُورِ الشَّامِخَةِ، بَلْ فِي الاِسْتِقَامَةِ وَطَاعَةِ اللهِ ﷻ.

﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ ﴿٢١﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٢٥﴾﴾

﴿تَفْسِيرُ الْمُفْرَدَاتِ﴾

اَلسُّجُودُ: اَلْخُضُوعُ وَالاِنْقِيَادُ، وَيُطْلَقُ عَلَى وَضْعِ الْجَبْهَةِ عَلَى الْأَرْضِ.

اَلْإِيعَاءُ: جَمْعُ الشَّيْءِ فِي الْوِعَاءِ.

مَمْنُونٌ: مَقْطُوعٌ.

﴿اَلْبَيَانُ﴾

مَا لِهَؤُلَاءِ الْكُفَّارِ لَا يُصَدِّقُونَ بِالْآخِرَةِ؟ وَمَا لَهُمْ إِذَا قُرِىءَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَخْضَعُونَ لِعَقَائِدِهِ الصَّحِيحَةِ؟ لَا شَكَّ أَنَّ الْعِنَادَ هُوَ الَّذِي أَدَّاهُمْ إِلَى هَذَا الْإِنْكَارِ:

إِمَّا لِأَنَّهُمْ لَا يُرِيدُونَ أَنْ يُخَالِفُوا مَا وَجَدُوا عَلَيْهِ آبَاءَهُمْ؛

وَإِمَّا خَوْفُهُمْ مِنْ أَنَّهُمْ إِذَا آمَنُوا فَاتَتْهُمْ مَنَاصِبُهُمْ؛ لَكِنَّ اللهَ مُطَّلِعٌ عَلَى مَا فِي قُلُوبِهِمْ مِنْ كُفْرٍ وَعِصْيَانٍ، وَإِنَّهُ مُجَازِيهِمْ عَلَى تَكْذِيبِهِمْ بِالْعَذَابِ الْأَلِيمِ.

أَمَّا الَّذِينَ صَدَّقُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ، فَأُولَئِكَ لَهُمْ ثَوَابٌ لَا مَنَّ فِيهِ وَلَا أَذَى.

﴿اَلْعِبْـرَةُ﴾

ـ تُرْشِدُكَ هَذِهِ السُّورَةُ إِلَى: أَنَّ الْقُرْبَةَ إِلَى اللَّـهِ تَعَالَى إِنَّمَا تَكُونُ بِالْأَعْمَالِ لَا بِالظَّوَاهِرِ وَالْهَيْئَاتِ، فَمَاذَا تُجْدِي الْمَظَاهِرُ الْكَاذِبَةُ وَالصُّوَرُ الزَّائِفَةُ، إِذَا كَانَتِ الْقُلُوبُ مِنَ الْإِيمَانِ خَالِيَةً، وَالْأَعْمَالُ سَيِّئَةً خَاسِرَةً، فَاللَّـهُ لَا يَنْظُرُ إِلَى الصُّوَرِ وَالْأَمْوَالِ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى الْقُلُوبِ وَالْأَعْمَالِ؛ فَأَصْحَابُ الْقُلُوبِ النَّقِيَّةِ الْعَامِرَةِ بِالْيَقِينِ ـ الْوَاثِقَةِ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ، الْوَاجِفَةِ مِنْ أَهْوَالِ يَوْمِ الدِّينِ، الَّتِي لَا غِشَّ فِيهَا وَلَا حِقْدَ وَلَا حَسَدَ، وَلَا كِبْرَ وَلَا عُجْبَ، وَلَا رِيَاءَ وَلَا نِفَاقَ، وَلَا بُغْضَ وَلَا شِقَاقَ ـ هِيَ الَّتِي يُقَرِّبُهَا اللَّـهُ وَيُحِبُّهَا، لِأَنَّ بِهَا يَصْلُحُ الْجَسَدُ، وَيَنْتَظِمُ الْعُمْرَانُ؛

* فَاحْرِصْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُ عَلَى: صَلَاحِ قَلْبِكَ، وَاجْتَهِدْ فِي طَاعَةِ رَبِّكَ، وَأَدَاءِ فَرَائِضِهِ، وَالْتِزَامِ حُدُودِهِ، تَكُنْ لَكَ فِي الدُّنْيَا عِزَّةٌ، وَفِي الْآخِرَةِ كَرَامَةٌ، وَتَلْحَقُ بِالْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ خَتَمَ اللَّـهُ بِهِمْ هَذِهِ السُّورَةَ.

يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ ... فَانْظُرْ لِمَا أَعْدَدْتَهُ فِي الْحَشْرِ
هَلَّا ارْعَوَيْتَ أَخِي وَمِلْتَ إِلَى النُّهَى ... وَعَدَلْتَ عَنْ سَرَفِ الْهَوَى وَالْفُجْرِ
أَقْبِلْ عَلَى الرَّحْمَنِ تُعْطَ رِضَاءَهُ ... إِيَّاكَ تَعْدِلُ عَنْهُ يَا ذَا الْحِجْرِ
وَدَعِ الْمَعَاصِيَ وَانْتَبِهْ مِنْ غَفْلَةٍ ... يَا سَادِرًا وَبِنَفْسِهِ لَا يَدْرِي

﴿سُـورَةُ الْبُـرُوجِ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ۝١ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ۝٢ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۝٣ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ۝٤ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ۝٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝٧ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ۝٨ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝٩﴾

﴿تَفْسِيرُ الْمُفْرَدَاتِ﴾

اَلْبُرْجُ: اَلْقَصْرُ وَالْحِصْنُ وَالْمُرَادُ بِالْبُرْجِ هُنَا النُّجُومُ تَشْبِيهًا لَهَا بِالْأَبْنِيَةِ الْفَخْمَةِ.

اَلْيَوْمُ الْمَوْعُودُ: يَوْمُ الْقِيَامَةِ.

اَلْأُخْدُودُ: اَلْخَدُّ، شَقٌّ فِي الْأَرْضِ مُسْتَطِيلٌ عَمِيقٌ.

اَلْوَقُودُ: مَا تُوقَدُ بِهِ النَّارُ مِنْ حَطَبٍ وَنَحْوِهِ.

نَقَمُوا : أَنْكَرُوا.

اَلْعَزِيزُ : اَلْقَادِرُ الَّذِي لَا يَغْلِبُهُ أَحَدٌ.

اَلْحَمِيدُ: الَّذِي يَسْتَحِقُّ الْحَمْدَ وَالثَّنَاءَ.

﴿اَلْبَيَانُ﴾

أَقْسَمَ اللّٰهُ بِثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ تَدُلُّ عَلَى عَظِيمِ قُدْرَتِهِ:

1) فَأَقْسَمَ أَوَّلاً: بِالسَّمَاءِ وَمَا فِيهَا مِنَ الْبُرُوجِ الْمَعْرُوفَةِ لِعُلَمَاءِ الْفَلَكِ؛

وَبُرُوجُ السَّمَاءِ: هِيَ مَنَازِلُ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ.

2) وَأَقْسَمَ ثَانِيًا: بِالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ وَمَا بِهِ مِنْ بَعْثٍ وَحِسَابٍ وَجَزَاءٍ.

3) ثُمَّ أَقْسَمَ ثَالِثًا: بِكُلِّ رَاءٍ وَمَرْئِيٍّ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ، وَبِالشَّاهِدِ: الَّذِي هُوَ مُحَمَّدٌ ﷺ، وَبِالْمَشْهُودِ: اَلْأَنْبِيَاءُ وَالْأُمَمُ، كَمَا قَالَ اللّٰهُ تَعَالَى: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾ (النساء:٤١) أَقْسَمَ اللّٰهُ بِهَذِهِ الْأَشْيَاءِ عَلَى أَنَّ كُفَّارَ قُرَيْشٍ لَمَلْعُونُونَ كَمَا لُعِنَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ.

وَأَصْحَابُ الْأُخْدُودِ: قَوْمٌ كَافِرُونَ، كَانُوا ذَوِي بَأْسٍ وَقُوَّةٍ، حَفَرُوا حُفْرَةً عَمِيقَةً فِي الْأَرْضِ وَمَلَأُوهَا بِالْوَقُودِ مِنْ حَطَبٍ وَغَيْرِهِ، حَتَّى كَانَتْ نَارًا عَظِيمَةً، فَأَلْقَوْا فِيهَا الْمُؤْمِنِينَ، وَقَعَدُوا يَرْمُقُونَهُمْ بِعُيُونِهِمْ، وَيَشْفُونَ غَيْظَهُمْ مِنْهُمْ بِمُشَاهَدَتِهِمْ وَهُمْ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ، الَّتِي تَنْفَطِرُ لَهَا قُلُوبُ الرُّحَمَاءِ، وَتَدْمَعُ عُيُونُ الرُّؤَفَاءِ؛

وَإِنَّ هَؤُلَاءِ الْجَبَّارِينَ لَمْ يُنْكِرُوا عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَلَمْ يُعَاقِبُوهُمْ إِلَّا عَلَى شَيْءٍ لَا يَجُوزُ الْعِقَابُ عَلَيْهِ، بَلْ يَنْبَغِي لِكُلِّ أَحَدٍ أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ وَيَدْعُوَ غَيْرَهُ إِلَيْهِ، وَهُوَ

الْإِيمَانُ بِاللَّـهِ الْقَادِرِ الذِي لَا يَغْلِبُهُ أَحَدٌ، وَالذِي يَسْتَحِقُّ الْحَمْدَ وَالثَّنَاءَ، مِنْ كُلِّ مَنْ فِي الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ.

مِنْ هَذِهِ الْآيَاتِ تُدْرِكُ أَيُّهَا الْـمُؤْمِنُ، أَنَّ كُلَّ مَا يُصِيبُكَ مِنَ الْهُمُومِ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لِخَيْرِكَ وَلِمَصْلَحَتِكَ فَهِيَ تُهَذِّبُ نَفْسَكَ، وَتُرَبِّي فِيكَ الصَّبْرَ، لِيَعْظُمَ لَكَ الْأَجْرُ.

ثُمَّ إِنَّ اللَّـهَ وَصَفَ نَفْسَهُ فِي خِتَامِ هَذِهِ الْآيَاتِ، بِأَنَّهُ مَالِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا، لَا مَالِكَ سِوَاهُ، وَأَنَّهُ لَا يَعْزُبُ عَنْ عِلْمِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِمَّا: يَعْمَلُهُ أَنْصَارُ الْبَاطِلِ، وَمَا يُكَابِدُهُ أَنْصَارُ الْحَقِّ، وَبِذَلِكَ يَطْمَئِنُّ الْمُؤْمِنُونَ:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُواْ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ۝ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ۝﴾

﴿تَفْسِيرُ الْمُفْرَدَاتِ﴾

فَتَنُوا: اِبْتَلَوْهُمْ بِصُنُوفِ الْأَذَى.

اَلْحَرِيقُ: عَذَابُ جَهَنَّمَ، زِيَادَةٌ فِي تَخْوِيفِهِمْ.

اَلْفَوْزُ: اَلنَّجَاةُ مِنَ الشَّرِّ وَالظَّفَرُ بِالْخَيْرِ.

﴿اَلْبَيَانُ﴾

هَذَا وَعِيدٌ لِكُفَّارِ قُرَيْشٍ، وَيُشَارِكُهُمْ فِيهِ كُلُّ مَنْ أَحْدَثَ فِعْلاً فِيهِ ضَرَرٌ وَأَذًى لِلْمُؤْمِنِ؛

وَكُفَّارُ قُرَيْشٍ قَدْ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَآذَوْهُمْ بِكَثِيرٍ مِنَ الْإِيذَاءِ، فَكَمْ عَذَّبُوا بِلَالاً وَغَيْرَهُ مِنْ أَكَابِرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَكَمْ آذَوْا رَسُولَ اللَّـهِ ﷺ وَرَمَوْهُ بِالْحِجَارَةِ حَتَّى أَدْمَوْهُ، فَنَبَّهَهُمُ اللَّـهُ إِلَى أَنَّهُمْ إِذَا تَمَادَوْا فِي تَعْذِيبِهِمْ لِلْمُؤْمِنِينَ، فَإِنَّهُ يُعَذِّبُهُمْ بِعَذَابَيْنِ: عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَعَذَابِ الْحَرِيقِ، لِيَتَجَلَّى لَهُمُ الْفَرْقُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْـمُؤْمِنِينَ، حِينَمَا يُسْكِنُهُمُ اللَّـهُ فِي الْجَنَّةِ التِي فِيهَا النَّعِيمُ الْمُقِيمُ، وَبِهَا الْفَوْزُ الْعَظِيمُ، لِيَكُونَ ذَلِكَ أَنْكَى فِي إِيلَامِ الْأَعْدَاءِ، وَأَبْعَثَ لِلْحُزْنِ فِي نُفُوسِهِمْ:

﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ۝ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ۝ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ۝ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ۝ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ۝ ﴾

﴿ تَفْسِيرُ الْمُفْرَدَاتِ ﴾

اَلْبَطْشُ: اَلْأَخْذُ بِالْعُنْفِ وَالشِّدَّةِ.

اَلْغَفُورُ: اَلَّذِي يَغْفِرُ وَيَسْتُرُ عِبَادَهُ بِمَغْفِرَتِهِ.

اَلْوَدُودُ: اَلْحَلِيمُ.

اَلْعَرْشُ: اَلْمُلْكُ وَالسُّلْطَانُ.

اَلْمَجِيدُ: اَلشَّرِيفُ الْعَالِي.

﴿ اَلْبَيَانُ ﴾

إِنَّ انْتِقَامَ اللَّـهِ لَا يُحْتَمَلُ، فَهُوَ يُمْهِلُ وَلَا يُهْمِلُ، وَهُوَ يَخْلُقُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُفْنِيهِمْ، ثُمَّ يُعِيدُهُمْ أَحْيَاءً لِيُجَازِيَهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ كَثِيرُ الْغُفْرَانِ لِأَهْلِ الْعِصْيَانِ، فَيَقْبَلُ تَوْبَةَ مَنْ تَابَ وَرَجَعَ إِلَى اللَّـهِ وَأَنَابَ؛

كَمَا أَنَّهُ سُبْحَانَهُ مُتَحَبِّبٌ إِلَى عِبَادِهِ بِالْمَغْفِرَةِ، وَأَنَّهُ صَاحِبُ الْعَظَمَةِ وَالْقَهْرِ الَّذِي إِذَا قَالَ لِلشَّيْءِ كُنْ فَيَكُونُ، لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ، لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ:

﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ۝ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ۝ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي تَكْذِيبٍ ۝ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ۝ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۢ ۝ ﴾

﴿ تَفْسِيرُ الْمُفْرَدَاتِ ﴾

فِرْعَوْنُ: طَاغِيَةُ مِصْرَ الَّذِي أَرْسَلَ اللَّـهُ إِلَيْهِ سَيِّدَنَا مُوسَى.

ثَمُودُ: قَوْمُ صَالِحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

مُحِيطٌ: مُطَّلِعٌ.

مَحْفُوظٌ: لَا يَتَغَيَّرُ وَلَا يَتَبَدَّلُ.

﴿اَلْبَيَانُ﴾

هَلْ بَلَغَكَ يَا مُحَمَّدُ خَبَرُ الْجُمُوعِ الْكَافِرَةِ، الَّذِينَ مِنْهُمْ فِرْعَوْنُ وَثَمُودُ، فَقَدْ كَانُوا أَشَدَّ بَأْسًا مِنْ قَوْمِكَ، وَمَعَ ذَلِكَ لَمْ تُغْنِ عَنْهُمْ قُوَّتُهُمْ، وَخُذِلُوا فِي آخِرِ الْأَمْرِ: فَأَغْرَقْنَا فِرْعَوْنَ وَجُنُودَهُ، وَأَهْلَكْنَا قَوْمَ ثَمُودَ؛

فَتَدَرَّعْ يَا مُحَمَّدُ بِالصَّبْرِ، وَلَا تَجْزَعْ مِنْ تَكْذِيبِهِمْ وَاسْتِمْرَارِهِمْ عَلَى الْعِنَادِ، فَاللَّهُ مُطَّلِعٌ عَلَيْهِمْ، عَلِيمٌ بِمَا فِي صُدُورِهِمْ فَسَيَنْتَقِمُ مِنْهُمْ، وَلَيْسَ مَا رَمَوْكَ بِهِ إِلَّا مَحْضَ افْتِرَاءٍ.

وَمَا كُنْتَ يَا مُحَمَّدُ بِالْكَذَّابِ الَّذِي تَنْشُرُ بَيْنَ النَّاسِ بَاطِلًا، بَلِ الَّذِي جِئْتَهُمْ بِهِ قُرْآنٌ رَفِيعُ الْقَدْرِ، بِمَا احْتَوَى عَلَيْهِ مِنَ الْآدَابِ الْعَالِيَةِ، وَالْمَوَاعِظِ الرَّائِعَةِ، وَالْأَخْبَارِ الصَّادِقَةِ، مَا مِنْ فَضِيلَةٍ إِلَّا دَلَّ عَلَيْهَا وَرَغَّبَ فِيهَا، وَمَا مِنْ رَذِيلَةٍ إِلَّا نَفَّرَ مِنْهَا وَبَغَّضَ فِيهَا؛ فَهُوَ مَحْفُوظٌ مِنَ التَّحْرِيفِ وَالتَّغْيِيرِ، لَا تَصِلُ إِلَيْهِ يَدُ مَخْلُوقٍ بِمَحْوٍ أَوْ إِثْبَاتٍ: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (الحجر: ٩)

﴿اَلْعِبْرَةُ﴾

- تُرْشِدُكَ هَذِهِ السُّورَةُ إِلَى: قُوَّةِ اصْطِبَارِ الْمُؤْمِنِينَ، وَشِدَّةِ جَلَدِهِمْ، وَرَبَاطَةِ جَأْشِهِمْ، فَقَدْ بَطَشَ بِهِمُ الْكُفَّارُ وَأَحْرَقُوهُمْ بِالنَّارِ، وَمَعَ ذَلِكَ لَمْ يُزَحْزِحْهُمْ هَذَا الْعَذَابُ قِيدَ أُنْمُلَةٍ وَلَا شَعْرَةٍ؛

وَكُفَّارُ قُرَيْشٍ كَمْ آذَوُا الْمُسْلِمِينَ وَكَمْ عَذَّبُوهُمْ، مِثْلُ: أَبِي بَكْرٍ وَبِلَالٍ وَصُهَيْبٍ وَخُبَيْبٍ، وَهَذَا الْأَخِيرُ أَسَرَهُ مُشْرِكُو مَكَّةَ وَقَيَّدُوهُ بِالسَّلَاسِلِ وَالْأَغْلَالِ، وَأَذَاقُوهُ مِنَ الْعَذَابِ أَلْوَانًا، لِيَتْرُكَ الْإِسْلَامَ وَيَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا كَانَ، فَامْتَنَعَ وَقَالَ شِعْرًا:

وَقَدْ خَيَّرُونِي الْكُفْرَ وَالْمَوْتُ دُونَهُ ... وَقَدْ دَمَعَتْ عَيْنَايَ فِي غَيْرِ مَجْزَعِ

وَلَسْتُ أُبَالِي حِينَ أُقْتَلُ مُسْلِمًا ... عَلَى أَيِّ جَنْبٍ كَانَ فِي اللَّهِ مَصْرَعِي

فَلَوْ أَنَّ مُسْلِمِي هَذِهِ الْأَيَّامِ كَانُوا يُحِبُّونَ دِينَهُمْ كَمَا يُحِبُّونَ أَوْلَادَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَشَهَوَاتِهِمْ، لَسَعِدُوا وَفَازُوا، وَلَكِنَّ هَؤُلَاءِ الْمُسْلِمِينَ رَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا عَلَى أَيِّ

لَوْنٍ، وَإِنْ كَانَتْ مُشْرَبَةً بِالتَّحْقِيرِ وَالذِّلَّةِ، وَرَضُوا بِأَنْ يَمْلَأُوا الْبُطُونَ وَلَوْ بِالْحَقِيرِ مِنَ الطَّعَامِ، فَكَانَ لَهُمْ مَا أَرَادُوا.

* فَإِذَا أَرَدْتَ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُ أَنْ تَحْيَا حَيَاةً فِيهَا الْعِزَّةُ وَالْكَرَامَةُ، فَمَا عَلَيْكَ إِلَّا أَنْ تَعْمَلَ بِالْقُرْآنِ وَالِاعْتِزَازُ بِهِ، فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ كُنْتَ بِذَلِكَ مِنْ أَنْصَارِ اللَّهِ حَقًّا، وَنَاصِرُ اللَّهِ لَا يُغْلَبُ: ﴿ إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ (محمد: ٧).

﴿ سُورَةُ الطَّارِقِ ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ۝١ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ۝٢ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ۝٣ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ۝٤ ﴾

﴿ تَفْسِيرُ الْمُفْرَدَاتِ ﴾

اَلسَّمَاءُ: كُلُّ مَا عَلَاكَ.

اَلطَّارِقُ: الذِي يَأْتِي لَيْلاً.

اَلثَّاقِبُ: اَلْمُضِيءُ الذِي يُهْتَدَى بِهِ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ.

﴿ اَلْبَيَانُ ﴾

أَقْسَمَ رَبُّنَا بِالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ، وَالْمُرَادُ بِهِ النَّجْمُ، لِاخْتِصَاصِ ظُهُورِهِ فِي اللَّيْلِ؛ قَالَتْ هِنْدُ بِنْتُ عُتْبَةَ:

نَحْنُ بَنَاتِ طَارِقْ نَمْشِي عَلَى النَّمَارِقْ

أَيْ أَبُونَا كَالنَّجْمِ شَرَفًا وَعُلُوًّا؛ وَقَالَ الشَّاعِرُ:

يَا رَاقِدَ اللَّيْلِ مَسْرُورًا بِأَوَّلِهِ ... إِنَّ الْحَوَادِثَ قَدْ يَطْرُقْنَ أَسْحَارَا

لَا تَفْرَحَنَّ بِلَيْلٍ طَابَ أَوَّلُهُ ... فَرُبَّ آخِرِ لَيْلٍ أَجَّجَ النَّارَا

أَقْسَمَ اللَّـهُ بِالسَّمَاءِ وَالنَّجْمِ، عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَتْرُكْنَا سُدًى، نَعْمَلُ مَا يَظْهَرُ لَنَا مِنْ غَيْرِ رَقِيبٍ يُحْصِي عَلَيْنَا أَعْمَالَنَا؛ بَلْ أَقَامَ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنَّا حَافِظًا يَحْفَظُ أَعْمَالَنَا مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ؛

وَقَدِ اخْتَلَفَ الْمُفَسِّرُونَ فِي بَيَانِ الْمُرَادِ مِنَ الْحَافِظِ:

فَقَالَ قَوْمٌ: هُوَ اللهُ إِشَارَةً إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (يوسف:٦٤)،

وَقَالَ قَوْمٌ: اَلْحَفَظَةُ هُمُ الْمَلَائِكَةُ، إِشَارَةً إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ (الانفطار: ١٠-١٢):

﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴿٩﴾ فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴿١٠﴾﴾

﴿تَفْسِيرُ الْمُفْرَدَاتِ﴾

دَافِقٌ: سَرِيعُ الْخُرُوجِ، أَيْ مُنْصَبٌّ.

اَلصُّلْبُ: اَلسِّلْسِلَةُ الظَّهْرِيَّةُ.

اَلتَّرَائِبُ: ضُلُوعُ الصَّدْرِ.

اَلسَّرَائِرُ: جَمْعُ سَرِيرَةٍ، وَهِيَ الْأُمُورُ الَّتِي تَكُونُ بَيْنَ الْعَبْدِ وَرَبِّهِ.

﴿اَلْبَيَانُ﴾

يَطْلُبُ اللَّـهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مِنَ الْإِنْسَانِ: أَنْ يَنْظُرَ إِلَى نَفْسِهِ، وَيَتَفَكَّرَ فِي أَمْرِهِ، فَإِذَا فَكَّرَ فِي ذَلِكَ، وَجَدَ أَنَّ لِمُنْشِئِهِ مِنَ الْعَدَمِ قُدْرَةً فَوْقَ قُدْرَتِهِ، وَعِلْمًا فَوْقَ عِلْمِهِ، فَقَدْ خَلَقَهُ اللَّـهُ وَصَوَّرَهُ مِنْ مَاءٍ سَائِلٍ قَذِرٍ، مَصْبُوبٍ مِنَ الرَّجُلِ فِي رَحِمِ الْمَرْأَةِ، يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ عِظَامِ الصَّدْرِ وَسِلْسِلَةِ الظَّهْرِ، وَيَجْتَمِعُ فِي الْبَيْضَتَيْنِ، وَمِنْهُ تَتَكَوَّنُ تِلْكَ النُّطْفَةُ حَتَّى تَصِيرَ إِنْسَانًا فِيهِ حَوَاسُّ وَعَقْلٌ، يَسْمَعُ وَيُبْصِرُ، وَيَذُوقُ وَيَشَمُّ وَيَمْشِي، فَسُبْحَانَ الْخَلَّاقِ الْعَظِيمِ؛

وَهَذَا الْإِنْسَانُ بَعْدَمَا يُمَتِّعُهُ اللَّـهُ بِالْحَيَاةِ زَمَنًا يُمِيتُهُ، ثُمَّ يُحْيِيهِ لِيُحَاسِبَهُ عَلَى جَمِيعِ أَعْمَالِهِ وَيُجَازِيَهُ عَلَيْهَا؛

فَمَنْ كَانَتْ أَعْمَالُهُ فِي الدُّنْيَا طَيِّبَةً يُجَازَى بِالْجَزَاءِ الْأَوْفَى، وَمَنْ كَانَتْ أَعْمَالُهُ سَيِّئَةً يُجَازَى بِالنَّارِ، وَلَا يَجِدُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَلَا مَنْ يَدْفَعُ عَنْهُ مَا حَلَّ بِهِ مِنَ الْعَذَابِ:

﴿وَالسَّمَآءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ۝ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ۝ إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ۝ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ ۝ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۝ وَأَكِيدُ كَيْدًا ۝ فَمَهِّلِ الْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ۝﴾

﴿تَفْسِيرُ الْمُفْرَدَاتِ﴾

اَلرَّجْعُ: اَلْمَطَرُ، سُمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ يَرْجِعُ وَيَعُودُ.

اَلصَّدْعُ: اَلنَّبَاتُ، سُمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ يَصْدَعُ الْأَرْضَ وَيَشُقُّهَا عِنْدَ خُرُوجِهِ مِنْ بَاطِنِهَا.

فَصْلٌ: هُوَ الْقُرْآنُ، سُمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ يَفْصِلُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ.

اَلْكَيْدُ: اَلْمَكْرُ الْخَفِيُّ.

اَلْهَزْلُ: ضِدُّ الْجِدِّ، وَالْمُرَادُ: الْقُرْآنُ، جِدٌّ لَا لَعِبَ فِيهِ.

رُوَيْدًا: قَلِيلاً.

﴿اَلْبَيَانُ﴾

أَقْسَمَ اللَّـهُ: بِالسَّمَاءِ الَّتِي تُمْطِرُ عَلَيْنَا، وَالْأَرْضِ الَّتِي تُخْرِجُ لَنَا النَّبَاتَ؛ أَنَّ الْقُرْآنَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ حَقٌّ لَا رَيْبَ فِيهِ، وَلَا هَزْلَ يَعْتَرِيهِ؛ وَأَنَّ الْكُفَّارَ الَّذِينَ أَرَادُوا أَنْ يُطْفِئُوا نُورَهُ وَيَصُدُّوا النَّاسَ عَنِ اتِّبَاعِهِ فَسَأُعَامِلُهُمْ بِنَقِيضِ قَصْدِهِمْ، فَلَا تَكْتَرِثْ بِهِمْ يَا مُحَمَّدُ، وَلَا تَطْلُبِ الْإِسْرَاعَ بِإِهْلَاكِهِمْ، فَسَنَأْخُذُهُمْ عَمَّا قَرِيبٍ؛ وَفِي ذَلِكَ بَعْثٌ بِالطُّمَأْنِينَةِ

إِلَى قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ كَانُوا يَخَافُونَ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارَ وَيَخْشَوْنَ مِنْهُمْ.

﴿اَلْعِبْرَةُ﴾

تُرْشِدُكَ هَذِهِ السُّورَةُ إِلَى: أَنَّ الْقُرْآنَ لَا يَتَبَدَّلُ وَلَا يَتَغَيَّرُ، وَقَدْ أَنْزَلَهُ اللَّـهُ لِهِدَايَةِ النَّاسِ، لِمَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ مِنَ الْحِكَمِ النَّافِعَةِ، وَالْمَوَاعِظِ الَّتِي تَنْشَرِحُ لَهَا الصُّدُورُ؛

* فَكِتَابٌ هَذَا شَأْنُهُ، جَدِيرٌ بِأَنْ يَنَالَ مِنْكَ أَيُّهَا الْـمُؤْمِنُ كُلَّ تَبْجِيلٍ وَاحْتِرَامٍ وَاتِّبَاعٍ لِأَوَامِرِهِ وَاجْتِنَابٍ لِنَوَاهِيهِ.

* وَلَقَدْ رَغَّبَنَا رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ فِي تِلَاوَتِهِ، وَحَذَّرَنَا نِسْيَانَهُ وَتَوَعَّدَنَا عَلَى ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: ﴿عُرِضَتْ عَلَيَّ ذُنُوبُ أُمَّتِي فَلَمْ أَرَ ذَنْبًا أَعْظَمَ مِنْ سُورَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ أَوْ آيَةٍ أُوتِيَهَا رَجُلٌ مُؤْمِنٌ ثُمَّ نَسِيَهَا﴾ [1]، فَعَلَى الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَبْذُلُوا أَقْصَى مَا يَسْتَطِيعُونَ، حَتَّى يَسْلَمُوا مِنْ هَجْرِ الْقُرْآنِ وَوَعِيدِ اللَّـهِ الَّذِي يَقُولُ: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴾ (طه: ١٢٤-١٢٦).

﴿سُورَةُ الأَعْلَى﴾

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ﴿٥﴾ ﴾

﴿تَفْسِيرُ الْمُفْرَدَاتِ﴾

اَلتَّسْبِيحُ: مَعْنَاهُ التَّنْزِيهُ، أَيْ نَزِّهْ رَبَّكَ عَنْ كُلِّ مَا لَا يَلِيقُ بِهِ، فَلَا تَذْكُرْهُ إِلَّا عَلَى وَجْهِ التَّعْظِيمِ.

اَلْمَرْعَى: كُلُّ مَا تُخْرِجُهُ الْأَرْضُ مِنَ النَّبَاتِ.

اَلْغُثَاءُ: مَا يَبِسَ مِنَ النَّبَاتِ.

---

(1) رُوِيَ الْحَدِيثُ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ: (عُرِضَتْ عَلَيَّ أُجُورُ أُمَّتِي حَتَّى الْقَذَاةُ يُخْرِجُهَا الرَّجُلُ مِنَ الْمَسْجِدِ، وَعُرِضَتْ عَلَيَّ ذُنُوبُ أُمَّتِي فَلَمْ أَرَ ذَنْبًا أَعْظَمَ مِنْ سُورَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ أَوْ آيَةٍ أُوتِيَهَا رَجُلٌ ثُمَّ نَسِيَهَا) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ، وَالتِّرْمِذِيُّ، وَابْنُ خُزَيْمَةَ، وَالْبَيْهَقِيُّ، وَالطَّبَرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ وَفِي الصَّغِيرِ.

اَلْأَحْوَى: هُوَ الذِي يَضْرِبُ لَوْنُهُ إِلَى السَّوَادِ؛ وَالْمُرَادُ أَنَّ الْحَيَوَانَ كَمَا يَنْتَفِعُ بِالنَّبَاتِ أَخْضَرَ يَنْتَفِعُ بِهِ يَابِسًا أَيْضًا، وَلَيْسَ غَيْرُ اللَّـهِ يَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ، فَهُوَ الْقَادِرُ عَلَى إِنْبَاتِ الْعُشْبِ وَتَبْدِيلِ حَالِهِ.

﴿اَلْبَيَانُ﴾

ـ نَزِّهْ رَبَّكَ عَنْ كُلِّ مَا لَا يَلِيقُ بِهِ فِي ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ:

1) **أَمَّا تَنْزِيهُهُ فِي ذَاتِهِ**: فَأَنْ تَعْتَقِدَ أَنهَا لَيْسَتْ مُشَابِهَةً لِلذَّوَاتِ مِثْلِ الْإِنْسَانِ وَالْحَيَوَانِ وَالنَّبَاتِ، لِأَنَّ جَمِيعَ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ لَهَا جِسْمٌ وَلَوْنٌ وَمَكَانٌ، وَاللَّـهُ لَيْسَ كَذَلِكَ.

2) **وَأَمَّا تَنْزِيهُهُ فِي صِفَاتِهِ**: فَأَنْ تَعْتَقِدَ أَنَّهَا لَيْسَتْ بِحَادِثَةٍ، وَهَلُمَّ جرًّا.

فَاللَّـهُ هُوَ الذِي خَلَقَ الْكَائِنَاتِ وَوَضَعَ خَلْقَهَا عَلَى نِظَامٍ مُحْكَمٍ، وَهُوَ الذِي قَدَّرَ لِكُلِّ مَخْلُوقٍ مَا يُصْلِحُهُ مُدَّةَ بَقَائِهِ، وَهَدَاهُ إِلَى الْخَيْرِ، وَهُوَ الذِي أَنْبَتَ النَّبَاتَ وَصَيَّرَهُ يَابِسًا

جَافًّا يَأْكُلُهُ الْحَيَوَانُ، فَتَبَارَكَ اللَّـهُ الذِي أَحْكَمَ مَا صَنَعَهُ:

﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ۝ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ۝ ﴾

﴿اَلْبَيَانُ﴾

بَعْدَ مَا أَمَرَ اللَّـهُ نَبِيَّهُ بِتَسْبِيحِهِ وَتَنْزِيهِهِ، بَيَّنَ لَهُ:

أَنَّهُ سَيُوَفِّقُهُ لِتَلَقِّي الْقُرْآنِ وَقِرَاءَتِهِ وَحِفْظِهِ، إِلَّا إِذَا أَرَادَ أَنْ يُنْسِيَهُ شَيْئًا مِنْهُ فَإِنَّهُ قَادِرٌ؛ وَفِي هَذَا تَنْبِيهٌ عَلَى أَنَّ حِفْظَهُ ﷺ وَعَدَمَ نِسْيَانِهِ إِنَّمَا هُوَ بِفَضْلِ اللَّـهِ،

وَأَنَّ اللَّـهَ وَعَدَ نَبِيَّهُ بِأَنَّهُ سَيُحَفِّظُهُ الْقُرْآنَ؛

عَالِمٌ بِالْجَهْرِ وَعَالِمٌ بِالسِّرِّ، فَهُوَ مُطَّلِعٌ عَلَى مَا فِي ضَمِيرِهِ، وَيَعْلَمُ مَا ظَهَرَ مِنْ أُمُورِ النَّاسِ وَمَا خَفِيَ، لَا يَعْزُبُ عَنْ عِلْمِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ؛

وَأَنَّهُ سَيُسَهِّلُ عَلَى نَبِيِّهِ تَلَقِّي الْوَحْيِ، وَيُيَسِّرُهُ وَيُهَوِّنُهُ عَلَيْهِ، لِيَحْفَظَهُ وَيُعَلِّمَهُ وَيَعْمَلَ بِهِ:

﴿ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾ وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى ﴿١١﴾ الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ ﴾

﴿ تَفْسِيرُ الْمُفْرَدَاتِ ﴾

اَلذِّكْرَى: اَلتَّذْكِيرُ وَالنُّصْحُ.

اَلْخَشْيَةُ: اَلْخَوْفُ، وَيَخْشَى يَخَافُ.

تَزَكَّى: تَطَهَّرَ.

﴿ اَلْبَيَانُ ﴾

بَعْدَ مَا وَعَدَ اللَّـهُ نَبِيَّهُ ﷺ بِذَلِكَ الْفَضْلِ الْعَظِيمِ، وَهُوَ تَسْهِيلُ تَلَقِّي الْوَحْيِ مِنْ غَيْرِ صُعُوبَةٍ وَلَا مَشَقَّةٍ، أَمَرَهُ: بِتَذْكِيرِ الْعِبَادِ، وَنُصْحِهِمْ، وَإِرْشَادِهِمْ، وَتَبْلِيغِ مَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ، سَوَاءٌ انْتَفَعُوا بِهَذِهِ الذِّكْرَى أَوْ لَمْ يَنْتَفِعُوا، فَالتَّذْكِيرُ وَاجِبٌ؛

لَكِنْ إِنَّمَا يُقْبِلُ عَلَى هَذِهِ الذِّكْرَى وَيَنْتَفِعُ بِهَا مَنْ يَخْشَى اللَّـهَ وَيَخَافُ عِقَابَهُ، وَيَتَجَنَّبُ هَذِهِ الذِّكْرَى وَيُعْرِضُ عَنْهَا الشَّقِيُّ الذِي غَلَبَتْ عَلَيْهِ شَقَاوَتُهُ، وَهَذَا سَيَنْتَقِمُ اللَّـهُ مِنْهُ وَيُصْلِيهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، لَا يَمُوتُ فَيَسْتَرِيحُ مِنْ عَذَابِهَا، وَلَا يَحْيَى حَيَاةً طَيِّبَةً لَا عَذَابَ فِيهَا؛

أَمَّا الذِي طَهَّرَ نَفْسَهُ مِنَ الرَّذَائِلِ، وَابْتَعَدَ عَنِ الْـمَعَاصِي وَأَقْبَلَ عَلَى طَاعَةِ رَبِّهِ، وَصَلَّى صَلَاتَهُ بِخُشُوعٍ وَخُضُوعٍ؛ فَهَذَا قَدْ أَفْلَحَ الْفَلَاحَ كُلَّهُ وَفَازَ بِالسَّعَادَتَيْنِ:

﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ ﴾

﴿ اَلْبَيَانُ ﴾

هَذَا الْكَلَامُ مُوَجَّهٌ إِلَى الذِينَ أَقْبَلُوا عَلَى الدُّنْيَا الْفَانِيَةِ وَفَضَّلُوهَا عَلَى الْآخِرَةِ الدَّائِمَةِ، مَعَ أَنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ نَعِيمُهَا لَا يَزُولُ وَلَا يَفْنَى وَلَيْسَ فِيهِ تَنْغِيصٌ، فَالسَّعِيدُ

مَنْ تَزَوَّدَ مِنْ دُنْيَاهُ لِآخِرَتِهِ؛ وَإِنَّ مَا جَاءَ فِي هَذِهِ السُّورَةِ مِنَ الْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ وَالتَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيبِ، لَفِي الصُّحُفِ السَّابِقَةِ الَّتِي جَاءَ بِهَا الْأَنْبِيَاءُ، مِنْ قَبْلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ.

﴿فَضْلُ هَذِهِ السُّورَةِ﴾

* فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ أَنَّ النَّبِيءَ ﷺ كَانَ يُحِبُّ هَذِهِ السُّورَةَ، وَكَانَ يَقْرَأُ بِهَا فِي: 1) الْعِيدَيْنِ، 2) وَالْجُمُعَةِ، 3) وَالْوِتْرِ.

﴿اَلْعِبْرَةُ﴾

- تُرْشِدُكَ هَذِهِ السُّورَةُ إِلَى: أَنَّ كُلَّ مَنْ تَكَبَّرَ عَنْ قَبُولِ الْحَقِّ إِذَا نَصَحَهُ نَاصِحٌ فَلَا شَكَّ: أَنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ زَيَّنَ لَهُ سُوءَ عَمَلِهِ، وَحَقَّ عَلَيْهِ الْوَعِيدُ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾ (البقرة: ٢٠٦)،

* فَالْمُسْلِمُ الْكَامِلُ إِذَا خَاطَبَهُ نَاصِحٌ: فَلْيَتَقَبَّلْ نَصِيحَتَهُ بِقَبُولٍ حَسَنٍ، وَيَشْكُرْ صَاحِبَهَا؛ فَإِنْ كُنْتَ تَاجِرًا فَانْصَحْ لِأَخِيكَ التَّاجِرِ أَنْ يَكُونَ صَادِقًا فِي مُعَامَلَتِهِ مَعَ النَّاسِ، فَالصِّدْقُ هُوَ رَأْسُ الْمَالِ، وَصَاحِبُهُ يُحْشَرُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ؛

وَإِذَا رَأَيْتَ غَيْرَكَ: يَكْذِبُ أَوْ يَنِمُّ أَوْ يَغْتَابُ، فَانْهَهُ عَنْ فِعْلِهِ وَحَذِّرْهُ مِنَ الْعَاقِبَةِ؛ وَإِذَا رَأَيْتَ رَجُلاً جَاهِلاً لِأُمُورِ دِينِهِ فَعَلِّمْهُ مَا يَجْهَلُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ، وَلْيَكُنْ تَعْلِيمُكَ إِيَّاهُ بِلِينٍ وَرِفْقٍ؛ وَهَلُمَّ جَرًّا.

﴿سُورَةُ الْغَاشِيَةِ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ﴿١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ ﴿٥﴾ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ ﴿٧﴾﴾

﴿تَفْسِيرُ الْمُفْرَدَاتِ﴾

خَاشِعَةٌ: ذَلِيلَةٌ حِينَ تَرَى جَزَاءَ أَعْمَالِهَا.

اَلنَّصَبُ: اَلتَّعَبُ.

صَلَى النَّارَ: يَصْلَاهَا إِذَا احْتَرَقَ.

اَلْآنِي: اَلَّذِي اشْتَدَّ حَرُّهُ، أَيْ مِنْ عَيْنٍ مَاءٍ شَدِيدَةِ الْحَرَارَةِ.

اَلضَّرِيعُ: نَبْتٌ رَدِيءٌ ذُو شَوْكٍ.

﴿اَلْبَيَانُ﴾

هَلْ سَمِعْتَ يَا مُحَمَّدُ بِخَبَرِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَهُوَ يَوْمٌ تَرَى فِيهِ وُجُوهَ الْكُفَّارِ ذَلِيلَةً، وَقَدْ عَبَّرَ اللَّـهُ بِالْوُجُوهِ مَعَ أَنَّ الْمُرَادَ بِهَا أَصْحَابُهَا، لِأَنَّ جَمِيعَ مَا تُحِسُّهُ النُّفُوسُ يَظْهَرُ عَلَى الْوُجُوهِ؛

فَاللَّـهُ لَا يَقْبَلُ أَعْمَالَ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارِ لِأَنَّ أَعْمَالَهُمْ لَمْ تَكُنْ مَبْنِيَّةً عَلَى أَسَاسٍ مَتِينٍ، وَهُوَ الْإِيمَانُ بِاللَّـهِ وَرَسُولِهِ، لِأَجْلِ ذَلِكَ يُعَاقِبُهُمُ اللَّـهُ بِدُخُولِ جَهَنَّمَ، يُقَاسُونَ حَرَّهَا جَزَاءَ كُفْرِهِمْ وَعِنَادِهِمْ، حَتَّى إِنَّهُمْ إِذَا عَطِشُوا وَطَلَبُوا مَا يُطْفِئُ ظَمَأَهُمْ، جِيءَ لَهُمْ بِمَاءٍ شَدِيدِ الْحَرَارَةِ لَا يُرْوِيهِمْ، وَإِذَا تَلَهَّفُوا عَنِ الْأَكْلِ قُدِّمَ لَهُمْ طَعَامٌ رَدِيءٌ، أَمَرُّ مِنَ الصَّبِرِ، لَا يُفِيدُ قُوَّةً وَلَا شِبَعًا:

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ۝ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ۝ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةً ۝ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ۝ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ۝ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ۝ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ۝ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ۝﴾

﴿تَفْسِيرُ الْمُفْرَدَاتِ﴾

اَللَّغْوُ: اَلْكَلَامُ الْبَاطِلُ.

اَلسُّرُرُ: جَمْعُ سَرِيرٍ، وَهُوَ مَا يُجْلَسُ أَوْ يُنَامُ عَلَيْهِ.

اَلْأَكْوَابُ: جَمْعُ كُوبٍ، وَالْكُوبُ: مَا لَا عُرْوَةَ لَهُ.

اَلنَّمَارِقُ: جَمْعُ نُمْرُقَةٍ، وَهِيَ الْوِسَادَةُ أَوِ الْمِسْنَدُ.

اَلزَّرَابِيُّ: جَمْعُ زَرْبِيَّةٍ وَهُوَ الْبِسَاطُ.
مَبْثُوثَةٌ: مَبْسُوطَةٌ.

﴿اَلْبَيَانُ﴾

اَلْوُجُوهُ النَّاعِمَةُ ذَوَاتُ الْبَهْجَةِ وَالسُّرُورِ، الَّتِي ظَهَرَ عَلَيْهَا النَّعِيمُ، بِمَا لَاقَتْهُ مِنْ جَرَّاءِ عَمَلِهَا الصَّالِحِ فِي الدُّنْيَا، فَأَصْحَابُ هَذِهِ الْوُجُوهِ يُجَازِيهِمُ اللَّهُ بِجَنَّةٍ عَالِيَةِ الْقَدْرِ، لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا شَتْمًا وَلَا بَاطِلًا، وَيُسْكِنُهُمْ فِي قُصُورِهَا يُشَاهِدُونَ مِنْهَا مَجَارِيَ الْمَاءِ، لِيَتِمَّ لَهُمُ الْأُنْسُ بِمَنْظَرِهَا؛ كَمَا يَنَامُونَ عَلَى سُرُرٍ عَالِيَةٍ عَنِ الْأَرْضِ، لِيُمْكِنَ لَهُمْ أَنْ يَنْظُرُوا مَا أَعْطَاهُمُ اللَّهُ مِنَ النَّعِيمِ؛ وَبِجَانِبِ هَذِهِ السُّرُرِ أَقْدَاحٌ مِنْ زُجَاجٍ مَوْضُوعَةٍ عَلَى حَافَّاتِ الْعُيُونِ لِتَنَاوُلِ الشَّرَابِ مِنْ أَيِّ نَهْرٍ شَاؤُوا؛ كَمَا جَعَلَ لَهُمْ وَسَائِدَ مَصْفُوفَةً يَتَّكِئُونَ عَلَيْهَا إِذَا جَلَسُوا، وَزَرَابِيَّ مَفْرُوشَةً إِذَا مَشَوْا.

جَعَلَنَا اللَّهُ مِنْهُمْ بِفَضْلِهِ وَكَرَمِهِ.

ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ بَعْدَ مَا بَيَّنَ مَا أَعَدَّهُ مِنَ النَّعِيمِ لِلسُّعَدَاءِ، شَرَعَ فِي إِقَامَةِ الْحُجَّةِ عَلَى الْمُكَذِّبِينَ الْغَافِلِينَ فَقَالَ:

﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾

﴿اَلْبَيَانُ﴾

أَيُنْكِرُ هَؤُلَاءِ مَا ذَكَرْنَا مِنَ الْبَعْثِ؟ وَلَا يَتَدَبَّرُونَ فِي خَلْقِ الْإِبِلِ وَصَبْرِهَا عَلَى احْتِمَالِ الْمَشَاقِّ وَالْجُوعِ وَالْعَطَشِ، كَمَا أَنَّهُمْ:

لَا يُمْعِنُونَ النَّظَرَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَكَيْفَ رُفِعَتْ بِغَيْرِ عِمَادٍ؛

وَخَلْقِ الْجِبَالِ وَكَيْفَ وُضِعَتْ وَضْعًا ثَابِتًا لَا اضْطِرَابَ فِيهِ، وَفِي الْأَرْضِ كَيْفَ مُهِّدَتْ وَسُوِّيَتْ؛

فَلَوْ نَظَرَ هَؤُلَاءِ الْجَاحِدُونَ، وَتَأَمَّلَ أُولَئِكَ الْغَافِلُونَ، لَأَدْرَكُوا أَنَّ الْقَادِرَ عَلَى خَلْقِ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ قَادِرًا عَلَى أَنْ يُرْجِعَ النَّاسَ إِلَى يَوْمٍ فِيهِ يُوَفَّى كُلُّ عَامِلٍ جَزَاءَ مَا عَمِلَ؛

وَأَنْتَ يَا مُحَمَّدُ فَالْوَاجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تُذَكِّرَهُمْ بِهَذِهِ الْأَدِلَّةِ السَّاطِعَةِ، وَتُبَشِّرَهُمْ وَتُحَذِّرَهُمْ، لَكِنْ لَيْسَ فَرْضًا عَلَيْكَ أَنْ تُجْبِرَهُمْ عَلَى مَا تُرِيدُ، إِلَّا مَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِكَ وَجَحَدَ الْحَقَّ الْمَعْرُوضَ عَلَيْهِ، فَاللَّهُ وَحْدَهُ يَتَوَلَّى أَمْرَهُ فَيُعَذِّبُهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ، لِأَنَّهُ لَا مَفَرَّ لِهَؤُلَاءِ الْمُعْرِضِينَ مِنَ الْوَيْلِ الَّذِي أَوْعَدْنَاهُمْ بِهِ، فَإِنَّهُمْ رَاجِعُونَ إِلَيْنَا وَمُحَاسَبُونَ بَيْنَ أَيْدِينَا.

﴿اَلْعِبْــرَةُ﴾

- تُرْشِدُكَ هَذِهِ السُّورَةُ إِلَى: مَا أَعَدَّهُ اللَّهُ مِنَ النَّعِيمِ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ لِلْمُؤْمِنِينَ الْعَامِلِينَ، الَّذِينَ عَمِلُوا مَا كَلَّفَهُمُ اللَّهُ بِهِ مِنْ أَعْمَالِ الْبِرِّ، فَقَدْ هَيَّأَ لَهُمْ مَا لَا تُدْرِكُهُ الْعُقُولُ وَالْأَبْصَارُ: كَالسُّكْنَى فِي الْقُصُورِ الشَّامِخَةِ، وَالْجُلُوسِ عَلَى الْبُسُطِ الْفَاخِرَةِ الْمُتَنَوِّعَةِ، بِحَيْثُ تَرَى فِي كُلِّ مَجْلِسٍ شَيْئًا مِنْهَا، عَلَى نَحْوِ مَا تَرَاهُ فِي بُيُوتِ الْأَغْنِيَاءِ؛

وَكُلُّ هَذَا لِتَصْوِيرِ نِعْمَةِ وَرَفَاهِيَةِ أَهْلِ الْجَنَّةِ تَصْوِيرًا يَقْرُبُ مِنْ عُقُولِنَا، وَإِلَّا فَالْجَنَّةُ فِيهَا: مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ؛

* فَإِذَا عَرَفْتَ هَذَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُ، وَعَرَفْتَ مَا أَعَدَّهُ اللَّهُ لِلْمُتَّقِينَ فِي الْجَنَّةِ، فَشَمِّرْ عَنْ سَاعِدِ الْجِدِّ، وَاسْتَعِدَّ لِلْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَابْذُلْ جُهْدَكَ فِي إِعْدَادِ الزَّادِ النَّافِعِ لَكَ فِي يَوْمِ الْمِيعَادِ.

﴿سُــورَةُ الْفَجْـرِ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ۝٣ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ۝٤ هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ۝٥﴾

﴿تَفْسِيرُ الْمُفْرَدَاتِ﴾

اَلْفَجْرُ: اِنْقِضَاءُ ظُلْمَةِ اللَّيْلِ وَابْتِدَاءُ ضَوْءِ النَّهَارِ.

وَلَيَالٍ عَشْرٍ: اَلْعَشْرُ الْأَوَاخِرُ مِنْ رَمَضَانَ.

وَالشَّفْعُ: اَلْعَدَدُ الثُّنَائِيُّ.

وَالْوَتْرُ: اَلْعَدَدُ الْفَرْدِيُّ.

وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِي: إِذَا وَلَّى وَمَضَى وَقَامَ النَّاسُ لِأَعْمَالِهِمْ.

اَلْحِجْرُ: اَلْعَقْلُ، سُمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ يَمْنَعُ صَاحِبَهُ مِنَ الْوُقُوعِ فِي الرَّذَائِلِ.

﴿اَلْبَيَانُ﴾

أَقْسَمَ اللَّهُ بِهَذِهِ الْأَشْيَاءِ لِمَا أَوْدَعَ فِيهَا مِنْ حِكَمٍ وَمَنَافِعَ، فَمَنْ كَانَ ذَا لُبٍّ وَعَقْلٍ، يَفْطُنُ أَنَّ اللَّهَ مَا أَقْسَمَ بِهَا إِلَّا لِيُنَبِّهَنَا أَنْ نَغْتَنِمَ الْفُرْصَةَ فِي هَذِهِ الْأَوْقَاتِ، وَلَا نُضَيِّعَهَا سُدًى، نَسْتَقْبِلُ النَّهَارَ بِصَلَاةِ الصُّبْحِ بَاكِرًا، لِمَا فِي ذَلِكَ مِنَ الْفَوَائِدِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَالْأُخْرَوِيَّةِ، ثُمَّ نَنْتَشِرُ فِي الْأَرْضِ مُتَوَكِّلِينَ عَلَيْهِ فِي تَحْصِيلِ قُوتِنَا، مُجْتَهِدِينَ فِي طَاعَتِهِ، غَيْرَ مُضَيِّعِينَ لِفَرَائِضِهِ:

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ۝ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ۝ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ۝ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ۝ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ۝ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ۝ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ۝ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ۝﴾

﴿تَفْسِيرُ الْمُفْرَدَاتِ﴾

عَادٌ: قَبِيلَةٌ مِنْ أَبْنَاءِ عَادٍ.

إِرَمَ: اِسْمٌ لِبَلْدَتِهِمْ.

ذَاتُ الْعِمَادِ: أَيِ الرِّفْعَةِ وَالثَّبَاتِ.

جَابُوا الصَّخْرَ: قَطَعُوا الصَّخْرَ.

طَغَوْا: تَجَاوَزُوا الْحُدُودَ.

سَوْط عَذَاب: اَلسَّوْطُ هُوَ الْجِلْدُ الْمَضْفُورُ الَّذِي يُضْرَبُ بِهِ وَصَبُّهُ إِنْزَالُهُ بِشِدَّةٍ.
اَلرَّصَدُ: هُوَ مَنْ يَرْصُدُ الْأُمُورَ، أَيْ يَتَرَقَّبُهَا لِيَقِفَ عَلَى مَا فِيهَا مِنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ.

﴿اَلْبَيَانُ﴾

هَذَا خِطَابٌ مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مُوَجَّهُ لِلنَّبِيِّ ﷺ، يَقُولُ لَهُ: أَلَمْ تَعْلَمْ يَا مُحَمَّدُ مَا فَعَلَ رَبُّكَ بِقَوْمِ عَادٍ وَثَمُودَ وَفِرْعَوْنَ، الَّذِينَ اغْتَرُّوا بِقُوَّتِهِمْ وَتَهَاوَنُوا بِحُقُوقِ الْعِبَادِ وَاعْتَدَوْا عَلَيْهِمْ، قَدْ أَنْزَلْتُ عَلَيْهِمُ الْعَذَابَ بِأَنْوَاعِهِ، جَزَاءً عَلَى طُغْيَانِهِمْ وَإِفْسَادِهِمْ، وَإِنِّي رَقِيبٌ عَلَى أَعْمَالِ خَلْقِي وَمُطَّلِعٌ عَلَى كُلِّ مُفَرِّطٍ فِي حَقِّي، لَا تَخْفَى عَلَيَّ خَافِيَةٌ، أُجَازِي كُلَّ مُذْنِبٍ بِذَنْبِهِ وَكُلَّ مُحْسِنٍ بِعَمَلِهِ:

فَأَمَّا مَنْ عَمِلَ صَالِحًا وَهُوَ مُؤْمِنٌ، فَلَهُ جَزَاءُ الْحُسْنَى.

وَأَمَّا مَنِ اقْتَرَفَ الْآثَامَ وَاجْتَرَحَ السَّيِّئَاتِ، فَسَنُصْلِيهِ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ.

ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ بَعْدَمَا ذَكَّرَنَا أَنَّهُ يُؤَاخِذُ الْعُصَاةَ وَلَا يُهْمِلُهُمْ، أَرَادَ أَنْ يُعَرِّفَنَا بِشَأْنِ الْإِنْسَانِ وَكَيْفَ أَنَّهُ لَا يَسْتَقِرُّ عَلَى حَالٍ:

﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ ﴿١٥﴾ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ ﴿١٦﴾ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا﴾

﴿تَفْسِيرُ الْمُفْرَدَاتِ﴾

اِبْتَلَاهُ: اِخْتَبَرَهُ.
فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ: صَيَّرَهُ فَقِيرًا مُقَتَّرًا عَلَيْهِ فِي الرِّزْقِ.

﴿اَلْبَيَانُ﴾

يَعْنِي أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا اخْتَبَرَهُ رَبُّهُ بِالْغِنَى لِيَرَى كَيْفَ يَعْمَلُ فِيمَا رَزَقَهُ، فَيَقُولُ: رَبِّي قَدْ أَكْرَمَنِي وَنَعَّمَنِي؛

وَأَمَّا إِذَا اخْتَبَرَهُ بِأَنْ ضَيَّقَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ: رَبِّي أَهَانَنِي وَأَذَلَّنِي بِالْفَقْرِ.

وَلَا يَخْفَى أَنَّهُ فِي كِلَا الْحَالَتَيْنِ خَاطِيءٌ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَخْتَبِرُ عَبْدَهُ بِالْغِنَى لِكَرَامَتِهِ وَلَا بِالْفَقْرِ لِهَوَانِهِ، لِأَنَّ الْغِنَى وَالْفَقْرَ بِتَقْدِيرِ اللَّهِ، وَإِنَّمَا يُوَسِّعُ عَلَى عَبْدِهِ لِيَخْتَبِرَهُ أَيَصْبِرُ أَوْ يَضْجَرُ:

﴿ بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾ كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ ﴿٢٣﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴿٢٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾ ﴾

﴿ تَفْسِيرُ الْمُفْرَدَاتِ ﴾

اَلتُّرَاثُ: اَلْمِيرَاثُ.

أَكْلًا لَمًّا: أَكْلًا شَدِيدًا.

حُبًّا جَمًّا: حُبًّا شَدِيدًا.

دَكًّا دَكًّا: اَلدَّكُّ كَسْرُ الْحَائِطِ وَالْجَبَلِ، وَالْمُرَادُ أَنَّ الْأَرْضَ تَصِيرُ هَبَاءً.

صَفًّا صَفًّا: أَيِ الْمَلَائِكَةُ يَصْطَفُّونَ صَفًّا بَعْدَ صَفٍّ.

يَتَذَكَّرُ: يَتَّعِظُ.

﴿ اَلْبَيَانُ ﴾

مَا بَالُكُمْ أَيُّهَا الْأَغْنِيَاءُ لَا تُعْطُونَ حَقَّ الْيَتِيمِ، وَلَا تَتَكَاتَفُونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ، وَتَأْكُلُونَ الْأَمْوَالَ الَّتِي يَتْرُكُهَا مَنْ يُتَوَفَّى مِنْكُمْ وَلَا تُمَكِّنُونَ أَصْحَابَ الْحُقُوقِ مِنْهَا، وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا شَدِيدًا، أَدَّى بِكُمْ هَذَا الْحُبُّ إِلَى: الْبُخْلِ، وَعَدَمِ صَرْفِ شَيْءٍ مِنْهُ فِيمَا يَعُودُ عَلَى: أَهْلِكُمْ وَأُمَّتِكُمْ وَبِلَادِكُمْ، بِالْخَيْرِ وَالْمَنَافِعِ: كَصِلَةِ الْأَقَارِبِ، وَالْإِحْسَانِ إِلَى الْفُقَرَاءِ، وَإِنْشَاءِ الْمَدَارِسِ وَالْمَلَاجِئِ لِلْأَيْتَامِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، فَهَذَا الْحِرْصُ لَا يَلِيقُ بِكُمْ، فَارْجِعُوا إِلَى رُشْدِكُمْ، وَتَنَبَّهُوا إِلَى عَاقِبَةِ أَمْرِكُمْ وَمَا أَعَدَّهُ اللَّهُ مِنْ عَذَابٍ وَنَكَالٍ فِي يَوْمٍ عَظِيمٍ، تَصِيرُ الْأَرْضُ فِيهِ هَبَاءً مَنْثُورًا،

وَتَحْضُرُ فِيهِ الْمَلَائِكَةُ صُفُوفًا، وَتَظْهَرُ فِيهِ جَهَنَّمُ أَمَامَ الْخَلَائِقِ، وَعِنْدَئِذٍ فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ، يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ سُوءَ عَمَلِهِ فِي الدُّنْيَا فَيَقُولُ: يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِنَفْسِي عَمَلاً صَالِحًا يُوجِبُ نَجَاتِي مِنَ النَّارِ، لَكِنَّ تَذَكُّرَهُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ لَا يَنْفَعُهُ، لِأَنَّهُ لَيْسَ يَوْمَ عَمَلٍ بَلْ هُوَ يَوْمُ جَزَاءٍ وَمُحَاسَبَةٍ، وَفِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ يَتَوَلَّى اللَّـهُ عَذَابَهُ وَشَدَّ وَثَاقِهِ:

﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ﴿٢٨﴾ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾﴾

﴿تَفْسِيرُ الْمُفْرَدَاتِ﴾

اَلْمُطْمَئِنَّةُ: وَصْفٌ مِنَ الاطْمِئْنَانِ، وَهُوَ الاِسْتِقْرَارُ وَالثَّبَاتُ.

﴿اَلْبَيَانُ﴾

هَذَا نِدَاءٌ مِنَ اللَّـهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، إِلَى أَصْحَابِ النُّفُوسِ الْمُطْمَئِنَّةِ، بِمَا كَانَ عِنْدَهُمْ مِنْ إِيمَانٍ وَإِخْلَاصٍ فِي دَارِ الدُّنْيَا، فَيَقُولُ لَهُمْ: اِرْجِعُوا إِلَيَّ فَإِنِّي سَأَتَوَلَّى جَزَاءَكُمْ عَلَى صَالِحِ أَعْمَالِكُمْ، رَاضِينَ مَرْضِيًّا عَنْكُمْ، فَادْخُلُوا فِي عِبَادِي الصَّالِحِينَ، وَتَمَتَّعُوا بِجَنَّتِي.

﴿اَلْعِبْرَةُ﴾

ـ تُرْشِدُكَ هَذِهِ السُّورَةُ إِلَى:

أَنَّ السَّعَادَةَ لَا يُوصَلُ لَهَا إِلَّا بِطَاعَةِ اللَّـهِ،

وَأَنَّ إِسْبَاغَ النِّعْمَةِ فِي الدُّنْيَا عَلَى أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ لَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ مُسْتَحِقٌّ لِذَلِكَ، وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ يَدُلُّ عَلَى الاِسْتِحْقَاقِ لَمَا رَأَيْتَ عَاصِيًا مُوَسَّعًا عَلَيْهِ، وَلَا نَظَرْتَ كَافِرًا يَتَنَعَّمُ بِصُنُوفِ النَّعِيمِ؛

وَكَيْفَ تَكُونُ بَسْطَةُ الرِّزْقِ دَلِيلاً عَلَى أَنَّ الْعَبْدَ يَسْتَحِقُّ ذَلِكَ وَنَحْنُ نُشَاهِدُ كَثِيرًا مِنَ الصِّدِّيقِينَ مُضَيَّقًا عَلَيْهِمْ، وَتَأَمَّلْ فِيمَا كَانَ يَدْعُو بِهِ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ قَوْلِهِ:

﴿اَللَّهُمَّ أَحْيِنِي مِسْكِينًا وَأَمِتْنِي مِسْكِينًا وَاحْشُرْنِي فِي زُمْرَةِ الْمَسَاكِينِ﴾[1] تُدْرِكُ ذَلِكَ الْمَعْنَى وَاضِحًا، وَكَيْفَ يَفْرَحُ الْإِنْسَانُ بِكَثْرَةِ الْمَالِ، وَيَقْصِدُ بِجَمْعِهِ التَّبَاهِي عَلَى الْغَيْرِ، وَإِنَّمَا يَقْصِدُ بِهِ صِيَانَةَ نَفْسِهِ عَنْ سُؤَالِ النَّاسِ، وَالتَّوْسِعَةَ عَلَى عَائِلَتِهِ، ثُمَّ عَلَى الْمُعْوِزِينَ وَالْمَلْهُوفِينَ، وَالْمُضْطَرِّينَ وَالْمَكْرُوبِينَ، قَالَ ﷺ:

﴿مَنْ طَلَبَ الدُّنْيَا حَلَالًا اسْتِعْفَافًا عَنِ الْمَسْأَلَةِ، وَسَعْيًا عَلَى عِيَالِهِ، وَتَعَطُّفًا عَلَى جَارِهِ، لَقِيَ اللَّهَ وَجْهُهُ كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ﴾[2].

﴿سُورَةُ الْبَلَدِ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿لَا أُقْسِمُ بِهَٰذَا الْبَلَدِ ﴿١﴾ وَأَنتَ حِلٌّ بِهَٰذَا الْبَلَدِ ﴿٢﴾ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ ﴿٤﴾﴾

﴿تَفْسِيرُ الْمُفْرَدَاتِ﴾

اَلْبَلَدِ: اَلْمُرَادُ بِالْبَلَدِ الْكَعْبَةُ الْمُكَرَّمَةُ.

حِلٌّ: مُقِيمٌ وَنَازِلٌ بِهِ.

اَلْكَبَدُ: اَلْمَشَقَّةُ وَالتَّعَبُ.

﴿اَلْبَيَانُ﴾

(1) الحَدِيثُ وَرَدَ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: أَحِبُّوا الْمَسَاكِينَ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ: (اَللَّهُمَّ أَحْيِنِي مِسْكِينًا وَأَمِتْنِي مِسْكِينًا وَاحْشُرْنِي فِي زُمْرَةِ الْمَسَاكِينِ) وَأَخْرَجَهُ عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ، وَابْنُ مَاجَهْ؛ وَوَرَدَ الْحَدِيثُ أَيْضًا عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ: وَأَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ وَابْنُ عَسَاكِرَ وَالطَّبَرَانِيُّ.

(2) حَدِيثُ: (مَنْ طَلَبَ الدُّنْيَا حَلَالًا اسْتِعْفَافًا عَنِ الْمَسْأَلَةِ، وَسَعْيًا عَلَى أَهْلِهِ، وَتَعَطُّفًا عَلَى جَارِهِ، بَعَثَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَجْهُهُ مِثْلَ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ؛ وَمَنْ طَلَبَهَا حَلَالًا مُكَاثِرًا بِهَا مُفَاخِرًا لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ)؛ أَخْرَجَهُ أَبُو نُعَيْمٍ فِي الْحِلْيَةِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَأَخْرَجَهُ أَيْضًا: إِسْحَاقُ بْنُ رَاهَوَيْهِ، وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي شُعَبِ الْإِيمَانِ.

اَلْخِطَابُ لِلنَّبِيِّ ﷺ، وَالْمَعْنَى: إِنِّي أُقْسِمُ بِمَكَّةَ وَأَنْتَ يَا مُحَمَّدُ مُقِيمٌ بِهَا، وَلَكَ الْأَمْرُ وَالنَّهْيُ فِيهَا، وَقَدْ كَانَ شَأْنُهُ ﷺ كَذَلِكَ حِينَ فَتَحَهَا، فَأَحَلَّهَا اللَّـهُ لَهُ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ يُقَاتِلُ فِيهَا، وَلَمْ يُحِلَّهَا لِأَحَدٍ قَبْلَهُ، وَلَنْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ بَعْدَهُ؛

وَقَدْ وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ أَنَّهُ ﷺ قَالَ لِقُرَيْشٍ عِنْدَ فَتْحِ مَكَّةَ: **«مَا تَرَوْنَ أَنِّي فَاعِلٌ بِكُمْ؟ قَالُوا: أَخٌ كَرِيمٌ وَابْنُ أَخٍ كَرِيمٍ، قَالَ: فَاذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الطُّلَقَاءُ»**؛

وَقَدْ أَسْلَمَ أَغْلَبُ أَهْلِ مَكَّةَ، وَأَعَزَّ اللَّـهُ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ وَأَعَادَهُ إِلَى مَكَّةَ فَاتِحًا مَنْصُورًا؛ وَفِي هَذَا تَقْرِيعٌ لِلْمُشْرِكِينَ، وَتَبْكِيتٌ لِأَعْدَاءِ الدِّينِ.

وَأَقْسَمَ أَيْضًا بِكُلِّ وَالِدٍ وَمَا يُعَانِيهِ حَالَ تَكْوِينِ وَلَدِهِ، وَمَا يُعَانِيهِ الْمَوْلُودُ مِنْ حِينِ يَسْتَقِرُّ فِي بَطْنِ أُمِّهِ إِلَى حِينِ يَسْتَقِرُّ فِي الْأَرْضِ، بَلْ إِلَى حِينِ يَسْتَقِرُّ فِي دَارِ الْجَزَاءِ، وَهَذَا شَيْءٌ لَا يَشُكُّ فِيهِ عَاقِلٌ:

* فَالْجَنِينُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ يُكَابِدُ ظُلْمَةَ الرَّحِمِ وَالْأَحْشَاءِ، فَإِذَا خَرَجَ تَرَاهُ يُكَابِدُ: عَنَاءَ الارْتِضَاعِ، وَأَذَى الْحَرِّ وَالْقَرِّ، وَتَقَلُّبَاتِ الْأَجْوَاءِ، وَاخْتِلَافَاتِ الطُّقُوسِ، ثُمَّ يُكَابِدُ: الْحَبْوَ وَالْمَشْيَ، وَنَبْتَ الْأَسْنَانِ، وَالتَّعْلِيمَ وَتَحَمُّلَ الْمَشَقَّةِ فِي الذَّهَابِ وَالْإِيَابِ إِلَى الْـمَدْرَسَةِ، وَالشَّيْخُوخَةَ وَمَا يَتْبَعُهَا مِنَ الْأَوْجَاعِ وَالْأَسْقَامِ، ثُمَّ سَكَرَاتِ الْمَوْتِ ثُمَّ سُؤَالَ الْمَلَكَيْنِ ثُمَّ مُنَاقَشَةَ الْحِسَابِ؛

* وَرَحِمَ اللَّـهُ ابْنَ الرُّومِيِّ الَّذِي يَقُولُ:

لِـمَا تُؤْذِنُ الدُّنْيَـا بِهِ مِنْ صُرُوفِهَـا يَكُونُ بُكَـاءُ الطِّفْلِ سَاعَةَ يُولَدُ
وَإِلَّا فَمَـا يُبْكِيـهِ مِنْهَـا وَإِنَّهَـا لَأَوْسَـعُ مِمَّـا كَـانَ فِيـهِ وَأَرْغَـدُ

وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ تَنْبِيهٌ لِلْإِنْسَانِ، أَنَّ هَذِهِ الدَّارَ لَيْسَتْ دَارَ رَاحَةٍ وَلَا دَارَ إِقَامَةٍ، حَتَّى يَطْمَئِنَّ إِلَيْهَا وَيَغْفُلَ عَمَّا خُلِقَ لَهُ، وَيَحْرِمَ نَفْسَهُ مِنَ الزَّادِ الَّذِي يَنْفَعُ فِي دَارِ الْبَقَاءِ، وَهُوَ: الْعِلْمُ النَّافِعُ، وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ:

﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ۝ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ۝ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُ أَحَدٌ ۝﴾

﴿تَفْسِيرُ الْـمُفْـرَدَاتِ﴾

أَهْلَكْتُ: أَنفَقْتُ.

اَلْمَالُ اللُّبَدُ: اَلْمَالُ الْكَثِيرُ.

﴿ٱلْبَيَانُ﴾

يَعْنِي أَيَظُنُّ الْإِنْسَانُ مَعَ مَا هُوَ فِيهِ مِنَ الْعَنَاءِ، مِنْ سَاعَةِ مِيلَادِهِ إِلَى سَاعَةِ مَوْتِهِ، أَنَّهُ قَدْ بَلَغَ مِنَ الْقُوَّةِ وَالْعِزَّةِ دَرَجَةً لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ مَعَهَا أَنْ يَصِلَ إِلَيْهِ بِمَكْرُوهٍ، وَإِنَّهُ إِنْ ظَنَّ ذَلِكَ كَانَ كَثِيرَ الْجَهْلِ، شَدِيدَ الْغَبَاوَةِ، فَإِنَّ اللَّـهَ تَعَالَى مُحِيطٌ بِهِ وَعَالِمٌ بِجَمِيعِ أَعْمَالِهِ، وَهُوَ

قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُبَدِّلَ قُوَّتَهُ ضَعْفًا، وَصِحَّتَهُ مَرَضًا، وَغِنَاهُ فَقْرًا، وَعِزَّهُ ذُلًّا وَإِهَانَةً.

ثُمَّ مَا بَالُ بَعْضِ الْمُشْرِكِينَ يَقُولُ مُفْتَخِرًا بِأَنِّي أَنفَقْتُ مَالًا كَثِيرًا فِي سَبِيلِ إِيذَاءِ مُحَمَّدٍ، وَهَدْمِ دِينِهِ؛ أَيَحْسِبُ هَذَا الْمُغْتَرُّ حِينَ يَقُولُ ذَلِكَ وَيَتَبَجَّحُ بِهِ، أَنَّ اللَّـهَ لَمْ يَطَّلِعْ عَلَى أَعْمَالِهِ، وَاللَّـهُ عَالِمٌ بِذَلِكَ كُلِّهِ، وَهُوَ لَا يَعْزُبُ عَنْ عِلْمِهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ؛ وَسَوْفَ يَسْأَلُهُ وَيُحَاسِبُهُ حِسَابًا شَدِيدًا؛

ثُمَّ لَمَّا ذَكَّرَنَا اللَّـهُ أَنَّهُ خَلَقَ الْإِنْسَانَ فِي مَشَقَّةٍ وَمُعَانَاةٍ، أَرَادَ أَنْ يُنَبِّهَنَا بِأَنَّهُ أَنْعَمَ عَلَى هَذَا الْإِنْسَانِ الْجَاحِدِ لِنِعْمَتِهِ بِنِعَمٍ عَظِيمَةٍ، لَيْسَ فِي وُسْعِهِ الْقِيَامُ بِأَدَاءِ شُكْرِهَا فَقَالَ:

﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَـٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَـٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا هُمْ أَصْحَـٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌۢ ﴿٢٠﴾﴾

﴿تَفْسِيرُ الْمُفْرَدَاتِ﴾

اَلنَّجْدَيْنِ: تَثْنِيَةُ نَجْدٍ، وَأَصْلُ مَعْنَاهُ: اَلطَّرِيقُ فِي الْجَبَلِ، وَالْمُرَادُ بِهِ هُنَا: طَرِيقُ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ.

اَلِاقْتِحَامُ: اَلدُّخُولُ فِي الأَمْرِ الشَّدِيدِ.

اَلْعَقَبَةُ: فِي الأَصْلِ الحَاجِزُ الْمَنِيعُ، وَالْمُرَادُ بِهَا هُنَا: بَعْضُ الأُمُورِ الَّتِي يَشُقُّ عَلَى النَّفْسِ فِعْلُهَا.

اَلرَّقَبَةُ: عِتْقُ الأَرِقَّاءِ وَالْـمَمَالِيكِ.

اَلْمَسْغَبَةُ: تَقُولُ سَغَبَ الرَّجُلُ يَسْغُبُ سَغَبًا فَهُوَ سَاغِبٌ وَسَغْبَانُ إِذَا جَاعَ.

اَلْمَقْرَبَةُ: هِيَ الْقَرَابَةُ وَالنَّسَبُ، تَقُولُ فُلَانٌ مِنْ ذَوِي قَرَابَتِي.

اَلْمَتْرَبَةُ: اَلْفَقْرُ الْمُدْقِعُ.

أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ: أَيْ أَصْحَابُ الْيَمِينِ: هُمُ السُّعَدَاءُ.

اَلْمَشْئَمَةُ: مَعْنَاهَا الشِّمَالِ.

﴿اَلْـبَيَــانُ﴾

- **يُنَبِّهُنَا اللَّـهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِهَذِهِ الْآيَاتِ إِلَى أَنَّهُ:** وَهَبَ الإِنْسَانَ الْجَوَارِحَ وَالأَعْضَاءَ تَفَضُّلاً مِنْهُ عَلَيْهِ، وَلَمْ يَحُلْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْخَيْرِ إِنْ أَرَادَ أَنْ يَسْلُكَ سَبِيلَهُ لِيَحُوزَ ثَوَابَهُ، وَلَكِنَّهُ تَقَاعَسَ وَتَكَاسَلَ عَنْ فِعْلِ الْخَيْرِ، وَظَنَّ أَنَّ اجْتِيَازَ الْعَقَبَةِ كَلِمَةٌ يَلُوكُهَا اللِّسَانُ مِنْ غَيْرِ عَمَلٍ، وَكَانَ مِنْ وَاجِبِهِ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ حَظَّ كُلِّ إِنْسَانٍ مِنَ الْـمُكَافَأَةِ وَالنُّجْحِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، سَيَكُونُ عَلَى قَدْرِ مَا يَبْذُلُهُ مِنَ الْعَمَلِ وَالسَّعْيِ، خَيْرًا أَوْ شَرًّا، قَلِيلاً أَوْ كَثِيرًا، وَهَذِهِ سُنَّةُ اللَّـهِ فِي خَلْقِهِ.

- **فَكُلُّ طَالِبٍ لِلنَّجَاةِ وَالْفَوْزِ بِنَعِيمِ الْجَنَّةِ، عَلَيْهِ:**

أَنْ يُثَابِرَ وَيَعْمَلَ وَيُفِيضَ عَلَى النَّاسِ مِمَّا أَفَاضَ اللَّـهُ عَلَيْهِ: فَيُعِينُ عَلَى تَحْرِيرِ الرِّقَابِ، وَيُوَاسِي الْيَتَامَى مِنْ أَقَارِبِهِ وَلَا سِيَّمَا فِي أَيَّامِ الْقَحْطِ وَالْغَلَاءِ، وَيُطْعِمُ الْمَسَاكِينَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ كَسْبٌ، وَيُسَاعِدُ الْمُضْطَرِّينَ، وَيُفَرِّجُ كَرْبَ الْمَكْرُوبِينَ، ثُمَّ يَسْتَمِرُّ عَلَى أَفْعَالِ الْبِرِّ، وَيَلْتَحِقُ بِالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ عَلَى بَذْلِ الْمَجْهُودِ لِاكْتِسَابِ الْخَيْرَاتِ، وَأَوْصَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا عَلَى التَّرَاحُمِ وَالْمُوَاسَاةِ؛

هَذَا هُوَ الْفِعْلُ الَّذِي يَتَسَنَّى لَهُ بِهِ تَخَطِّي الْعَقَبَةِ؛

وَهَؤُلَاءِ الْمُتَّصِفُونَ بِالإِيمَانِ وَالصَّبْرِ وَالتَّرَاحُمِ وَإِطْعَامِ الأَيْتَامِ وَالْمَسَاكِينِ، هُمْ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ: أَيْ أَهْلُ الْيَمِينِ؛ وَمَعْنَى ذَلِكَ: أَنَّهُمْ هُمُ السُّعَدَاءُ؛

أَمَّا مَنْ لَا يَعْتَبِرُونَ وَلَا يُصَدِّقُونَ بِهَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْئَمَةِ، يَعْنِي هُمُ الْفَرِيقُ الذِي كُتِبَ عَلَيْهِمُ الشَّقَاءُ الْأَبَدِيُّ، فَيُجَازِيهِمْ بِنَارٍ مُوصَدَةٍ: يَعْنِي مُطْبَقَةٍ وَمُغْلَقَةٍ كَمَا يُغْلَقُ بَابُ السِّجْنِ عَلَى مَنْ فِيهِ، وَهَذَا كِنَايَةٌ عَنْ سِجْنِهِمْ فِيهَا وَعَدَمِ فِرَارِهِمْ مِنْهَا جَزَاءَ كُفْرِهِمْ وَعِنَادِهِمْ. نَسْأَلُ اللَّـهَ السَّلَامَةَ وَالنَّجَاةَ مِنَ النَّارِ.

﴿اَلْعِبْـرَةُ﴾

ـ تُرْشِدُكَ هَذِهِ السُّورَةُ إِلَى: أَنَّ مُهِمَّةَ الْإِنْسَانِ شَاقَّةٌ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ، وَأَنَّ مَنْ عَلِمَ ذَلِكَ لَا يَفْرَحُ بِغُرُورِ الدُّنْيَا، وَيَنْظُرُ إِلَى مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ نَصَبًا وَمُعَانَاةً، فَيَعْطِفُ عَلَيْهِ وَيُسَارِعُ إِلَى الْخَيْرِ قَبْلَ أَنْ لَا يَقْدِرَ عَلَيْهِ: فَيُطْعِمُ الْمِسْكِينَ، وَيُحْسِنُ مُعَامَلَةَ الْيَتِيمِ وَيَكْفُلُهُ، لِأَنَّ الْيَتِيمَ مُعَرَّضٌ لِلضَّيَاعِ فِي تَرْبِيَتِهِ وَآدَابِهِ، فَإِذَا كَفَلَهُ وَأَدَّبَهُ وَصَانَ مَالَهُ وَوَفَّرَهُ لَهُ حَتَّى بَلَغَ أَشُدَّهُ، كَانَ ذَلِكَ الْكَافِلُ كَأَنَّمَا أَحْيَا الْيَتِيمَ بَعْدَ الْمَوْتِ، فَلَا جَرَمَ بَعْدَ أَنْ قَامَ بِوَاجِبِهِ هَذَا أَنْ يُجَازِيَهُ رَبُّهُ بِدَارِ الْجِنَانِ، وَيُنَادَى عَلَيْهِ: ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴾ (الرحمن: ٦٠) قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا ﴾ (آل عمران: ٣٠). وَقَـالَ الشَّاعِرُ:

لِدُنْيَـاكَ نُـورٌ وَلَـكِنَّـهُ ظَلَامٌ يَضِيقُ بِهِ الْـمُبْصِرُ
فَـإِنْ عِشْـتَ فِيهَـا عَلَـى أَنَّهَـا كَمَـا قِيـلَ قَنْطَـرَةٌ تُعْبَـرُ
فَـلَا يَخْدَعَنْـكَ بِهَـا زُخْـرُفٌ فَـإِنَّ الْـخَرَابَ لِـمَا تَعْمُـرُ
وَلَا تَـذْخَـرَنَّ خِـلَافَ التُّـقَـى فَتَفْـنَـى وَيَبْـقَى الـذِي تَـذْخَـرُ

﴿سُـورَةُ الشَّمْـسِ﴾

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ۝١ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ۝٣ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ۝٤ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ۝٥ وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا ۝٦ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾

﴿تَفْسِيرُ الْمُفْرَدَاتِ﴾

ضُحَى الشَّمْسِ: ضَوْؤُهَا وَحَرَارَتُهَا، وَتَقُولُ ضَحَّى يُضَحِّي إِذَا بَرَزَ لِلشَّمْسِ وَتَعَرَّضَ لِحَرَارَتِهَا.

جَلَّاهَا: كَشَفَهَا وَأَظْهَرَهَا وَأَبَانَهَا.

يَغْشَاهَا: اَلْمَعْنَى أَنَّ اللَّيْلَ يُغَشِّي الشَّمْسَ فَيُزِيلُ ضَوْءَهَا.

طَحَاهَا: بَسَطَهَا وَوَسَّعَهَا وَجَعَلَهَا فِرَاشًا.

سَوَّاهَا: عَدَّلَهَا بِأَنْ رَكَّبَ فِيهَا قُوَاهَا الْبَاطِنَةَ وَالظَّاهِرَةَ، وَحَدَّدَ لِكُلِّ قُوَّةٍ وَظِيفَةً تُؤَدِّيهَا.

اَلْإِلْهَامُ: هُوَ الْإِفْهَامُ وَالتَّعْرِيفُ.

اَلْفُجُورُ: إِتْيَانُ مَا يَنْتَهِي بِالنَّفْسِ إِلَى الْخُسْرَانِ.

اَلتَّقْوَى: مَا يَحْفَظُ النَّفْسَ مِنْ سُوءِ الْعَاقِبَةِ.

أَفْلَحَ: أَصَابَ الْفَلَاحَ، وَالْفَلَاحُ: هُوَ إِدْرَاكُ الْمَطْلُوبِ.

زَكَّاهَا: طَهَّرَهَا مِنْ أَدْنَاسِ الذُّنُوبِ.

دَسَّاهَا: أَخْفَاهَا بِالْمَعَاصِي وَالذُّنُوبِ، أَيْ أَنَّهُ طَاوَعَ نَفْسَهُ بِاتِّبَاعِ الشَّهَوَاتِ حَتَّى صَارَ مِثْلَ الْبَهَائِمِ

﴿اَلْبَيَانُ﴾

أَقْسَمَ اللّٰهُ بِالشَّمْسِ وَضَوْئِهَا وَحَرَارَتِهَا، كَمَا أَقْسَمَ بِالْوَقْتِ وَالظُّلْمَةِ، وَبِالنَّفْسِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَبِالذِي سَوَّاهَا، أَنَّهُ خَلَقَ الْإِنْسَانَ وَوَهَبَهُ الْعَقْلَ الذِي يُمْكِنُ بِهِ التَّمْيِيزُ بَيْنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَبَيَّنَ لَهُ طَرِيقَ الْخَيْرِ وَطَرِيقَ الشَّرِّ، وَذَكَّرَهُ أَنَّ طَرِيقَ الْخَيْرِ هُوَ أَنْ يُطَهِّرَ نَفْسَهُ مِنَ الذُّنُوبِ: كَالْحِقْدِ، وَالْحَسَدِ، وَالنِّفَاقِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمُوبِقَاتِ، فَإِذَا سَلَكَ الْإِنْسَانُ هَذَا الطَّرِيقَ فَازَ وَأَفْلَحَ، وَرَبِحَ وَسَعِدَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؛

أَمَّا إِذَا رَجَّحَ طَرِيقَ الشَّرِّ وَدَنَّسَ نَفْسَهُ بِاتِّبَاعِ الشَّهَوَاتِ وَاكْتِسَابِ السَّيِّئَاتِ، خَابَ وَخَسِرَ؛

وَجَوَابُ الْقَسَمِ هُوَ: قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا:

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَا ۝ إِذِ انۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ۝ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ۝ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ۝ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ۝﴾

﴿تَفْسِيرُ الْمُفْرَدَاتِ﴾

اَلطَّغْوَى: اَلطُّغْيَانُ، وَمَعْنَاهَا مُجَاوَزَةُ الْحَدِّ الْمُعْتَادِ.

دَمْدَمَ: أَطْبَقَ عَلَيْهِمُ الْعَذَابَ.

﴿اَلْبَيَانُ﴾

ثَمُودُ: قَبِيلَةٌ مِنَ الْعَرَبِ كَانَتْ مَسَاكِنُهُمْ بَيْنَ الْحِجَازِ وَالشَّامِ.

وَمَعْنَى كَذَّبَتْ: أَيْ جَحَدَتْ ثَمُودُ وَأَنْكَرَتْ أَنَّهَا طَاغِيَةٌ، وَزَعَمَتْ أَنَّهَا رَشِيدَةٌ؛
وَالْمُرَادُ بِالرَّسُولِ: سَيِّدُنَا صَالِحٌ عليه السلام، فَقَدْ أَنْذَرَهُمْ وَحَذَّرَهُمْ هَذَا الرَّسُولُ وَقَالَ لَهُمْ: اِحْذَرُوا مَنْعَ النَّاقَةِ مِنَ الشُّرْبِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ، فَهِيَ آيَةٌ مِنْ آيَاتِ رَبِّكُمْ، وَلَكُمْ يَوْمٌ وَلَهَا يَوْمٌ وَهِيَ لَا تَشْرَبُ فِي يَوْمِكُمْ، فَكَذَّبُوهُ وَلَمْ يَسْتَمِعُوا نَصِيحَتَهُ، وَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَذَبَحُوهَا، فَأَطْبَقَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْعَذَابَ وَأَهْلَكَهُمْ وَجَعَلَهُمْ تَحْتَ التُّرَابِ، وَسَوَّى بَيْنَهُمْ فِي الْعُقُوبَةِ عَظِيمِهِمْ وَحَقِيرِهِمْ، وَغَنِيِّهِمْ وَفَقِيرِهِمْ؛

فَهُوَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قَادِرٌ، يُهْلِكُ كُلَّ مَنْ يَسْتَحِقُّ الْعُقُوبَةَ، وَهُوَ عَادِلٌ فِي قَضَائِهِ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ، لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَلَا رَادَّ لِمَشِيئَتِهِ.

﴿اَلْعِبْرَةُ﴾

اِشْتَمَلَتْ هَذِهِ السُّورَةُ عَلَى مَوْعِظَةٍ حَسَنَةٍ وَغَايَةٍ جَمِيلَةٍ، مِنْ أَجْلِهَا بَعَثَ اللَّهُ جَمِيعَ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ، وَهِيَ تَزْكِيَةُ النُّفُوسِ وَتَطْهِيرُهَا مِنْ جَمِيعِ الْمُوبِقَاتِ.

* وَأَنْتَ إِذَا تَدَبَّرْتَ قَوَاعِدَ الْإِسْلَامِ وَجَدْتَهَا كُلَّهَا تَرْمِي إِلَى غَايَةٍ مُثْلَى، وَهِيَ تَزْكِيَةُ النُّفُوسِ:

فَشَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ: وَسِيلَةٌ إِلَى التَّوْحِيدِ الْخَالِصِ؛

وَالصَّلَاةُ: وَسِيلَةٌ لِلْقِيَامِ بِوَاجِبِ شُكْرِ اللّٰـهِ عَلَى مَا وَهَبَ مِنْ جَزِيلِ النِّعَمِ، وَلِرَبْطِ قُلُوبِ الْمُسْلِمِينَ بِرِبَاطِ الْأُلْفَةِ وَالْمَوَدَّةِ وَالْمَحَبَّةِ؛

وَالصَّوْمُ: وَسِيلَةٌ لِتَعْوِيدِ النَّفْسِ تَحَمُّلَ الصَّبْرِ، وَلِكَيْ يَشْعُرَ الصَّائِمُ بِحَالِ الْفَقِيرِ وَمَا يُقَاسِيهِ مِنْ أَلَمِ الْجُوعِ فَتَمِيلُ نَفْسُهُ إِلَيْهِ وَيَتَصَدَّقُ عَلَيْهِ؛

وَالْحَجُّ: لِلتَّعَارُفِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ؛

وَالزَّكَاةُ: لِتَطْهِيرِ النُّفُوسِ مِنَ الشُّحِّ، فَمَنْ جَادَ بِمَالِهِ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللّٰـهِ عَظُمَتْ فِي عَيْنَيْهِ الْحَيَاةُ الْبَاقِيَةُ، وَاسْتَنَارَ قَلْبُهُ بِنُورِ الْإِيمَانِ.

* وَبِالْجُمْلَةِ إِنَّكَ لَا تَجِدُ قَاعِدَةً مِنْ قَوَاعِدِ الدِّينِ إِلَّا كَانَتْ غَايَتُهَا تَزْكِيَةَ النُّفُوسِ، لِتُحَسِّنَ الْمُعَامَلَةَ مَعَ الْخَالِقِ وَخَلْقِهِ. فَحَاسِبْ نَفْسَكَ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُ وَابْحَثْ عَنْ تَقْصِيرِهَا فِي الْإِحْسَانِ، وَطَهِّرْهَا مِنْ أَدْنَاسِ الذُّنُوبِ وَالْعِصْيَانِ.

﴿سُـورَةُ اللَّيْـلِ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ (1) وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ (2) وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ (3) إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ (4) فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ (5) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ (6) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ (7) وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ (8) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ (9) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ (10) وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ (11)﴾

﴿تَفْسِيـرُ الْمُفْـرَدَاتِ﴾

لَشَتَّى: جَمْعُ شَتِيتٍ مِثْلُ مَرِيضٍ وَمَرْضَى، وَالشَّتِيتُ: الْمُتَبَدِّدُ بَعْضُهُ عَنْ بَعْضٍ، مَأْخُوذٌ مِنَ الشَّتَاتِ وَهُوَ الْبُعْدُ وَالِافْتِرَاقُ.

اِسْتَغْنَى: عَدَّ نَفْسَهُ غَنِيًّا عَنِ النَّاسِ وَخَدَعَهُ مَالُهُ وَجَاهُهُ.

تَرَدَّى: سَقَطَ، تَقُولُ تَرَدَّى فُلَانٌ مِنَ الْجَبَلِ أَيْ هَوَى مِنْ أَعْلَاهُ وَسَقَطَ إِلَى أَسْفَلِهِ.

﴿اَلْبَيَانُ﴾

أَقْسَمَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: بِاللَّيْلِ إِذَا دَخَلَ وَعَظُمَ ظَلَامُهُ، وَبِالنَّهَارِ إِذَا ظَهَرَ وَانْكَشَفَ نُورُهُ، وَبِالَّذِي خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى، إِنَّ مَسَاعِيَكُمْ لَمُخْتَلِفَةٌ وَمُتَنَوِّعَةٌ بَعْضُهَا يَسْتَوْجِبُ الْجِنَانَ وَالنَّعِيمَ الدَّائِمَ فِي الْجَنَّةِ، وَبَعْضُهَا يَسْتَوْجِبُ النِّيرَانَ وَالْعَذَابَ الْأَلِيمَ.

فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى الْفُقَرَاءَ، وَعَاوَنَ الْمُحْتَاجِينَ، وَاتَّقَى اللَّهَ تَعَالَى، وَاسْتَقَامَ، وَأَدَّى مَا عَلَيْهِ مِنَ الْوَاجِبَاتِ الدِّينِيَّةِ مِنْ: صَوْمٍ وَصَلَاةٍ، وَأَمَانَةٍ وَصِدْقٍ، فَهَذَا يَنَالُ رِضَا اللَّهِ، وَمَحَبَّتَهُ، وَإِكْرَامَهُ، وَيَفُوزُ بِالْجَنَّةِ وَمَا فِيهَا مِنَ الْخَيْرَاتِ، وَمَا يَشْتَهِيهِ الْإِنْسَانُ وَيُحِبُّهُ.

وَأَمَّا الَّذِي يَبْخَلُ بِمَالِهِ عَنِ الْفُقَرَاءِ وَالْمُحْتَاجِينَ، وَخَدَعَهُ مَالُهُ، فَظَنَّ أَنَّهُ بِذَلِكَ لَا يَحْتَاجُ إِلَى أَحَدٍ، وَكَذَّبَ بِوَحْدَانِيَّةِ اللَّهِ، أَوْ كَذَّبَ بِأَنَّ اللَّهَ يُخْلِفُ عَنِ الْمُنْفِقِينَ فَبَخَلَ بِمَالِهِ لِسُوءِ ظَنِّهِ بِخَالِقِهِ، فَهَذَا يُسَلِّطُ اللَّهُ عَلَيْهِ الْعَذَابَ، وَيَطْمِسُ عَلَى قَلْبِهِ، وَيَسْلُبُهُ مَا آتَاهُ مِنْ نِعَمٍ، وَمَا يَنْفَعُهُ مَالُهُ إِذَا هَلَكَ وَدُفِنَ فِي الْقَبْرِ، وَتَرَكَهُ لِلْوَارِثِينَ يُنْفِقُونَهُ عَلَى مَلَذَّاتِهِمْ وَشَهَوَاتِهِمْ.

فَفِي هَذِهِ الْآيَاتِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى الْمُؤْمِنِ أَنْ يُسَارِعَ إِلَى: مَعُونَةِ أَخِيهِ، وَنَفْعِهِ، وَتَخْفِيفِ بُؤْسِهِ، وَتَفْرِيجِ كُرْبَتِهِ:

﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ۝ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ ۝ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ۝ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ۝ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۝ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ۝ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ ۝ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ ۝ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ ۝ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ۝﴾

﴿تَفْسِيرُ الْمُفْرَدَاتِ﴾

تَلَظَّى: أَيْ تَتَوَهَّجُ وَتَتَوَقَّدُ وَتَلْتَهِبُ، تَقُولُ تَلَظَّتْ بِمَعْنَى الْتَهَبَتِ الْتِهَابًا، وَمِنْ ذَلِكَ سُمِّيَتِ النَّارُ لَظَى.

يَصْلَاهَا: يَحْتَرِقُ بِهَا.

يُجَنَّبُهَا: يُبْعَدُ عَنْهَا.

يُؤْتِي مَالَهُ: يُعْطِيهِ وَيُنْفِقُهُ وَيَصْرِفُهُ.

يَتَزَكَّى: يُنْفِقُ أَمْوَالَهُ فِي وُجُوهِ الْخَيْرِ.

﴿اَلْبَيَانُ﴾

تَضَمَّنَتْ هَذِهِ الْآيَاتُ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى اقْتَضَتْ حِكْمَتُهُ أَنْ يُبَيِّنَ لِعِبَادِهِ مَا يَكُونُ الْمُتَعَبِّدُ بِهِ مُطِيعًا، وَمَا يَكُونُ بِهِ عَاصِيًا، وَقَدْ فَعَلَ ذَلِكَ وَبَيَّنَ لَهُمْ طَرِيقَ الْهُدَى وَطَرِيقَ الشَّرِّ.

فَالذِي كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ، وَتَوَلَّى وَأَعْرَضَ عَنْ طَاعَتِهِ، فَهَذَا سَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ بِدُخُولِ النَّارِ يَحْتَرِقُ بِهَا؛

وَأَمَّا التَّقِيُّ وَهُوَ الْمُؤْمِنُ الطَّائِعُ الذِي يُنْفِقُ مَالَهُ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ غَيْرَ مُنْتَظِرٍ مُجَازَاةَ أَحَدٍ عَلَى مَعْرُوفِهِ، فَهَذَا سَوْفَ يَنَالُ الثَّوَابَ الذِي يُرْضِيهِ.

﴿اَلْعِبْرَةُ﴾

- تُرْشِدُكَ هَذِهِ السُّورَةُ إِلَى: أَنَّ أَعْمَالَ النَّاسِ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مُخْتَلِفَةٌ وَمُتَبَايِنَةٌ: بَعْضُهَا صَالِحَةٌ، وَبَعْضُهَا طَالِحَةٌ. فَمِنَ النَّاسِ:

1) **قَوْمٌ وَفَّقَهُمُ اللَّهُ لِطَاعَتِهِ وَشَرَحَ قُلُوبَهُمْ لِهِدَايَتِهِ**، فَسَرَتْ فِي دِمَائِهِمْ عَقِيدَةُ الْإِيمَانِ وَتَأَصَّلَتْ شَجَرَتُهَا الْمُبَارَكَةُ فِي نُفُوسِهِمْ، فَاسْتَتْبَعَتْ ثِمَارَهَا الطَّيِّبَةَ مِنَ: الْعَطْفِ عَلَى الْمَسَاكِينِ وَالْمُحْتَاجِينَ، وَالتَّعَفُّفِ عَنِ الْمَحَارِمِ، وَالتَّرَفُّعِ عَنِ الْمَآثِمِ؛

فَهَؤُلَاءِ الذِينَ جَمَعُوا هَذِهِ الْخِصَالَ الطَّيِّبَةَ لَا شَكَّ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ الصَّادِقُونَ.

2) وَأَمَّا الْفَرِيقُ الثَّانِي فَهُمْ: **قَوْمٌ قَدَّسُوا الدُّنْيَا، وَخَدَعَهُمْ مَالُهُمْ**، فَظَنُّوا بِذَلِكَ أَنَّهُمْ لَا يَحْتَاجُونَ إِلَى أَحَدٍ، فَلَا يُشَارِكُونَ النَّاسَ فِي سَرَّائِهِمْ وَضَرَّائِهِمْ، لِيُخَفِّفُوا عَنْهُمْ مَا حَلَّ بِهِمْ مِنَ الْفَقْرِ، وَمَا انْتَابَهُمْ مِنْ كَوَارِثِ الْأَيَّامِ، وَلَوْ تَدَبَّرْتَ هَذِهِ الْخِصَالَ لَوَجَدْتَهَا قَدْ جَمَعَتْ جَمِيعَ الشُّرُورِ؛ فَأَعْرِضْ عَنْهَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُ وَتَمَسَّكْ بِالْخِصَالِ الْأُولَى، فَفِيهَا الْهَنَاءُ وَالسَّعَادَةُ.

﴿سُورَةُ الضُّحَى﴾

* سَبَبُ نُزُولِ هَذِهِ السُّورَةِ: أَنَّهُ غَابَ الْوَحْيُ عَنْ رَسُولِ اللَّـهِ ﷺ مُدَّةً، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ، وَخَشِيَ أَنْ يَكُونَ رَبُّهُ تَرَكَهُ بَعْدَ أَنْ شَرَّفَهُ بِالْوَحْيِ وَالرِّسَالَةِ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً؛ وَبَيْنَمَا هُوَ فِي أَشَدِّ الشَّوْقِ إِلَى نُزُولِ الْوَحْيِ، إِذْ نَزَلَتْ هَذِهِ السُّورَةُ الْكَرِيمَةُ، تَحْمِلُ أَجْمَلَ الْبُشْرَى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَالضُّحَىٰ ۝١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ۝٤ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ۝٥ ﴾

﴿تَفْسِيرُ الْمُفْرَدَاتِ﴾

اَلضُّحَى: هُوَ الْوَقْتُ الذِي يَنْتَشِرُ فِيهِ ضَوْءُ الشَّمْسِ.

سَجَى: سَكَنَ أَهْلُهُ وَانْقَطَعُوا عَنِ الْحَرَكَةِ.

مَا وَدَّعَكَ: مَا تَرَكَكَ.

وَمَا قَلَى: وَمَا أَبْغَضَكَ.

﴿اَلْبَيَانُ﴾

أَقْسَمَ اللَّـهُ بِالضُّحَى وَاللَّيْلِ عَلَى أَنَّهُ مَا تَرَكَ مُحَمَّدًا وَلَا أَبْغَضَهُ، بَلْ مَا زَالَتْ عِنَايَتُهُ بِهِ قَائِمَةً، وَرِعَايَتُهُ لَهُ شَامِلَةً؛ وَفِي هَذَا أَشَدُّ التَّكْذِيبِ لِمَنْ شَمِتَ بِرَسُولِ اللَّـهِ ﷺ وَفَرِحَ بِانْقِطَاعِ الْوَحْيِ عَنْهُ، وَقَالَ: إِنَّ ذَلِكَ كَانَ لِإِعْرَاضِ اللهِ عَنْهُ وَبُغْضِهِ إِيَّاهُ؛

وَقَدْ أَخْبَرَهُ اللَّـهُ أَنَّ آخِرَةَ أَمْرِهِ خَيْرٌ مِنْ بِدَايَتِهِ، بِسَبَبِ مَا يَلْقَاهُ فِي الْقِيَامَةِ مِنَ الْكَرَامَةِ الْمَوْفُورَةِ، وَالدَّرَجَاتِ الرَّفِيعَةِ، مُكَافَأَةً عَلَى ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً قَضَاهَا فِي الدَّعْوَةِ إِلَى الْحَقِّ وَالْقَضَاءِ عَلَى الْبَاطِلِ حَتَّى زُلْزِلَ بُنْيَانُهُ، فَزَالَتْ دَوْلَةُ الْمُشْرِكِينَ، وَحَلَّتْ مَحَلَّهَا دَوْلَةُ الْعَادِلِينَ الْمُتَّقِينَ، فَإِذَا كَانَ هَذَا عَمَلَهُ وَسَعْيَهُ، فَلِمَ لَا يَكُونُ فِي أَعْلَى الدَّرَجَاتِ، وَأَرْفَعِ الْمَقَامَاتِ؟

وَقَدْ أَعْطَاهُ فِي الدُّنْيَا حُسْنَ الذِّكْرِ وَرِفْعَةَ الشَّأْنِ، وَجَعَلَ مِئَاتِ الْمَلَايِينِ مِنَ

الْبَشَرِ يَدِينُونَ بِدِينِهِ، وَيُصَلُّونَ عَلَيْهِ؛

وَلَقَدْ أَعَدَّ لَهُ فِي الْجَنَّةِ أَعْلَى الدَّرَجَاتِ، وَالشَّفَاعَةَ الْعُظْمَى، وَالْمَقَامَ الْمَحْمُودَ:

﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۝ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ۝ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ۝﴾

﴿تَفْسِيرُ الْمُفْرَدَاتِ﴾

ضَالًّا: وَجَدَكَ حَائِرًا.

عَائِلًا: وَجَدَكَ فَقِيرًا.

﴿اَلْبَيَانُ﴾

هَذَا بَيَانٌ لِبَعْضِ النِّعَمِ الَّتِي أَفَاضَهَا اللَّهُ عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ مِنْ أَوَّلِ حَيَاتِهِ:

اَلنِّعْمَةُ الْأُولَى: أَنَّهُ وَجَدَهُ يَتِيمًا فَقَدَ أَبَاهُ عَبْدَ اللَّهِ وَهُوَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ، ثُمَّ تُوُفِّيَتْ وَالِدَتُهُ آمِنَةُ وَهُوَ ابْنُ سِتِّ سِنِينٍ فَآوَاهُ جَدُّهُ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ، ثُمَّ عَمُّهُ أَبُو طَالِبٍ، فَكَانَا يَقُومَانِ بِمَصَالِحِهِ كَمَا يَقُومُ الْأَبَوَانِ، فَلَمْ يَظْهَرْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا يَظْهَرُ عَلَى الْيَتَامَى مِنَ الْكَآبَةِ وَالْمَسْكَنَةِ، فَكَانَ أَحَبَّ إِلَى أَبِي طَالِبٍ مِنْ أَبْنَائِهِ جَمِيعًا، يُؤَازِرُهُ، وَيَنْصُرُهُ، وَيَدْفَعُ عَنْهُ أَذَى قُرَيْشٍ، حَتَّى مَاتَ.

فَأَنْتَ تَرَى كَيْفَ أَنَّ اللَّهَ تَعَهَّدَ نَبِيَّهُ بِرِعَايَتِهِ، وَمَنَحَهُ وُدَّهُ وَمَحَبَّتَهُ، حَتَّى كَبِرَ وَتَرَعْرَعَ، وَالْفَضْلُ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ لِلَّهِ تَعَالَى.

اَلنِّعْمَةُ الثَّانِيَةُ: أَنَّهُ وَجَدَهُ حَائِرًا لَا يَدْرِي كَيْفَ يُبَلِّغُ رِسَالَةَ رَبِّهِ، وَلَا أَيَّ سَبِيلٍ يَسْلُكُهُ فِي هِدَايَةِ قَوْمِهِ، فَهَدَاهُ رَبُّهُ إِلَى الطَّرِيقِ الْأَقْوَمِ، وَعَرَّفَهُ أَنْ يَدْعُوَ إِلَى سَبِيلِهِ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ؛ وَأَيَّةُ نِعْمَةٍ أَكْبَرُ وَأَجَلُّ مِنْ هَذِهِ النِّعْمَةِ.

اَلنِّعْمَةُ الثَّالِثَةُ: وَجَدَهُ فَقِيرًا فَأَغْنَاهُ، وَقَدْ أَغْنَاهُ اللَّهُ حِسًّا وَمَعْنًى، بِمَالِ خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وَبِقُوَّةِ إِيمَانِهِ بِرَبِّهِ، وَكَثْرَةِ أَنْصَارِهِ:

﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝﴾

(الْبَيَانُ)

بَعْدَ أَنْ عَدَّدَ اللَّهُ عَلَى نَبِيِّهِ نِعَمَهُ الثَّلَاثَ، أَمَرَهُ بِثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ مُقَابَلَةً لَهَا:

الْأُولَى: نَهَاهُ عَنْ قَهْرِ الْيَتِيمِ وَإِذْلَالِهِ.

الثَّانِيَةُ: نَهَاهُ عَنْ نَهْرِ السَّائِلِ، سَوَاءٌ سَائِلُ الْعِلْمِ وَطَالِبُ الْهِدَايَةِ، أَوْ سَائِلُ الْمَالِ وَالْحَاجَةِ؛ وَمَعْنَى لَا تَنْهَرْ: لَا تَزْجُرْ وَلَا تُغْلِظْ لَهُ الْقَوْلَ، بَلْ إِذَا شِئْتَ رَدَّهُ بِالْحُسْنَى.

الثَّالِثَةُ: أَمَرَهُ أَنْ يُحَدِّثَ بِنِعْمَةِ رَبِّهِ، وَنِعَمُ اللَّهِ عَلَى نَبِيِّهِ كَثِيرَةٌ لَا تُحْصَى، مِنْهَا: نِعْمَةُ الْقُرْآنِ، وَنِعْمَةُ النُّبُوَّةِ، وَنِعْمَةُ الْعِصْمَةِ مِنَ النَّاسِ، وَنِعْمَةُ النَّصْرِ عَلَى الْأَعْدَاءِ؛

* وَالْمَقْصُودُ مِنَ التَّحَدُّثِ بِالنِّعْمَةِ: إِظْهَارُ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْهِ، وَشُكْرُهُ عَلَى مَا أَنْعَمَ، وَلَيْسَ الْمَقْصُودُ الْفَخْرَ وَالْعُلُوَّ عَلَى النَّاسِ، فَمُحَمَّدٌ طَاهِرُ الْقَلْبِ وَطَاهِرُ النَّفْسِ، وَالْعُجْبُ وَالْفَخْرُ لَا يَلِيقَانِ بِالطَّاهِرِ، فَإِنَّهُ تَعَالَى يَقُولُ لَهُ: لَقَدْ كُنْتَ يَتِيمًا فَوَاسَيْنَاكَ فَلَمْ نُذِقْكَ ذُلَّ الْيُتْمِ، وَلَقَدْ كُنْتَ حَائِرًا فَهَدَيْنَاكَ، فَعَامِلِ الْمُتَعَلِّمَ بِمِثْلِ مَا عَامَلْنَاكَ، وَلَقَدْ كُنْتَ فَقِيرًا فَأَغْنَيْنَاكَ فَاشْكُرْ رَبَّكَ عَلَى نِعَمِهِ؛

وَلَقَدْ قَامَ الرَّسُولُ بِوَاجِبِ الشُّكْرِ، فَكَثِيرًا مَا كَانَ يَقُومُ اللَّيْلَ حَتَّى تَوَرَّمَ قَدَمَاهُ، خَوْفًا مِنَ اللهِ، وَرَهْبَةً فِي عِقَابِهِ، وَرَغْبَةً فِي ثَوَابِهِ؛

فَصَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَالتَّابِعِينَ.

(الْعِبْرَةُ)

ـ تُرْشِدُكَ هَذِهِ السُّورَةُ إِلَى: أَنَّ اللَّهَ قَدَّرَ عَلَى نَبِيِّهِ أَنْ يَكُونَ يَتِيمًا وَفَقِيرًا فِي أَوَّلِ حَيَاتِهِ، لِيُظْهِرَ لِلنَّاسِ فَضْلَ اللَّهِ وَقُدْرَتَهُ عَلَى تَغْيِيرِ الْأَحْوَالِ وَالشُّؤُونِ، حَتَّى صَارَ الْيَتِيمُ الضَّعِيفُ: قَوِيًّا ذَا أَنْصَارٍ وَأَتْبَاعٍ، يُحِبُّونَهُ أَكْثَرَ مِمَّا يُحِبُّونَ أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ وَأَمْوَالَهُمْ، وَغَنِيًّا يُعْطِي وَيَبْذُلُ وَيَجُودُ وَيَسْخُو عَلَى الْفُقَرَاءِ وَالْيَتَامَى؛

وَقَدْ وَرَدَ أَنَّهُ ﷺ كَانَ كَثِيرَ الْإِنْفَاقِ عَلَى الْفُقَرَاءِ، عَظِيمَ الرَّأْفَةِ بِالْيَتَامَى وَالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ؛

وَقَدْ أَوْصَى زَوْجَتَهُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بِذَلِكَ فَقَالَ لَهَا: (يَا عَائِشَةُ لَا تَرُدِّي الْمِسْكِينَ

وَأَحْسِنِي إِلَيْهِ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ﴾[1]، وَكَانَ أَصْحَابُهُ يَقْتَدُونَ بِهِ فِي مُوَاسَاةِ الْفُقَرَاءِ وَالْيَتَامَى، فَقَدْ تَصَدَّقَ سَيِّدُنَا عَلِيٌّ عَلَى مِسْكِينٍ وَيَتِيمٍ وَأَسِيرٍ، فَأَنْزَلَ اللَّـهُ فِي حَقِّهِ: ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾ (الإنسان: ٨)؛

فَيَجِبُ أَنْ نَقْتَدِيَ بِالرَّسُولِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْإِحْسَانِ:

إِلَى الْفُقَرَاءِ: بِأَنْ نُسَاعِدَهُمْ بِالنُّقُودِ وَالطَّعَامِ وَالْكِسْوَةِ؛

وَإِلَى الْيَتَامَى: بِأَنْ لَا نَقْهَرَهُمْ، وَلَا نَأْكُلَ أَمْوَالَهُمْ، بَلْ نُحَافِظُ عَلَيْهَا وَنُنَمِّيهَا لَهُمْ وَنُنْفِقُ عَلَيْهِمْ مِنْ ثَمَرِهَا، قَالَ ﷺ: ﴿أَحَبُّ بُيُوتِكُمْ إِلَى اللَّـهِ، بَيْتٌ فِيهَا يَتِيمٌ مُكْرَمٌ﴾[2].

﴿سُـورَةُ الانْشِـرَاحِ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ﴿٨﴾ ﴾

﴿تَفْسِيـرُ الْمُفْـرَدَاتِ﴾

اَلشَّرْحُ: اَلْبَسْطَةُ وَالتَّوْسِعَةُ، أَيْ أَلَمْ نُفْسِحْ لَكَ صَدْرَكَ؟

اَلْوِزْرُ: اَلْحِمْلُ الثَّقِيلُ.

---

(١) اَلْحَدِيثُ عَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ (اَللَّهُمَّ أَحْيِنِي مِسْكِينًا وَأَمِتْنِي مِسْكِينًا وَاحْشُرْنِي فِي زُمْرَةِ الْمَسَاكِينِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: لِمَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: إِنَّهُمْ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ قَبْلَ أَغْنِيَائِهِمْ بِأَرْبَعِينَ خَرِيفًا، يَا عَائِشَةُ: لَا تَرُدِّي الْمِسْكِينَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ يَا عَائِشَةُ: أَحِبِّي الْمَسَاكِينَ وَقَرِّبِيهِمْ فَإِنَّ اللهَ يُقَرِّبُكِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ وَالْبَيْهَقِيُّ.

(2) أَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي شُعَبِ الْإِيمَانِ عَنْ عُمَرَ، وَابْنُ عَدِيٍّ، وَأَبُو نُعَيْمٍ فِي الْحِلْيَةِ، وَالْقُضَاعِيُّ، وَلِلْحَدِيثِ أَطْرَافٌ أُخْرَى مِنْهَا: (إِنَّ أَحَبَّ الْبُيُوتِ)، (خَيْرُ بُيُوتِكُمْ).

أَنْقَضَ: أَثْقَلَ.

فَانْصَبْ: فَاتْعَبْ.

﴿اَلْبَيَانُ﴾

أَلَمْ نُفْسِحْ لَكَ صَدْرَكَ يَا مُحَمَّدُ: فَأَنْزَلْنَا عَنْهُ الضِّيقَ وَالْحُزْنَ وَالْأَلَمَ، وَأَخْرَجْنَا مِنْهُ جَمِيعَ الْهُمُومِ حَتَّى صِرْتَ لَا تَقْلَقُ وَلَا تَتَضَجَّرُ وَلَا تَتَأَلَّمُ، فَصَبَرْتَ عَلَى تَكْذِيبِ قَوْمِكَ، وَقَابَلْتَ إِسَاءَتَهُمْ بِالْإِحْسَانِ إِلَى أَنِ انْقَادُوا إِلَيْكَ وَأَحَبُّوكَ أَكْثَرَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَبْنَائِهِمْ، وَهَجَرُوا فِي رِضَاكَ أَوْطَانَهُمْ، وَدَافَعُوا عَنْكَ وَحَارَبُوا أَعْدَاءَكَ وَنَصَرُوكَ، كُلُّ ذَلِكَ حَصَلَ بِمَعُونَتِي لَكَ؛ كَمَا حَطَطْنَا عَلَيْكَ مَا أَثْقَلَ ظَهْرَكَ مِنْ أَعْبَاءِ الرِّسَالَةِ؛

وَلَيْسَ الْوِزْرُ الذِي كَانَ يُثْقِلُ ظَهْرَهُ ذَنْبًا مِنَ الذُّنُوبِ اقْتَرَفَهُ فَهُوَ يَطْلُبُ الصَّفْحَ وَالْمَغْفِرَةَ، وَلَكِنَّهُ كَانَ هَمًّا وَأَلَمًا يَجِدُهُ مِنِ اتِّهَامِ قَوْمِهِ لَهُ بِالْكَذِبِ وَالْجُنُونِ، فَلَمَّا هَدَاهُ اللَّهُ إِلَى إِنْقَاذِ أُمَّتِهِ مِنْ أَوْهَامِهَا الْفَاسِدَةِ، كَانَ ذَلِكَ بِمَثَابَةِ رَفْعِ الْحِمْلِ الثَّقِيلِ الذِي كَانَ يَنُوءُ بِحِمْلِهِ؛ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَالِيَ الشَّأْنِ، لَكَ فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ مِنْ نَوَاحِي الْأَرْضِ أَتْبَاعٌ: يَمْتَثِلُونَ لِأَوَامِرِكَ، وَيَجْتَنِبُونَ نَوَاهِيَكَ؛

فَإِذَا مَا فَرَغْتَ مِنْ مُهِمَّةِ تَبْلِيغِ مَا أَرْسَلْنَاكَ بِهِ لِأُمَّتِكَ فَاتْعَبْ فِي الْقِيَامِ بِوَاجِبِ الْعِبَادَةِ لَنَا، فَإِنَّ لَكَ بَعْدَ هَذَا التَّعَبِ مُلْكًا عَظِيمًا عِنْدِي، لَمْ يَنَلْهُ مَخْلُوقٌ غَيْرُكَ؛ فَارْغَبْ إِلَى رَبِّكَ بِالسُّؤَالِ وَلَا تَسْأَلْ غَيْرَهُ، وَهُوَ الْقَادِرُ وَحْدَهُ عَلَى مَا تَطْلُبُهُ وَتَرْغَبُ فِيهِ مِنْ شُؤُونِ الدِّينِ وَالدُّنْيَا.

﴿اَلْعِبْرَةُ﴾

ـ تُرْشِدُكَ هَذِهِ السُّورَةُ إِلَى: أَنَّ الْمُؤْمِنَ الْكَامِلَ يَجِبُ عَلَيْهِ كُلَّمَا وَجَدَ نَفْسَهُ قَدْ وَقَعَتْ فِي عُسْرٍ أَنْ يَتَدَرَّعَ بِالصَّبْرِ وَلَا يَيْأَسَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ؛ وَلَقَدْ كَانَ هَذَا حَالَ النَّبِيِّ ﷺ، فَإِنَّهُ قَدْ ضَاقَ بِهِ الْأَمْرُ فِي بَادِيءِ الْحَالِ قَبْلَ النُّبُوَّةِ، فَلَمْ يُثْنِهِ تَأَلُّبُ قَوْمِهِ عَلَيْهِ، وَلَمْ يُقَلِّلْ مِنْ عَزْمِهِ تَكْرَارُ إِيذَائِهِمْ، بَلْ صَبَرَ عَلَى مَكْرُوهِهِمْ، وَأَلْقَى بِنَفْسِهِ فِي غَمَرَاتِ الدَّعْوَةِ مُتَوَكِّلاً عَلَى اللَّهِ، رَاضِيًا بِكُلِّ مَا يَجِدُ مِنَ الْمَشَاقِّ فِي هَذَا السَّبِيلِ، وَلَمْ يَزَلْ عَلَى هَذَا الْحَالِ حَتَّى نَجَحَ وَنَصَرَهُ اللَّهُ؛

ـ فَلَا تَجْزَعْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُ بِمَا يَنْزِلُ بِكَ مِنْ مَكْرُوهٍ، وَلَا يَحْمِلُ بِكَ أَيْضًا أَنْ تَتَعَجَّلَ الْيُسْرَ إِذَا تَأَخَّرَ عَنْكَ، فَإِنَّ الْأُمُورَ مَرْهُونَةٌ بِأَوْقَاتِهَا الَّتِي قَدَّرَ اللَّـهُ حُصُولَهَا فِيهَا؛ وَلَا بُدَّ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ اللَّـهَ يَجْعَلُ مِنْ كُلِّ ضِيقٍ فَرَجًا، وَمِنْ كُلِّ هَمٍّ مَخْلَصًا :

فَلَا تَيْأَسْ إِذَا أَعْسَرْتَ يَوْمًا ... فَقَدْ أَيْسَرْتَ فِي دَهْرٍ طَوِيلِ
وَلَا تَظُنَّنْ بِرَبِّكَ ظَنَّ سَوْءٍ ... فَإِنَّ اللَّـهَ أَوْلَى بِالْجَمِيلِ
فَإِنَّ الْعُسْرَ يَتْبَعُهُ يَسَارٌ ... وَقَوْلُ اللَّـهِ أَصْدَقُ كُلِّ قِيلِ

﴿سُورَةُ التِّينِ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ۝ وَطُورِ سِينِينَ ۝ وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ۝ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ۝﴾

﴿تَفْسِيرُ الْمُفْرَدَاتِ﴾

اَلتِّينُ: اَلثَّمَرُ الْمَعْرُوفُ.

اَلطُّورُ: اَلْجَبَلُ الَّذِي كَلَّمَ اللَّـهُ مُوسَى عَلَيْهِ.

سِينِينَ: ذُو الْحُسْنِ، أَوْ ذُو الْبَرَكَةِ.

اَلْبَلَدُ: مَكَّةُ الْمُكَرَّمَةُ.

﴿اَلْبَيَانُ﴾

قَدْ أَقْسَمَ اللَّـهُ جَلَّ وَعَلَا: بِالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ، وَبِطُورِ سَيْنَاءَ، وَبِمَكَّةَ، عَلَى أَنَّهُ خَلَقَ ابْنَ آدَمَ فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ، وَرَكَّبَهُ فِي أَحْسَنِ تَرْكِيبٍ، ثُمَّ رَدَّهُ بَعْدَ شَبَابِهِ إِلَى حَالَةِ السَّافِلِينَ: وَهُمُ الضُّعَفَاءُ، وَالْمَرْضَى، وَمَنْ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً، وَلَا يَجِدُونَ سَبِيلاً إِلَى الرُّجُوعِ لِمَا كَانُوا فِيهِ مِنْ: غَضَارَةِ الْجِسْمِ، وَنَضَارَتِهِ، وَصِحَّتِهِ، وَعَافِيَتِهِ، فَيَعْتَرِيهِ النَّقْصُ، وَضَعْفُ الْعَقْلِ، وَالسَّمْعِ، وَالْبَصَرِ:

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ۝ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ۝﴾

﴿اَلْبَيَانُ﴾

بَعْدَ مَا وَقَعَ الانْتِهَاءُ مِنْ تَقْرِيرِ الْغَرَضِ السَّابِقِ، وَقَعَ الانْتِقَالُ إِلَى غَرَضٍ جَدِيدٍ، وَهُوَ بَيَانُ حُسْنِ عَاقِبَةِ الذِينَ آمَنُوا بِاللَّـهِ وَرَسُولِهِ إِيمَانًا حَقًّا، أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا غَيْرَ مَقْطُوعٍ، أَوْ لَا يُمَنُّ بِهِ عَلَيْهِمْ؛ وَالْمُرَادُ أَنَّهُمْ يَكُونُونَ سُعَدَاءَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ.

فَمَا يُكَذِّبُكَ وَيُلْجِئُكَ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ، بَعْدَ ظُهُورِ هَذِهِ الدَّلَائِلِ أَنْ تُكَذِّبَ بِيَوْمِ الْحِسَابِ، وَفِي هَذَا الْخِطَابِ الْتِفَاتٌ لِتَشْدِيدِ التَّوْبِيخِ، أَيْ مَاذَا يَجْعَلُكَ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مُكَذِّبًا بِالْجَزَاءِ الْأُخْرَوِيِّ؟ أَلَيْسَ الذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ أَعْدَلَ الْعَادِلِينَ فِي حُكْمِهِ؟ وَهَذَا الْوَصْفُ يَقْتَضِي: أَنَّهُ يَبْعَثُ النَّاسَ وَيُحَاسِبُهُمْ، لِيَنْتَصِفَ لِلْمَظْلُومِ فِي الدُّنْيَا مِنْ ظَالِـمِهِ، وَلِيُجَازِيَ كُلَّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ.

﴿اَلْعِبْـرَةُ﴾

تَطْلُبُ مِنْكَ هَذِهِ السُّورَةُ: أَنْ تَنْظُرَ إِلَى نَفْسِكَ وَمَا احْتَوَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْعَجَائِبِ وَالْغَرَائِبِ، كَيْفَ كَوَّنَهَا اللَّـهُ مِنْ نُطْفَةٍ قَذِرَةٍ، كَرِيهَةِ الرَّائِحَةِ، تَشْمَئِزُّ النَّفْسُ مِنْ رُؤْيَتِهَا؟ وَكَيْفَ مِنْهَا تَصِيرُ إِنْسَانًا حَسَّاسًا نَامِيًا، سَمِيعًا مُتَبَصِّرًا، مُتَكَلِّمًا عَاقِلاً حَكِيمًا؛

فَتَبَارَكَ اللَّـهُ الْخَلَّاقُ الْعَظِيمُ الذِي يُنْشِئُ هَذَا الْمَخْلُوقَ الْعَجِيبَ، الذِي حَيَّرَ الْأَلْبَابَ بِمَا أَوْدَعَ فِيهِ مِنَ النِّظَامِ الْمُحْكَمِ: كَعَقْلٍ يُمَيِّزُ بَيْنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَأَنْفٍ يُوصِلُ الْهَوَاءَ إِلَى رِئَتِهِ، وَأَسْنَانٍ يَطْحَنُ الطَّعَامَ بِهَا، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ النِّعَمِ الْكَثِيرَةِ وَالْخَيْرَاتِ الْوَفِيرَةِ. فَعَلَيْنَا أَنْ نَشْكُرَ اللَّـهَ وَنُثْنِيَ عَلَيْهِ بِمَا تَفَضَّلَ بِهِ عَلَيْنَا، وَلَا يَكْفِي أَنْ نَشْكُرَهُ بِاللِّسَانِ، بَلْ لَا بُدَّ أَنْ نُبَرْهِنَ عَلَى ذَلِكَ بِعَمَلِ الْجَوَارِحِ، فَإِذَا فَعَلْنَا ذَلِكَ نَكُونُ قَدْ قُمْنَا بِالشُّكْرِ الْحَقِيقِيِّ الذِي نَكُونُ بِهِ مِنَ الْفَائِزِينَ، قَـالَ تَعَـالَى:

﴿وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ (آل عمران: ١٤٥).

﴿سُـورَةُ الْعَلَـقِ﴾

* هَذِهِ السُّورَةُ مَكِّيَّةٌ، وَقَدْ نَزَلَ صَدْرُهَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فِي غَارِ حِرَاءَ:

رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: أَوَّلُ مَا بُدِىءَ بِهِ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ؛ ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ، وَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ ـ وَهُوَ التَّعَبُّدُ ـ اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ الْعَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلَى أَهْلِهِ، وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا، حَتَّى جَاءَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ؛ فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فَقَالَ: اقْرَأْ، قَالَ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، قَالَ: فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي ـ أَيْ ضَمَّنِي إِلَيْهِ ـ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ، قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ...وَكَذَلِكَ فَعَلَ الثَّانِيَةَ وَالثَّالِثَةَ فَقَالَ: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ...الآيَاتِ ﴾ فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ يَرْجُفُ فُؤَادُهُ، فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ، فَقَالَ: زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي ـ أَيْ غَطُّونِي ـ فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ، فَقَالَ لِخَدِيجَةَ: لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي، فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: كَلَّا وَاللَّـهِ، مَا يُخْزِيكَ اللَّـهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥ ﴾

﴿تَفْسِيرُ الْمُفْرَدَاتِ﴾

عَلَقٍ: الْقِطْعَةُ الصَّغِيرَةُ مِنَ الدَّمِ الْغَلِيظِ.

الْأَكْرَمُ: الزَّائِدُ فِي الْكَرَمِ.

الْقَلَمُ: هُوَ الَّذِي يُقَيِّدُ بِهِ الْإِنْسَانُ الْعِلْمَ وَيُدَوِّنُ بِهِ الْحِكْمَةَ.

﴿الْبَيَـانُ﴾

اِقْرَأْ يَا مُحَمَّدُ الْقُرْآنَ مُسْتَعِينًا أَوْ مُفْتَتِحًا بِاسْمِ رَبِّكَ الذِي خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ ذَاتِ عَلَقٍ وَدِيدَانٍ مَنَوِيَّةٍ، اِقْرَأْ وَأَنْتَ وَاثِقٌ أَنَّ رَبَّكَ أَكْرَمُ مِنْ أَنْ يُنْسِيَكَ مَا تَقْرَأُ، وَهُوَ جَلَّ وَعَلَا قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُعَلِّمَكَ - وَإِنْ كُنْتَ أُمِّيًّا - كَمَا عَلَّمَ الْإِنْسَانَ الْقِرَاءَةَ وَالْكِتَابَةَ وَعَلَّمَهُ مَا لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُهُ؛

* وَقَدْ نَبَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِهَذَا الْقَوْلِ الْحَكِيمِ عَلَى فَضْلِ الْكِتَابَةِ، لِأَنَّهَا ذَاتُ مَنَافِعَ لَا يُحِيطُ بِهَا إِلَّا اللَّـهُ، فَمَا دُوِّنَتِ الْعُلُومُ، وَلَا قُيِّدَتِ الْحِكَمُ، وَلَا ضُبِطَتْ أَخْبَارُ الْمَاضِينَ، وَلَا سُطِّرَتْ عُلُومُ الْأَوَّلِينَ، وَلَا حُفِظَتْ كُتُبُ اللَّـهِ الْمُنَزَّلَةُ عَلَى أَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ إِلَّا بِالْكِتَابَةِ.

فَسُبْحَانَ اللَّـهِ الذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى:

﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ ۝ أَن رَّءَاهُ اسْتَغْنَىٰ ۝ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ ۝ أَرَءَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ ۝ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ ۝ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ ۝ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ ۝ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۝ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ۝ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ ۝ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ۝ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ۝ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ۝ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ۝ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب ۝ ﴾

﴿ تَفْسِيرُ الْمُفْرَدَاتِ ﴾

يَطْغَى مِنَ الطُّغْيَانِ: اَلتَّكَبُّرُ وَالتَّمَرُّدُ.

اِسْتَغْنَى: صَارَ ذَا مَالٍ وَأَعْوَانٍ.

اَلرُّجْعَى: اَلْمَصِيرُ وَالْعَوْدَةُ وَالْأَوْبَةُ.

اَلسَّفْعُ: اَلْجَذْبُ الشَّدِيدُ وَالْأَخْذُ وَالْجَدُّ.

اَلنَّاصِيَةُ: شَعَرُ الْجَبْهَةِ.

اَلنَّادِي: اَلْمَكَانُ الذِي يَجْتَمِعُ فِيهِ النَّاسُ لِلسَّمَرِ.

اَلزَّبَانِيَةُ: مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ يُدْخِلُونَ الْمُجْرِمِينَ إِلَى النَّارِ.

﴿ اَلْبَيَانُ ﴾

حَقًّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَتَجَاوَزُ حَدَّهُ وَيَتَعَدَّى طَوْرَهُ إِذَا رَأَى نَفْسَهُ ذَا غِنًى وَجَاهٍ، وَالطُّغْيَانُ يُؤَدِّي فِي الْآخِرَةِ إِلَى الْبَوَارِ وَدُخُولِ النَّارِ؛

لِذَلِكَ يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ لَا يَجْعَلَ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّهِ، وَلَا يَحْرِصَ عَلَيْهَا الْحِرْصَ الشَّدِيدَ، لِأَنَّ الاشْتِغَالَ بِالدُّنْيَا وَنِسْيَانَ الْآخِرَةِ يُعْمِي قَلْبَهُ فَيَغْفُلُ عَنْ خَالِقِهِ، وَيَتْرُكُ مَا فَرَضَهُ عَلَيْهِ.

وَفِي هَذَا الْقَوْلِ الْإِلَهِيِّ وَعِيدٌ لِلْمُسْتَغْنِي، وَتَحْقِيرٌ لِشَأْنِهِ، مِنْ حَيْثُ إِنَّ مَآلَهُ الرُّجُوعُ إِلَى اللَّـهِ وَالْمُحَاسَبَةُ عَلَى مَا أَبْطَنَ وَمَا أَعْلَنَ، فَلَا يَظُنَّنَّ أَنَّنَا نَتْرُكُهُ وَنَغْفُلُ عَنْهُ.

أَرَأَيْتَ ذَلِكَ الطَّاغِيَ أَبَا جَهْلٍ الَّذِي يَنْهَى مُحَمَّدًا عَنِ الصَّلَاةِ لِرَبِّهِ عِنْدَ الْكَعْبَةِ؟ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ، أَرَأَيْتَ حَالَهُ؟ وَهَلْ هُوَ عَلَى هُدًى فِي نَهْيِهِ عَبْدَنَا مُحَمَّدًا عَنِ الصَّلَاةِ؟ وَفِي أَمْرِهِ إِيَّاهُ بِعِبَادَةِ آلِهَتِهِ الَّتِي لَا تَمْلِكُ لِنَفْسِهَا ضَرًّا وَلَا نَفْعًا؟ أَعَلِمْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى مَاذَا يَكُونُ جَزَاؤُهُ؟ أَلَمْ يَعْلَمْ هَذَا الْمَفْتُونُ بِأَنَّ اللَّـهَ يَرَاهُ وَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْ أَحْوَالِهِ شَيْءٌ.

فَفِي هَذِهِ الْآيَةِ مِنَ التَّخْوِيفِ لِلْعُصَاةِ وَالْـمُذْنِبِينَ مَا لَيْسَ يَخْفَى؛ حَقًّا لَئِنْ لَمْ يَرْجِعْ عَمَّا هُوَ عَلَيْهِ لَنُذِيقَنَّهُ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ، وَلَنَأْمُرَنَّ مَلَائِكَةَ الْعَذَابِ أَنْ يَجُرُّوهُ مِنْ نَاصِيَتِهِ، تِلْكَ النَّاصِيَةِ الْكَاذِبَةِ الْخَاطِئَةِ، فَلْيَدْعُ مَنْ شَاءَ مِنْ قَوْمِهِ وَعَشِيرَتِهِ وَأَنْصَارِهِ وَأَعْوَانِهِ؛

وَهَذَا الْقَوْلُ لِلرَّدِّ عَلَى أَبِي جَهْلٍ، فَقَدْ رُوِيَ أَنَّهُ مَرَّ بِرَسُولِ اللَّـهِ ﷺ وَهُوَ يُصَلِّي فَقَالَ لَهُ: أَلَمْ أَنْهَكَ أَنْ تُصَلِّيَ بِالْبَيْتِ الْحَرَامِ؟ فَأَغْلَظَ لَهُ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ فِي الْقَوْلِ، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: أَتُهَدِّدُنِي وَأَنَا أَكْثَرُ الْوَادِي نَادِيًا ـ يَعْنِي أَكْثَرَ النَّاسِ شِيعَةً وَأَنْصَارًا ـ فَرَدَّ اللَّـهُ عَلَيْهِ بِقَوْلِهِ: فَلْيَدْعُ أَبُو جَهْلٍ إِخْوَانَهُ الَّذِينَ يَنْتَدِي مَعَهُمْ لِيُخَلِّصُوهُ مِنْ عَذَابِ اللَّـهِ فَسَنَدْعُو نَحْنُ الزَّبَانِيَةَ.

وَالزَّبَانِيَةُ: جَمْعُ زِبْنِيَةٍ، وَأَصْلُ مَعْنَى هَذِهِ الْكَلِمَةِ، اَلْمُتَمَرِّدُ مِنَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ وَالشُّرْطِيِّ "أَيِ الْبُولِيسِ" فِي لُغَةِ الْإِفْرَنْجِ، وَقَدْ أَطْلَقَ اللَّـهُ هَذَا الاسْمَ عَلَى مَلَائِكَةِ النَّارِ لِأَنَّ وَظِيفَتَهُمْ كَوَظِيفَةِ الشُّرْطَةِ، يُدْخِلُونَ الْمُجْرِمِينَ إِلَى النَّارِ وَيُرَاقِبُونَهُمْ فِيهَا.

كَلَّا لَا تُطِعْهُ فِيمَا نَهَى وَأَمَرَ بَلِ اثْبُتْ عَلَى طَاعَتِكَ، وَاسْجُدْ لِرَبِّكَ وَاقْتَرِبْ مِنْهُ بِعِبَادَتِكَ وَإِنْ طَغَى أَبُو جَهْلٍ وَفَجَرَ.

﴿اَلْعِبْرَةُ﴾

تُشَجِّعُكَ هَذِهِ السُّورَةُ - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُ - عَلَى فِعْلِ الطَّاعَاتِ، غَيْرَ مُهْتَمٍّ بِمَا تُلَاقِيهِ مِنْ سُخْرِيَّةِ أَهْلِ الْبَاطِلِ وَاسْتِغْرَابِهِمْ عَمَلَكَ، لِأَنَّهُمْ أَلِفُوا الْمَعَاصِيَ وَالْمُنْكَرَاتِ؛

فَمَنْ عَرَفَ الْحَيَاةَ وَمَآلَهَا وَقِصَرَ مُدَّتِهَا، وَعَرَفَ الْآخِرَةَ وَمَا أَعَدَّهُ اللَّهُ لِلْمُتَّقِينَ فِيهَا، اِسْتَعَدَّ لِلِقَاءِ رَبِّهِ، وَلَمْ يَبِتْ لَيْلَةً إِلَّا وَهُوَ تَائِبٌ مِنْ ذَنْبِهِ، وَلَمْ تَخْدَعْهُ الدُّنْيَا بِزُخْرُفِهَا وَبَاطِلِهَا، وَلَكِنَّهُ يَعِيشُ عَلَى حَذَرٍ مِنْهَا، بَاذِلاً جُهْدَهُ فِي إِعْدَادِ الزَّادِ النَّافِعِ فِي يَوْمِ الْمِيعَادِ. وَرَحِمَ اللَّهُ مَنْ قَالَ:

رَغِيفُ خُبْزٍ يَابِسٍ تَأْكُلُهُ فِي زَاوِيَهْ
وَكُوزُ مَاءٍ بَارِدٍ تَشْرَبُهُ مِنْ سَاقِيَهْ
وَغُرْفَةٌ ضَيِّقَةٌ نَفْسُكَ فِيهَا سَامِيَهْ
مُعْتَبِرًا بِمَنْ مَضَى مِنَ الْقُرُونِ الْخَالِيَهْ
خَيْرٌ مِنَ السَّاعَاتِ فِي ظِلِّ الْقُصُورِ الْعَالِيَهْ
تَعْقُبُهَا عُقُوبَةٌ تَصْلَى بِنَارٍ حَامِيَهْ

* أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُبَصِّرَنَا بِعُيُوبِنَا حَتَّى نَرَى الْحَقَّ حَقًّا فَنَتَّبِعَهُ.

﴿سُورَةُ الْقَدْرِ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ۝ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝ سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ۝﴾

﴿تَفْسِيرُ الْمُفْرَدَاتِ﴾

لَيْلَةُ الْقَدْرِ: هِيَ التِي تُقَدَّرُ فِيهَا الْأُمُورُ، وَهِيَ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ.

وَمَا أَدْرَاكَ: وَمَا أَعْلَمَكَ.

اَلرُّوحُ: جِبْرِيلُ.

سَلَامٌ: أَيْ لَا يُقَدَّرُ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ إِلَّا السَّلَامَةُ.

﴿اَلْبَيَانُ﴾

أَيْ إِنَّا بَدَأْنَا نُزُولَ الْقُرْآنِ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ، وَهَذِهِ اللَّيْلَةُ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ، وَفَضْلُ هَذِهِ اللَّيْلَةِ عَظِيمٌ، لِأَنَّ الْعِبَادَةَ فِيهَا تَفْضُلُ الْعِبَادَةَ فِي أَلْفِ شَهْرٍ، وَفِيهَا تُنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَجِبْرِيلُ مِنْ أَجْلِ كُلِّ أَمْرٍ قُدِّرَ فِي تِلْكَ السَّنَةِ، وَلَا يُقَدِّرُ اللَّهُ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ إِلَّا السَّلَامَةَ وَالْأَمْنَ، حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ.

﴿اَلْعِبْرَةُ﴾

تُرْشِدُكَ هَذِهِ السُّورَةُ إِلَى: أَنَّ أَوَّلَ مَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ كَانَ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ، وَهِيَ اللَّيْلَةُ الْمُبَارَكَةُ التِي رَسَمَ اللهُ فِيهَا الْخُطَّةَ لِرَسُولِهِ فِي دَعْوَةِ النَّاسِ إِلَى الْهُدَى وَالْحَقِّ؛

فَجَدِيرٌ بِكَ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُ إِحْيَاءُ هَذِهِ اللَّيْلَةِ بِالْعِبَادَةِ، شُكْرًا لِلَّهِ تَعَالَى عَلَى مَا أَنْعَمَ، وَهَذِهِ اللَّيْلَةُ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ مَعْرُوفَةً فَيَكْفِينَا أَنَّهَا مِنْ رَمَضَانَ، فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُصَادِفَهَا فَعَلَيْهِ أَنْ يَقُومَ بِإِحْيَاءِ لَيَالِي رَمَضَانَ. أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُوَفِّقَنَا لِطَاعَتِهِ.

﴿سُورَةُ الْبَيِّنَةِ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ①﴾

﴿تَفْسِيرُ الْمُفْرَدَاتِ﴾

أَهْلُ الْكِتَابِ : هُمُ الذِينَ لَهُمْ كِتَابٌ سَمَاوِيٌّ.

اَلْبَيِّنَةُ: اَلْبُرْهَانُ.

﴿اَلْبَيَانُ﴾

أَيْ لَمْ يَكُنِ الذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ، مُقْلِعِينَ عَمَّا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ عَقَائِدِهِمُ الْبَاطِلَةِ، حَتَّى يَأْتِيَهُمُ الدَّلِيلُ عَلَى فَسَادِهَا، ثُمَّ فَسَّرَ الدَّلِيلَ فَقَالَ:

﴿رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُواْ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ۝ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ۝﴾

وَهِيَ صُحُفُ الْقُرْآنِ، مُطَهَّرَةٌ مِنَ الْكَذِبِ وَالزُّورِ، مُسْتَقِيمَةٌ لَا عِوَجَ فِيهَا:

﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ۝﴾

أَيْ وَمَا تَفَرَّقَ أَهْلُ الْكِتَابِ فِي أَمْرِ مُحَمَّدٍ ﷺ، إِلَّا مِنْ بَعْدِ بِعْثَتِهِ، فَلَمَّا بُعِثَ اخْتَلَفُوا، فَآمَنَ بِهِ بَعْضُهُمْ وَكَفَرَ بِهِ آخَرُونَ:

﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ۝﴾

أَيْ وَمَا أَمَرَهُمُ اللَّـهُ فِي كُتُبِهِ إِلَّا بِعِبَادَتِهِ وَحْدَهُ، مُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَمُؤْتِينَ الزَّكَاةَ، وَذَلِكَ هُوَ الدِّينُ الْقَوِيمُ:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ۝﴾

أَيِ الذِينَ كَفَرُوا بِهَذَا الدِّينِ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ، سَيُدْخِلُهُمُ اللَّـهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، فَيُخَلَّدُونَ فِيهَا، أُولَئِكَ هُمْ أَسْوَأُ النَّاسِ:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ﴾

أَيِ الذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ أَفْضَلُ النَّاسِ:

﴿جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ۝﴾

جَزَاؤُهُمْ أَنْ يُدْخِلَهُمُ الْجَنَّةَ وَلَا يُخْرِجُهُمْ مِنْهَا أَبَدًا، قَدْ رَضِيَ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ، وَذَلِكَ الْجَزَاءُ يُعْطَى لِمَنْ خَافَ رَبَّهُ.

﴿اَلْعِبْـرَةُ﴾

تُرْشِدُكَ هَذِهِ السُّورَةُ إِلَى: مَا أَعَدَّهُ اللَّـهُ لِلْمُؤْمِنِينَ الْمُخْلِصِينَ فِي إِيمَانِهِمْ، فَقَدْ أَعَدَّ اللَّـهُ لَهُمْ أَرْبَعَةَ أَشْيَاءَ:

اَلْأَوَّلُ: كَوْنُهُمْ خَيْرَ الْبَرِيَّةِ.

وَالثَّانِي: أَنَّهُ يُدْخِلُهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ.

وَالثَّالِثُ: لَا يُخْرِجُهُمْ مِنْهَا أَبَدًا.

وَالرَّابِعُ: قَدْ رَضِيَ عَنْ أَعْمَالِهِمْ وَرَضُوا بِمَا جَازَاهُمْ مِنَ الثَّوَابِ.

﴿سُورَةُ الزَّلْزَلَةِ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢ وَقَالَ الْإِنسَانُ مَا لَهَا ۝٣ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝٥ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ۝٦ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝٨﴾

﴿تَفْسِيرُ الْمُفْرَدَاتِ﴾

زُلْزِلَتْ: رُجَّتْ.

اَلزِّلْزَالُ: اَلِاضْطِرَابُ.

أَشْتَاتًا: مُتَفَرِّقِينَ.

﴿اَلْبَيَانُ﴾

أَيْ إِذَا تَحَرَّكَتِ الْأَرْضُ حَرَكَتَهَا الشَّدِيدَةَ وَأَصَابَهَا الِاهْتِزَازُ الْمُدْهِشُ وَأَخْرَجَتْ

بِسَبَبِ هَذِهِ الزَّلْزَلَةِ: الْأَمْوَاتَ، وَالْكُنُوزَ الَّتِي فِي جَوْفِهَا، وَتَسَاءَلَ الْإِنْسَانُ قَائِلاً: مَا أَصَابَ الْأَرْضَ حَتَّى تَضْطَرِبَ هَذَا الِاضْطِرَابَ الشَّدِيدَ الْمُرَوِّعَ ؟

فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ تُحَدِّثُ الْأَرْضُ عَمَّا اقْتَرَفَهُ الْإِنْسَانُ عَلَى ظَهْرِهَا: فَتَشْكُو الْعَاصِيَ وَتَشْهَدُ عَلَيْهِ، وَتَشْكُرُ الطَّائِعَ وَتَشْهَدُ لَهُ، وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **﴿أَتَدْرُونَ مَا أَخْبَارُهَا؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: فَأَخْبَارُهَا أَنْ تَشْهَدَ عَلَى كُلِّ عَبْدٍ بِمَا عَمِلَ عَلَى ظَهْرِهَا، تَقُولُ: عَمِلَ كَذَا وَكَذَا فِي يَوْمِ كَذَا﴾**[1] **يَوْمَئِذٍ يَخْرُجُ النَّاسُ مِنْ قُبُورِهِمْ** مُتَفَرِّقِينَ لِيُرَوْا نَتِيجَةَ أَعْمَالِهِمْ:

فَمَنْ يَعْمَلْ زِنَةَ ذَرَّةٍ - وَهِيَ الْحَبَّةُ مِنْ: عِنَبٍ، أَوْ قَمْحٍ، أَوْ شَعِيرٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ - مِنَ الْخَيْرِ، فَاللَّهُ يُجَازِيهِ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛

وَكَذَلِكَ مَنْ عَمِلَ شَرًّا، وَهَذَا إِشَارَةٌ إِلَى عَدْلِ اللَّهِ فِي حُكْمِهِ.

﴿اَلْعِبْـرَةُ﴾

تُرْشِدُكَ هَذِهِ السُّورَةُ إِلَى: أَنَّ النَّاسَ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا مُحْصِيَّةٌ عَلَيْهِمْ أَعْمَالُهُمْ، وَمَجْزِيُّونَ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٌ، وَإِنْ شَرًّا فَشَرٌّ؛

وَجَزَاءُ الْحَسَنَاتِ: نَعِيمُ الْأَبَدِ، وَرِضْوَانُ اللَّهِ؛

وَجَزَاءُ السَّيِّئَاتِ: عَذَابُ الْأَبَدِ، وَغَضَبُ اللَّهِ.

وَاللَّبِيبُ: مَنِ انْتَهَزَ فُرْصَةَ وُجُودِهِ فِي الدُّنْيَا فَتَزَوَّدَ مِنْهَا لِآخِرَتِهِ؛ وَالْأَحْمَقُ: مَنْ غَرَّتْهُ دُنْيَاهُ وَنَسِيَ آخِرَتَهُ، وَأَضَاعَ نَعِيمَ الْأَبَدِ مِنْ أَجْلِ حَلَاوَةِ سَاعَةٍ.

* فَاجْتَهِدْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُ فِي الْعَمَلِ الصَّالِحِ، فَالْعَاقِلُ مَنْ حَاسَبَ نَفْسَهُ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ الْأَمَانِي.

---

(1) اَلْحَدِيثُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هَذِهِ الْآيَةَ: { **يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا** }، قَالَ: **(أَتَدْرُونَ مَا أَخْبَارُهَا قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: فَإِنَّ أَخْبَارَهَا أَنْ تَشْهَدَ عَلَى كُلِّ عَبْدٍ أَوْ أَمَةٍ بِمَا عَمِلَ عَلَى ظَهْرِهَا تَقُولُ: عَمِلَ يَوْمَ كَذَا، كَذَا وَكَذَا، فَهَذِهِ أَخْبَارُهَا)** أَخْرَجَهُ: التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ، وَأَحْمَدُ، وَالْحَاكِمُ وَقَالَ: صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَأَخْرَجَهُ أَيْضًا: النَّسَائِيُّ فِي الْكُبْرَى.

﴿سُورَةُ الْعَادِيَاتِ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ۝ فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا ۝ فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا ۝ فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا ۝ فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ۝ إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ۝ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۝ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ۝ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ۝ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ۝ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ۝﴾

﴿تَفْسِيرُ الْمُفْرَدَاتِ﴾

اَلْعَادِيَاتُ: اَلْخَيْلُ التِي تَعْدُو، أَيْ تَجْرِي.

ضَبْحًا: هُوَ صَوْتُ أَنْفَاسِهَا عِنْدَ الْجَرْيِ.

فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا: التِي تُخْرِجُ النَّارَ مِنَ الْأَرْضِ لِقُدْرَتِهَا عَلَى الْجَرْيِ.

فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا: أَيِ التِي تُغِيرُ عَلَى الْعَدُوِّ فِي وَقْتِ الصَّبَاحِ.

أَثَرْنَ: هَيَّجْنَ.

اَلنَّقْعُ: اَلْغُبَارُ.

اَلْكَنُودُ: اَلْكَفُورُ بِالنِّعْمَةِ الْجَاحِدُ لَهَا.

بُعْثِرَ: بُعِثَ، وَالْمُرَادُ إِخْرَاجُ الْمَوْتَى.

﴿اَلْبَيَانُ﴾

أُقْسِمُ بِخَيْلِ الْغُزَاةِ الرَّاكِضَةِ، التِي يُسْمَعُ صَوْتُ أَنْفَاسِهَا مِنْ شِدَّةِ الرَّكْضِ فَتَقْدَحُ النَّارُ بِحَوَافِرِهَا، مُغِيرَةً عَلَى الْأَعْدَاءِ وَقْتَ الصُّبْحِ، وَمُثِيرَةً بِهِ الْغُبَارَ، وَمُتَوَسِّطَةً فِيهِ جُمُوعَ الْمُحَارِبِينَ، إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ بِنِعَمِ رَبِّهِ، وَهُوَ شَهِيدٌ بِذَلِكَ عَلَى نَفْسِهِ، وَإِنَّهُ لَشَدِيدُ الْحُبِّ لِلْمَالِ؛

أَفَلَا يَعْلَمُ هَذَا الْإِنْسَانُ الْمِسْكِينُ، أَنَّهُ إِذَا بَعَثَ اللَّهُ مَنْ فِي الْقُبُورِ، وَجَمَعَ مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، أَنَّهُ عَالِمٌ بِهِمْ، يَوْمَئِذٍ فَيُجَازِيهِمْ عَلَى كُلِّ صَغِيرَةٍ وَكَبِيرَةٍ.

﴿اَلْعِبْـرَةُ﴾

تُنَبِّهُكَ هَذِهِ السُّورَةُ إِلَى: أَنَّ مَنْ نَظَرَ إِلَى حَالِ الْإِنْسَانِ، وَفَكَّرَ فِي أَحْوَالِهِ وَطَبَائِعِهِ وَجَدَهُ: كَثِيرَ الْغُرُورِ، قَلِيلَ الشُّكْرِ عِنْدَ وِجْدَانِ الرَّخَاءِ، إِنْ رَزَقَهُ اللَّـهُ مِنَ الْخَيْرِ طَغَى وَمَنَعَ حَقَّ اللَّـهِ فِيهِ، وَإِنْ أَصَابَهُ الشَّرُّ - كَمَرَضٍ وَفَقْرٍ - اِسْتَوْلَى عَلَيْهِ الْيَأْسُ وَالْجَزَعُ، وَهَذِهِ كَمَا لَا يَخْفَى طَرِيقَةٌ يَمْقُتُهَا اللَّـهُ.

فَالْوَاجِبُ عَلَى الْمُؤْمِنِ الْكَامِلِ: أَنْ يَشْكُرَ رَبَّهُ عِنْدَ الرَّخَاءِ، فَيُسَاعِدُ الضُّعَفَاءَ، وَيَصْبِرُ عَلَى الْقَضَاءِ، لِيَكُونَ مِنَ النَّاجِينَ يَوْمَ تُبْعَثُ الْمَوْتَى مِنَ الْقُبُورِ، وَتُجْمَعُ الصُّحُفُ مَا كَانَ فِي صُدُورِهِمْ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ.

﴿سُـورَةُ الْقَـارِعَـةِ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٣ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ۝٤ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ۝٥ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ۝١١﴾

﴿تَفْسِيرُ الْمُفْـرَدَاتِ﴾

اَلْقَارِعَةُ: اِسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

اَلْفَرَاشُ: اَلطَّيْرُ الَّذِي يَتَرَامَى عَلَى ضَوْءِ السِّرَاجِ لَيْلاً.

اَلْمَبْثُوثُ: اَلْمُتَفَرِّقُ، تَقُولُ: بَثَثْتُ الشَّيْءَ إِذَا فَرَّقْتَهُ.

اَلْعِهْنُ: اَلصُّوفُ ذُو الْأَلْوَانِ.

اَلْمَنْفُوشُ: اَلْمَنْدُوفُ الَّذِي تَفَرَّقَتْ شَعَرَاتُهُ بَعْضُهَا عَنْ بَعْضٍ.

﴿اَلْبَيَـانُ﴾

اَلْحَادِثَةُ الْعَظِيمَةُ الَّتِي تَقْرَعُ النَّاسَ بِالْهَوْلِ وَالْفَزَعِ الْأَكْبَرِ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا تِلْكَ الْحَادِثَةُ؟ إِنَّهَا تَحْدُثُ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمُنْتَشِرِ، حَيَارَى هَائِمِينَ، لَا يَدْرُونَ مَاذَا يَصْنَعُونَ وَلَا مَا يُصْنَعُ بِهِمْ، وَتَكُونُ الْجِبَالُ الْمَنْسُوفَةُ كَنِسْبَةِ الصُّوفِ الْمَنْدُوفِ لِتَفَتُّتِهَا وَتَفَرُّقِ أَجْزَائِهَا:

فَمَنْ حَسُنَتْ أَعْمَالُهُ وَرَجَحَتْ حَسَنَاتُهُ عَلَى سَيِّئَاتِهِ، فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ، يَعْنِي: يَعِيشُ فِي تَمَتُّعٍ وَلَذَّةٍ يَرْضَاهَا وَتُسَرُّ نَفْسُهُ بِهَا.

وَمَنْ سَاءَتْ أَعْمَالُهُ وَرَجَحَتْ سَيِّئَاتُهُ عَلَى حَسَنَاتِهِ، فَمَأْوَاهُ الْهَاوِيَةُ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ؟ هِيَ نَارٌ مُلْتَهِبَةٌ يَهْوِي فِيهَا لِيَلْقَى جَزَاءَ أَعْمَالِهِ.

نَعُوذُ بِاللّٰهِ مِنْ جَمِيعِ أَنْوَاعِ الْعَذَابِ، إِنَّهُ وَلِيُّ التَّوْفِيقِ.

﴿اَلْعِبْرَةُ﴾

تُرْشِدُكَ هَذِهِ السُّورَةُ إِلَى: أَنَّ لِهَذَا الْعَالَمِ نِهَايَةً هُوَ صَائِرٌ إِلَيْهَا؛

وَأَنَّ اللّٰهَ يُحْيِي الْخَلَائِقَ مِنْ قُبُورِهِمْ، وَيَجْمَعُهُمْ وَيَعْرِضُ عَلَيْهِمْ صَحَائِفَ أَعْمَالِهِمْ، لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ؛ وَيَكُونُ النَّاسُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ فَرِيقَيْنِ: فَرِيقٌ يُسَاقُ إِلَى الْجَنَّةِ، وَفَرِيقٌ يَتَّجِهُ إِلَى النَّارِ.

* فَتَنَبَّهْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُ، وَلَا تَغْتَرَّ بِزُخْرُفِ الدُّنْيَا، وَتَنْسَى الْآخِرَةَ، لِأَنَّهُ لَا شَيْءَ يُرَافِقُ الْإِنْسَانَ عِنْدَ مُفَارَقَتِهِ لِهَذِهِ الدَّارِ سِوَى الْعَمَلِ الصَّالِحِ.

فَخُذْ أَيُّهَا الْحَازِمُ مِنَ الدُّنْيَا مَا يَنْفَعُكَ فِي الْأُخْرَى، وَأَكْثِرْ مِنَ الِابْتِهَالِ إِلَى اللّٰهِ وَالدَّعَوَاتِ الصَّالِحَاتِ.

﴿سُورَةُ التَّكَاثُرِ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ۝٢ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ۝٧ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ۝٨﴾

﴿تَفْسِيرُ الْمُفْرَدَاتِ﴾

اَللَّهْوُ: اَلْغَفْلَةُ.

اَلتَّكَاثُرُ: اَلتَّبَاهِي بِالْكَثْرَةِ.

﴿اَلْبَيَانُ﴾

أَيُّهَا النَّاسُ، شَغَلَكُمُ التَّكَاثُرُ وَالتَّفَاخُرُ وَالتَّبَاهِي بِكَثْرَةِ الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ، وَصَرَفَكُمْ ذَلِكَ عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ، فَكُنْتُمْ: فِي لَهْوٍ بِالْقَوْلِ عَنِ الْفِعْلِ، وَفِي غَفْلَةِ الْغُرُورِ وَالْإِعْجَابِ، مُنْصَرِفِينَ عَمَّا افْتَرَضَهُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ مِنَ الْأَعْمَالِ: لِأَنْفُسِكُمْ، وَأَهْلِيكُمْ، وَدِينِكُمْ؛

وَمَا زَالَ هَذَا دَأْبُكُمْ طُولَ حَيَاتِكُمْ حَتَّى هَلَكْتُمْ وَصِرْتُمْ مِنْ أَهْلِ الْقُبُورِ، وَأَنْتُمْ تَظُنُّونَ أَنَّكُمُ الْفَائِزُونَ.

فَارْتَدِعُوا عَنْ مِثْلِ هَذَا الظَّنِّ الْبَاطِلِ، فَإِنَّهُ لَا فَوْزَ لِلْإِنْسَانِ بِالتَّكَاثُرِ وَالتَّفَاخُرِ، وَإِنَّمَا الْفَوْزُ كُلُّ الْفَوْزِ بِالتَّكَاتُفِ عَلَى أَعْمَالِ الْبِرِّ، وَالتَّظَافُرِ عَلَى الْحَقِّ؛ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَصِيرَكُمْ إِذَا اسْتَمَرَّ بِكُمْ هَذَا التَّفَاخُرُ بِالْبَاطِلِ بِدُونِ عَمَلٍ صَالِحٍ يَنْفَعُكُمْ.

فَارْتَدِعُوا عَمَّا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْغُرُورِ، وَتَنَبَّهُوا لِلْعَاقِبَةِ، فَإِنَّ هَذَا الَّذِي تَظُنُّونَهُ عِلْمًا لَيْسَ عَلَى الْحَقِيقَةِ بِعِلْمٍ، وَإِنَّمَا هُوَ وَهْمٌ وَظَنٌّ، لَا يَلْبَثُ أَنْ يَتَغَيَّرَ وَيَتَبَدَّدَ وَيَصِيرَ هَبَاءً، وَالْجَدِيرُ بِأَنْ يُسَمَّى عِلْمًا هُوَ عِلْمُ الْيَقِينِ، وَ**الْيَقِينُ** هُوَ: اَلِاعْتِقَادُ الَّذِي يُطَابِقُ الْوَاقِعَ عَنْ دَلِيلٍ صَحِيحٍ؛ وَأَنْتُمْ لَوْ تَعْلَمُونَ هَذَا الْعِلْمَ لَنَفَّرَكُمْ مِنْ هَذَا التَّكَاثُرِ، الَّذِي أُشْغِلْتُمْ بِهِ عَنِ الْآخِرَةِ؛

فَتَنَبَّهُوا وَتَزَوَّدُوا مِنَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَاجْعَلُوا صُورَةَ عَذَابِ الْآخِرَةِ حَاضِرَةً بِأَذْهَانِكُمْ لِتَكُونَ مُنَبِّهَةً لَكُمْ، وَسَيَسْأَلُكُمْ رَبُّكُمْ عَنْ كُلِّ نِعْمَةٍ أَنْعَمَهَا عَلَيْكُمْ، هَلْ أَدَّيْتُمْ وَاجِبَهَا مِنَ الشُّكْرِ لَهُ؟ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ قَدْ أَدَّى حَقَّ النِّعْمَةِ، فَسَيَكُونُ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَمَنْ يَكُنْ قَدِ اسْتَبَدَّ بِنِعَمِ اللَّهِ وَلَمْ يُؤَدِّ حَقَّ السَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ فِيهَا، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْعَذَابِ الْأَلِيمِ،

رُوِيَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: **﴿لَا تَزُولُ قَدَمَا الْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى**

يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَا أَبْلَاهُ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ مَاذَا عَمِلَ بِهِ؟﴾[1]، وَرُوِيَ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: أَيُّ نَعِيمٍ نُسْأَلُ عَنْهُ يَا رَسُولَ اللَّـهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَمْوَالِنَا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ: " ظِلَالُ الْمَسَاكِنِ وَالْأَشْجَارِ، وَالْمَاءِ الْبَارِدِ فِي الْيَوْمِ الْحَارِّ "

﴿اَلْعِبْـرَةُ﴾

تُرْشِدُكَ هَذِهِ السُّورَةُ إِلَى: أَنَّ الْمُؤْمِنَ الْكَامِلَ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَجْتَهِدَ فِي طَاعَةِ رَبِّهِ، وَيَعْمَلَ لِلدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَلَا تَشْغَلُهُ أَمْوَالُهُ وَلَا أَوْلَادُهُ عَنْ ذِكْرِ اللَّـهِ وَيُنْفِقَ مَالَهُ عَلَى الْفِسْقِ بِلَا حِسَابٍ، وَيَشُقَّ عَلَيْهِ دَفْعُ دِرْهَمٍ فِي عَمَلٍ مُفِيدٍ يَعُودُ عَلَيْهِ بِالْخَيْرِ وَجَزِيلِ الثَّوَابِ.

فَاغْلِبْ هَوَاكَ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُ وَاعْلَمْ أَنَّ السَّعَادَةَ لَيْسَتْ فِي جَمْعِ الْمَالِ وَالْحِرْصِ عَلَيْهِ، وَإِنَّمَا هِيَ الْجُودُ وَالْكَرَمُ وَالسَّخَاءُ، فَالسَّخِيُّ: قَرِيبٌ مِنَ اللَّـهِ، قَرِيبٌ مِنَ الْجَنَّةِ، قَرِيبٌ مِنَ النَّاسِ، بَعِيدٌ عَنِ النَّارِ، قَالَ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ: ﴿ مَا مِنْ يَوْمٍ غَرَبَتْ فِيهِ شَمْسُهُ إِلَّا وَمَلَكَانِ يُنَادِيَانِ: اَللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَمُمْسِكًا تَلَفًا ﴾[2]،

* وَأَحْسَنَ اللهُ إِلَى الذِي قَالَ:

اَلْعِزُّ فِي طَاعَةِ الرَّحْمَنِ مَوْلَانَا ... وَلَيْسَ مُلْكًا وَلَا جَاهًا وَسُلْطَانَا

وَمَا السَّعَادَةُ أَنْ تَحْيَى وَتَمْرَحَ فِي ... لَهْوٍ وَزَهْوٍ قَرِيرَ الْعَيْنِ جَذْلَانَا

وَلَا التَّكَاثُرَ بِالْأَمْوَالِ تَجْمَعُهَا ... وَلَا التَّفَاخُرَ بِالْأَوْلَادِ أَغْنَانَا

إِنَّ السَّعَادَةَ فِي أَمْنٍ وَفِي دَعَةٍ ... وَبَسْطِ كَفِّكَ لِلرَّاجِينَ إِحْسَانَا

---

(1) نَصُّ الْحَدِيثِ: (لَا تَزُولُ قَدَمَا الْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعِ خِصَالٍ: عَنْ شَبَابِهِ فِيمَا أَبْلَاهُ، وَعَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَا أَنْفَقَهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ مَاذَا عَمِلَ فِيهِ)؛ أَخْرَجَهُ الطَّبَرَانِيُّ، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي شُعَبِ الْإِيمَانِ، وَالْخَطِيبُ، وَابْنُ عَسَاكِرَ، وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَالدَّيْلَمِيُّ: عَنْ مُعَاذٍ.

(2) وَرَدَ الْحَدِيثُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ بِلَفْظِ: قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ: (مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

﴿سُورَةُ الْعَصْرِ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالْعَصْرِ ۝ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ۝﴾

﴿تَفْسِيرُ الْمُفْرَدَاتِ﴾

اَلْعَصْرُ: اَلزَّمَانُ.

اَلْخُسْرُ: اَلنُّقْصَانُ وَذَهَابُ رَأْسِ الْمَالِ.

﴿اَلْبَيَانُ﴾

اَلْعَصْرُ هُوَ الزَّمَانُ، وَقَدْ أَقْسَمَ اللَّهُ بِهِ لِيُنَبِّهَنَا عَلَى أَنَّ سَعَادَةَ الْإِنْسَانِ فِي الدُّنْيَا أَنْ يَقُومَ بِمَا كَلَّفَهُ اللَّهُ بِهِ مِنْ:

أَعْمَالِ الْوَاجِبَاتِ: كَالصَّوْمِ وَالصَّلَاةِ وَالْحَجِّ وَالزَّكَاةِ؛

وَأَدَاءِ الْأَمَانَاتِ؛ وَالْتِزَامِ الْعِفَّةِ؛ وَحِفْظِ السِّرِّ؛ وَالتَّوَاصِي بِالْحَقِّ: كَأَنْ يَنْصَحَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا غَيْرَهُ أَنْ يَقُومَ بِالْحَقِّ.

فَإِذَا رَأَيْتَ شَخْصًا يُرِيدُ أَنْ يَظْلِمَ ضَعِيفًا فَوَصِّهِ بِالْحَقِّ، وَقُلْ لَهُ: لَا تَظْلِمِ الضُّعَفَاءَ، فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ مُسْتَجَابَةٌ؛

وَإِنْ رَأَيْتَ شَخْصًا يَطْعَنُ فِي أَعْرَاضِ النَّاسِ فَانْهَهُ وَحَذِّرْهُ سُوءَ مَغَبَّتِهِ، وَقُلْ لَهُ: اِشْتَغِلْ بِعَيْبِكَ عَنْ عُيُوبِ النَّاسِ، وَذَكِّرْهُ بِقَوْلِ اللَّهِ ﷻ: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾ (الحجرات:12) وَهَلُمَّ جَرًّا.

وَكَمَا يَجِبُ عَلَيْكَ وَصِيَّةُ غَيْرِكَ بِالْحَقِّ، يَجِبُ عَلَيْكَ أَيْضًا أَنْ تَدْعُوَ نَفْسَكَ وَغَيْرَكَ إِلَى التَّحَلِّي بِفَضِيلَةِ الصَّبْرِ، فَإِنَّ مِنْ حُسْنِ التَّوْفِيقِ وَأَمَارَاتِ السَّعَادَةِ الصَّبْرَ عَلَى الْمُلِمَّاتِ وَاحْتِمَالَهَا، فِيهِ نَزَلَ الْكِتَابُ وَجَاءَتِ السُّنَّةُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (لقمان:١٧).

* وَبِالْجُمْلَةِ هَذِهِ السُّورَةُ مَعَ قِصَرِهَا جَمَعَتْ فَأَوْعَتْ، وَلِجَلَالِ مَا جَمَعَتْ رُوِيَ: أَنَّهُ كَانَ الرَّجُلَانِ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ إِنِ الْتَقَيَا لَمْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَقْرَأَ أَحَدُهُمَا عَلَى الْآخَرِ هَذِهِ السُّورَةَ لِيَعْمَلَ بِهَا، لِمَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَالتَّوَاصِي بِالْحَقِّ وَالتَّوَاصِي بِالصَّبْرِ.

﴿اَلْعِبْـــرَةُ﴾

تُرْشِدُكَ هَذِهِ السُّورَةُ إِلَى: أَنَّ النَّجَاحَ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا مُعَلَّقٌ عَلَى أُمُورٍ أَرْبَعَةٍ وَهِيَ:
اَلْإِيمَانُ: بِاللَّـهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ؛
وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ؛
وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ؛
وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ؛ فَالذِينَ جَمَعُوا هَذِهِ الْأَوْصَافَ الْأَرْبَعَةَ، هُمُ الرَّابِحُونَ فِي الْحَيَاةِ وَبَعْدَ الْمَمَاتِ؛ فَعَلَيْنَا أَنْ نَتَمَسَّكَ بِهَا، لِمَا أَوْدَعَ اللَّـهُ فِيهَا مِنَ الْفَضَائِلِ وَالْكَمَالَاتِ؛ وَهَنِيئًا لِمَنْ تَخَلَّقَ بِهَا، وَتَجَمَّلَ بِآدَابِهَا، وَسَلَكَ مَسْلَكَهَا.

﴿سُـورَةُ الْهُمَـزَةِ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝ الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ۝ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ۝ كَلَّا لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ۝ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ۝ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ۝ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ۝﴾

﴿تَفْسِيـرُ الْمُفْـرَدَاتِ﴾

اَلْوَيْلُ: اَلذَّمُّ وَالسُّخْطُ.
اَلْهُمَزَةُ: اَلَّذِي يَعِيبُكَ فِي الْغَيْبِ.
اَللُّمَزَةُ: الذِي يَعِيبُكَ فِي الْوَجْهِ.
عَدَّدَهُ: أَحْصَاهُ وَجَعَلَهُ عُدَّةً لِحَوَادِثِ الدَّهْرِ.

أَخْلَدَهُ: جَعَلَهُ خَالِدًا لَا يَمُوتُ.

كَلَّا: رَدْعٌ لَهُ عَنْ حُسْبَانِهِ.

لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ: لَيُطْرَحَنَّ فِي النَّارِ.

اَلْمُوقَدَةُ: اَلْمُسَعَّرَةُ.

تَطَّلِعُ: تَعْلُو وَتُشْرِفُ.

اَلْأَفْئِدَةُ: اَلْقُلُوبُ.

مُوصَدَةٌ: مُطْبَقَةٌ وَمُغْلَقَةٌ.

﴿اَلْبَيَانُ﴾

اَلْوَيْلُ لِكُلِّ طَعَّانٍ فِي أَعْرَاضِ النَّاسِ، اَلَّذِي هَمُّهُ جَمْعُ الْمَالِ وَإِعْدَادُهُ لِلْمُلِمَّاتِ، لِعَدَمِ ثِقَتِهِ بِاللَّهِ، وَلِاعْتِقَادِهِ أَنَّ الْفَضْلَ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا إِنَّمَا يَكُونُ بِالْمَالِ لَا بِالْمَكَارِمِ وَالْأَخْلَاقِ؛ يَظُنُّ هَذَا الْهَمَّازُ الْعَيَّابُ أَنَّ مَالَهُ سَيَضْمَنُ لَهُ الْخُلُودَ فِي الدُّنْيَا، فَيَبْقَى حَيًّا أَبَدَ الدَّهْرِ؛ كَلَّا، بَلْ لَيُلْقَيَنَّ فِي جَهَنَّمَ الَّتِي تُحَطِّمُ كُلَّ مَنْ يُلْقَى فِيهَا، وَهِيَ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ، اَلَّتِي تَسْطُو عَلَى الْأَفْئِدَةِ - وَهِيَ أَعَزُّ الْأَعْضَاءِ - فَتَحْرِقُهَا، وَهُمْ مَرْبُوطُونَ فِي أَعْمِدَةٍ مَمْدُودَةٍ، وَجَهَنَّمُ عَلَيْهِمْ مُغْلَقَةٌ.

﴿اَلْعِبْرَةُ﴾

تَطْلُبُ مِنْكَ هَذِهِ السُّورَةُ أَنْ لَا تَرْكَنَ إِلَى الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا، بَلْ كُنْ فِيهَا مُسْتَعِدًّا لِلْمَوْتِ: **فَفِي الصِّحَّةِ**: ذَاكِرًا فَضْلَ رَبِّكَ عَلَيْكَ؛ **وَفِي الْغِنَى**: شَاكِرًا؛ **وَفِي الْعَافِيَةِ**: مُتَضَرِّعًا إِلَى اللَّهِ أَنْ يُدِيمَهَا عَلَيْكَ.

وَاقْتَدِ بِإِمَامِكَ الْأَعْظَمِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ فَقَدْ كَانَ يَدْعُو رَبَّهُ وَيَقُولُ: ﴿**يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ، وَيَا مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قَلْبِي إِلَى طَاعَتِكَ**﴾[1].

---

(1) وَرَدَ الْحَدِيثُ بِلَفْظٍ آخَرَ عَنْ شَهْرِ بْنِ حَوْشَبٍ، قَالَ: قُلْتُ لِأُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، مَا كَانَ أَكْثَرُ دُعَاءِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذَا كَانَ عِنْدَكِ؟ قَالَتْ: كَانَ أَكْثَرُ دُعَائِهِ: (**يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ**) رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ.

﴿سُورَةُ الْفِيلِ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾﴾

﴿تَفْسِيرُ الْمُفْرَدَاتِ﴾

أَصْحَابُ الْفِيلِ: اَلَّذِينَ قَصَدُوا تَخْرِيبَ مَكَّةَ.

اَلطَّيْرُ: اِسْمٌ لِكُلِّ مَا طَارَ فِي الْهَوَاءِ.

اَلْأَبَابِيلُ: اَلْجَمَاعَاتُ.

اَلسِّجِّيلُ: اَلطِّينُ الَّذِي تَحَجَّرَ.

اَلْعَصْفُ: وَرَقُ الزَّرْعِ.

﴿اَلْبَيَانُ﴾

أَلَمْ تَعْلَمْ يَا مُحَمَّدُ بِمَا وَقَعَ قَبْلَ مِيلَادِكَ مِنْ قِصَّةِ الْفِيلِ، حِينَمَا أَرَادَ أَبْرَهَةُ مَلِكُ الْيَمَنِ أَنْ يَهْدِمَ الْكَعْبَةَ بِجَيْشِهِ، فَأَبْطَلَ اللَّهُ كَيْدَهُ فَلَمْ يَصِلْ إِلَى مَا أَرَادَ، بِأَنْ أَرْسَلَ عَلَى جَيْشِهِ جَمَاعَاتٍ مِنَ الطَّيْرِ، كُلُّ وَاحِدٍ فِي مِنْقَارِهِ حَجَرٌ، فَرَمَتْهُ هُوَ وَجَيْشَهُ بِسَهْمِهَا فَهَلَكُوا جَمِيعًا، وَصَارُوا كَأَوْرَاقِ الزَّرْعِ الْجَافَّةِ، وَالْهَشِيمِ الَّذِي تَأْكُلُهُ الدَّوَابُّ.

﴿اَلْعِبْرَةُ﴾

تُرْشِدُكَ هَذِهِ السُّورَةُ إِلَى: كَيْفَ يَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنَ الْجَبَّارِينَ، وَكَيْفَ يُمْلِي لِلظَّالِمِينَ: ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ (القلم:٤٥) فَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ غَرَّهُمْ أَنَّ النِّقَمَ الْإِلَهِيَّةَ لَا تَحِلُّ بِهِمْ عَاجِلًا عَلَى مَا يَصْنَعُونَ، وَمَا عَلِمُوا أَنَّ عَمَلَهُمْ مُسَجَّلٌ فِي صَحَائِفِهِمْ، وَأَنَّ عَذَابَ اللَّهِ نَازِلٌ بِهِمْ؛ فَاحْرِصْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُ عَلَى طَاعَةِ رَبِّكَ فِيمَا أَمَرَ وَفِيمَا نَهَى، حَتَّى تَكُونَ عِنْدَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ.

﴿سُورَةُ قُرَيْشٍ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ۝ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ ۝ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ۝﴾

﴿تَفْسِيرُ الْمُفْرَدَاتِ﴾

اَلْإِيلَافُ: اِجْتِمَاعُ الشَّمْلِ مَعَ الْاِلْتِئَامِ.

اَلرِّحْلَةُ: شَدُّ الرِّحَالِ إِلَى الْمَسِيرِ.

﴿اَلْبَيَانُ﴾

كَانَتْ لِقُرَيْشٍ رِحْلَتَانِ: رِحْلَةٌ بِالشِّتَاءِ إِلَى بِلَادِ الْيَمَنِ، وَرِحْلَةٌ بِالصَّيْفِ إِلَى بِلَادِ الشَّامِ، يَذْهَبُ التُّجَّارُ فِيهِمَا لِلْكَسْبِ وَاسْتِدْرَارِ الرِّزْقِ، فَكَانُوا يَذْهَبُونَ آمِنِينَ وَيَرْجِعُونَ سَالِمِينَ، لَا يَتَعَرَّضُ لَهُمْ أَحَدٌ بِسُوءٍ، لِأَنَّهُمْ: سُكَّانُ حَرَمِ اللهِ، وَجِيرَانُ بَيْتِهِ؛

فَلَمَّا عَدَّدَ اللَّـهُ نِعَمَهُ عَلَيْهِمْ: مِنَ الْأَمْنِ، وَسُهُولَةِ الرِّزْقِ، أَمَرَهُمْ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَيَشْكُرُوهُ، لِأَنَّهُ لَوْلَا حِمَايَتُهُ لَهُمْ لَكَانُوا فِي جُوعٍ وَضَنْكٍ مِنَ الْعَيْشِ.

﴿اَلْعِبْرَةُ﴾

تَضَمَّنَتْ هَذِهِ السُّورَةُ: نِعْمَةً مِنْ نِعَمِ اللَّـهِ عَلَى أَهْلِ مَكَّةَ، فَالسُّورَةُ السَّابِقَةُ تَضَمَّنَتْ نِعْمَةَ إِهْلَاكِ عَدُوِّهِمْ أَبْرَهَةَ، اَلَّذِي جَاءَهُمْ يُحَاوِلُ هَدْمَ بَيْتِهِمُ الَّذِي هُوَ أَسَاسُ مَجْدِهِمْ؛ وَفِي هَذِهِ السُّورَةِ ذَكَّرَهُمْ بِنِعْمَةٍ أُخْرَى هِيَ: إِيلَافُهُمْ وَاجْتِمَاعُ شَمْلِهِمْ، لِيَتَمَكَّنُوا مِنَ الْاِرْتِحَالِ صَيْفًا وَشِتَاءً لِجَلْبِ الرِّبْحِ وَالْأَرْزَاقِ إِلَى بِلَادِهِمْ.

﴿سُورَةُ الْمَاعُونِ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ۝﴾

﴿تَفْسِيرُ الْمُفْرَدَاتِ﴾

اَلدِّينُ: اَلْجَزَاءُ. اَلْإِسْلَامُ.

يَدُعُّ الْيَتِيمَ: يَدْفَعُهُ دَفْعًا عَنِيفًا.

اَلْيَتِيمُ: الذِي مَاتَ أَبُوهُ.

يَحُضُّ: يَحُثُّ وَيَحْرِصُ.

اَلْمِسْكِينُ: اَلذِي لَا يَمْلِكُ قُوتًا.

سَاهُونَ: غَافِلُونَ.

يُرَاءُونَ: يَتَكَلَّفُونَ.

اَلْمَاعُونُ: مَا يُسْتَعَانُ بِهِ عَلَى عَمَلِ الْحَاجَاتِ.

﴿اَلْبَيَانُ﴾

أَرَأَيْتَ يَا مُحَمَّدُ الذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ، هُوَ الرَّجُلُ الذِي يَدْفَعُ الْيَتِيمَ وَيَنْهَرُهُ، وَيَزْجُرُهُ، بِلَا ذَنْبٍ جَنَاهُ وَلَا إِثْمٍ ارْتَكَبَهُ، وَلَا يَحُثُّ أَهْلَهُ وَلَا غَيْرَ أَهْلِهِ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ؛

وَإِذَا عَرَفْتَ مَنْ هُوَ الذِي يَقْهَرُ الْيَتِيمَ، وَلَا يَحُثُّ الْأَغْنِيَاءَ وَالْمُوسِرِينَ وَالْقَادِرِينَ عَلَى إِطْعَامِ الْمَسَاكِينِ وَالْمَحَاوِيجِ:

فَاعْرِفْ أُولَئِكَ الذِينَ يُصَلُّونَ وَقُلُوبُهُمْ غَافِلَةٌ عَمَّا يَقُولُونَ وَمَا يَفْعَلُونَ، فَهُمْ يَرْكَعُونَ وَيَسْجُدُونَ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ عَلَيْهَا مَقْهُورُونَ، وَفِي فِعْلِهَا مَظْلُومُونَ، وَإِذَا وُزِنَتْ صَلَاتُهُمْ بِمِيزَانِ الصَّلَاةِ، عَلِمْتَ السَّبَبَ فِي تَأَخُّرِ الْأُمَّةِ، وَهَذِهِ الصَّلَاةُ هِيَ صَلَاةُ مُعْظَمِ النَّاسِ مَا خَلَا فِئَةً قَلِيلَةً مِنَ الْخَاشِعِينَ، وَمِنَ الْعُلَمَاءِ الْعَامِلِينَ؛

وَأَمَّا النَّوْعُ الثَّانِي: فَصَلَاةُ الْمُرَائِينَ، الذِينَ يُصَلُّونَ لِأَجْلِ الرِّيَاءِ وَالسُّمْعَةِ، فَهُمْ يُظْهِرُونَ فِعْلَهُمْ لِلنَّاسِ لِيُثْنُوا عَلَيْهِمْ، وَيَظُنُّوا بِهِمْ خَيْرًا، وَإِذَا كَانُوا وَحْدَهُمْ حَيْثُ لَا

يَرَاهُمْ أَحَدٌ: تَرَكُوا الصَّلَاةَ، وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ، وَأَتَوُا الْمُنْكَرَاتِ، أَوْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُهُمْ مَعَ النَّاسِ صَلَّى فَأَحْسَنَ، وَإِذَا خَلَا بِنَفْسِهِ نَقَرَ نَقْرَ الْغُرَابِ، وَالْتَفَتَ الْتِفَاتَةَ الثَّعْلَبِ، وَضَيَّعَ أَرْكَانَ الصَّلَاةِ، وَأَسْرَعَ فِيهَا كَأَنَّ تَحْتَ قَدَمَيْهِ نَارًا يُرِيدُ الْخَلَاصَ مِنْهَا، وَقَدْ يَنْشُطُ فِي حُضُورِ مَنْ يَخَافُهُ، وَيَتَكَاسَلُ إِذَا غَابَ عَنْهُ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴾ (التوبة: ٥٤)؛

وَهَؤُلَاءِ أَيْضًا يَمْنَعُونَ عَنِ النَّاسِ مَا يَسْتَعِينُونَ بِهِ عَلَى عَمَلِ الْحَاجَاتِ: كَالْمَاءِ، وَالْمِلْحِ، مِمَّا لَيْسَ فِيهِ إِضَاعَةُ مَالٍ، وَلَا بَذْلُ غَوَالٍ؛

وَقَدْ هَدَّدَهُمُ اللَّـهُ بِالْعَذَابِ الْأَلِيمِ فِي الْآخِرَةِ، جَزَاءَ تَكْذِيبِهِمْ وَنِفَاقِهِمْ

﴿ اَلْعِبْـرَةُ ﴾

تُحَذِّرُكَ هَذِهِ السُّورَةُ مِنْ: نَهْرِ الْيَتِيمِ، وَإِهَانَتِهِ، وَأَكْلِ مَالِهِ، وَإِهْمَالِ تَرْبِيَتِهِ إِذَا كُنْتَ وَلِيًّا لَهُ، لِأَنَّ إِبْقَاءَهُ فِي الْجَهْلِ إِذْلَالٌ لَهُ، وَظُلْمٌ، وَقَهْرٌ، لِأَنَّهُ فَقَدَ أَبَاهُ، وَحُرِمَ عَائِلًا يَرْعَاهُ، وَفَقَدَ مَنْ كَانَ يَحْنُو عَلَيْهِ وَيَسْعَى لِرَاحَتِهِ، فَكَانَ الْأَجْدَرُ بِهَذَا الزَّاجِرِ أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ عَاطِفًا كَرِيمًا، وَأَبًا رَحِيمًا.

* فَلْيَتَّقِ اللَّـهَ أُولَئِكَ الْأَوْصِيَاءُ الَّذِينَ يَنْتَهِزُونَ صِغَرَ الْيَتِيمِ، وَغَفْلَةَ الْحُكَّامِ، فَيُبَدِّدُونَ أَمْوَالَهُ وَيَأْكُلُونَهَا ظُلْمًا، وَإِنَّمَا أَكَلُوا نَارًا، قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ الْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ (النساء: ١٠).

كَمَا تُحَذِّرُكَ هَذِهِ السُّورَةُ مِنْ: أَنْ تَحْتَقِرَ حُقُوقَ الضُّعَفَاءِ، وَتَبْخَلَ بِمَالِكَ عَلَى الْفُقَرَاءِ، بَلْ يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تُنْفِقَ مِمَّا رَزَقَكَ اللَّـهُ، وَتَحُثَّ غَيْرَكَ مِنَ الْأَغْنِيَاءِ عَلَى إِطْعَامِ الْـمِسْكِينِ، الَّذِي لَا كَسْبَ لَهُ وَلَا مَالَ عِنْدَهُ، وَلَا قُوَّةَ يَجْلِبُ بِهَا رِزْقَهُ.

وَتُحَذِّرُكَ أَيْضًا مِنَ السَّهْوِ عَنِ الصَّلَاةِ: وَالسَّهْوُ هُوَ: التَّهَاوُنُ فِيهَا، كَمَنْ يُصَلِّي الصَّلَوَاتِ فِي غَيْرِ أَوْقَاتِهَا، وَيُصَلِّيهَا خَالِيَةً مِنَ الْخُشُوعِ وَالطُّمَأْنِينَةِ، لِأَنَّ الصَّلَاةَ بِغَيْرِ خُشُوعٍ لَا تَنْفَعُ صَاحِبَهَا، وَلَا تَتَزَكَّى وَتَتَطَهَّرُ بِهَا نَفْسُهُ.

وَلَقَدْ كَانَ الْعَرَبُ قُسَاةً غِلَاظًا، فَأَصْبَحَتْ أَخْلَاقُهُمْ أَرَقَّ مِنَ النَّسِيمِ، وَقُلُوبُهُمْ أَنْقَى مِنَ الْمِرْآةِ، بِفَضْلِ صَلَاةِ الْخُشُوعِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ

فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾ (المؤمنون:١-٢).

فَصَلَاةُ الْخُشُوعِ وَالِاطْمِئْنَانِ، وَالْمُرَاقَبَةِ وَالِانْكِسَارِ بَيْنَ يَدَيِ الْمَلِكِ الدَّيَّانِ، هِيَ سَبِيلُ النَّجَاحِ فِي الْحَيَاةِ، وَمِعْوَانٌ عَلَى كُلِّ خَيْرٍ وَفَلَاحٍ، لِأَنَّهَا صَلَاةُ التَّدَبُّرِ فِي الْآيَاتِ، وَالتَّفَكُّرِ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ.

﴿سُورَةُ الْكَوْثَرِ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ① فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ② إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ③ ﴾

﴿تَفْسِيرُ الْمُفْرَدَاتِ﴾

اَلْكَوْثَرَ: اَلْخَيْرُ الْكَثِيرُ. نَهْرٌ فِي الْجَنَّةِ.

اِنْحَرْ: اِذْبَحِ الْبُدْنَ.

شَانِئَكَ: مُبْغِضَكَ.

اَلْأَبْتَرُ: اَلَّذِي لَا عَقِبَ لَهُ.

﴿اَلْبَيَانُ﴾

إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ يَا مُحَمَّدُ الْخَيْرَ الْكَثِيرَ، الَّذِي هُوَ: اَلْقُرْآنُ، وَالْعِلْمُ، وَالشَّفَاعَةُ، وَالذِّكْرُ الْحَسَنُ؛ فَدَاوِمْ عَلَى الصَّلَاةِ، وَانْحَرْ ذَبِيحَتَكَ لِوَجْهِ اللَّهِ، وَأَعْطِ مِنْهَا الْمُحْتَاجِينَ؛ وَقَدْ فُسِّرَتِ الصَّلَاةُ بِصَلَاةِ الْعِيدِ، وَالنَّحْرُ بِالتَّضْحِيَةِ؛

وَلَا تَلْتَفِتْ إِلَى كَلَامِ مُبْغِضِيكَ، فَهُمُ الَّذِينَ لَا يَبْقَى لَهُمْ عَقِبٌ وَلَا ذِكْرٌ، أَمَّا أَنْتَ فَتَبْقَى ذُرِّيَّتُكَ، وَذِكْرُكَ الْحَسَنُ، وَآثَارُ فَضْلِكَ عَلَى الْعَالَمِ، وَلَكَ فِي الْآخِرَةِ مَا لَا يَدْخُلُ تَحْتَ وَصْفٍ.

﴿اَلْعِبْرَةُ﴾

تُرْشِدُكَ هَذِهِ السُّورَةُ إِلَى: أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى الْمُؤْمِنِ أَنْ يُقَابِلَ نِعَمَ اللَّهِ بِالشُّكْرِ؛

وَالشُّكْرُ: هُوَ الْإِحْسَانُ إِلَى الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ، وَيُحِبُّ نَبِيَّهُ، وَيَفْرَحُ بِدِينِهِ، وَيَحْمَدُ رَبَّهُ أَنْ جَعَلَهُ مُسْلِمًا، وَاخْتَارَ لَهُ أَرْفَعَ الْأَدْيَانِ دِينًا، وَأَشْرَفَ الْأَنْبِيَاءِ مَنْزِلَةً، فَإِذَا اتَّبَعَ نَبِيَّهُ وَامْتَثَلَ لِأَوَامِرِهِ وَتَخَلَّقَ بِأَخْلَاقِهِ، كَانَ الْمَثَلَ الْأَعْلَى لِلْمُسْلِمِ الْكَامِلِ، وَفَازَ فِي الدَّارَيْنِ.

﴿سُورَةُ الْكَافِرُونَ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۞ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۞ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۞ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۞ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۞ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ۞﴾

﴿اَلْبَيَانُ﴾

قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِلْكَافِرِينَ الذِينَ فَاوَضُوكَ أَنْ تَدْخُلَ دِينَهُمْ وَتَعْبُدَ آلِهَتَهُمْ حِينًا، وَأَنْ يَدْخُلُوا فِي دِينِكَ وَ يَعْبُدُوا إِلَهَكَ حِينًا آخَرَ، لِيَنْصَرِفُوا بِذَلِكَ عَنْ أَذَاكَ وَعَدَاوَتِكَ.

قُلْ لَهُمْ: لَا أَعْبُدُ الذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّـهِ، كَمَا أَنَّكُمْ لَا تَعْبُدُونَ الذِي أَعْبُدُ بِصِدْقٍ وَإِخْلَاصٍ، كَمَا أَخْبَرَنِي رَبِّي، وَلَسْتُ بِعَابِدٍ عِبَادَتَكُمُ التِي هِيَ شِرْكٌ وَكُفْرٌ، وَلَسْتُمْ بِعَابِدِينَ عِبَادَتِي التِي هِيَ تَوْحِيدٌ وَإِخْلَاصٌ لِلَّـهِ، لَكُمْ دِينُكُمْ فَأَنْتُمْ مَجْزِيُّونَ بِهِ، وَلِي دِينٌ أَنَا مَجْزِيٌّ بِهِ؛ وَقِيلَ: إِنَّ الدِّينَ بِمَعْنَى الْحِسَابِ.

وَالْمَعْنَى: لَكُمْ حِسَابُكُمْ عَلَى أَعْمَالِكُمْ، وَلِي حِسَابِي عَلَى أَعْمَالِي.

﴿فَضْلُ هَذِهِ السُّورَةِ﴾

* رُوِيَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَجْمَعُ بَيْنَ هَذِهِ السُّورَةِ وَسُورَةِ الْإِخْلَاصِ، فِي سُنَّةِ الْفَجْرِ، وَسُنَّةِ الْمَغْرِبِ، لِأَنَّهُمَا اشْتَمَلَتَا عَلَى التَّوْحِيدِ الذِي لَا نَجَاةَ لِلْعَبْدِ إِلَّا بِهِ، فَكَانَ يَفْتَتِحُ بِهِمَا النَّهَارَ وَيَخْتِمُهُ.

* وَرُوِيَ أَنَّهُ قَالَ فِي فَضْلِ هَذِهِ السُّورَةِ: ﴿إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ: قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ، فَإِنَّهَا بَرَاءَةٌ مِنَ الشِّرْكِ﴾[1].

﴿اَلْعِبْـرَةُ﴾

تُرْشِدُكَ هَذِهِ السُّورَةُ إِلَى: أَنَّ الْمُسْتَحِقَّ لِلْعِبَادَةِ هُوَ اللَّـهُ الَّذِي خَلَقَكَ وَرَزَقَكَ، وَأَنَّ دِينَكَ خَيْرُ الْأَدْيَانِ، لِأَنَّهُ يَدْعُو إِلَى عِبَادَةِ إِلَهٍ وَاحِدٍ تَنَزَّهَ عَنِ الْأَشْبَاهِ وَالْأَمْثَالِ، وَتَعَالَى عَنِ الْوَسَائِلِ وَالشُّفَعَاءِ، وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ.

﴿سُـورَةُ النَّصْـرِ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ۝﴾

﴿تَفْسِيرُ الْمُفْـرَدَاتِ﴾

اَلنَّصْرُ: اَلْإِعَانَةُ عَلَى الْعَدُوِّ.

اَلْفَتْحُ: فَتْحُ مَكَّةَ.

رَأَيْتَ: عَلِمْتَ.

دِينُ اللَّـهِ: مِلَّةُ الْإِسْلَامِ.

فَسَبِّحْ: فَقُلْ سُبْحَانَ اللَّـهِ.

اِسْتَغْفِرْهُ: أُطْلُبْ مِنْهُ الْعَفْوَ.

﴿اَلْبَيَـانُ﴾

---

(١) حَدِيثُ (إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ: {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ} ثُمَّ نَمْ عَلَى خَاتِمَتِهَا، فَإِنَّهَا بَرَاءَةٌ مِنَ الشِّرْكِ) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ، وَابْنُ حِبَّانَ، وَالْحَاكِمُ، وَالْبَيْهَقِيُّ: عَنْ فَرْوَةَ بْنِ نَوْفَلٍ عَنْ أَبِيهِ. وَالطَّبَرَانِيُّ عَنْ جَبَلَةَ بْنِ حَارِثَةَ الْكَلْبِيِّ.

إِذَا نَصَرَكَ اللَّـهُ عَلَى أَعْدَائِكَ، وَفَتَحَ لَكُمْ مَكَّةَ وَسَائِرَ الْبِلَادِ، وَرَأَيْتَ بِبَصَرِكَ أَهْلَ مَكَّةَ وَمَا جَاوَرَهَا، يَدْخُلُونَ فِي الْإِسْلَامِ جَمَاعَاتٍ، بَعْدَ أَنْ كَانُوا يَدْخُلُونَ فِيهِ أَفْرَادًا، فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاشْكُرْهُ الذِي قَدَّرَ لَكَ هَذَا النَّصْرَ وَالْفَتْحَ الْمُبِينَ، وَاسْتَغْفِرِ اللَّـهَ مِنْ كُلِّ مَا فَرَطَ فِي هَذَا الْفَتْحِ، فَرُبَّمَا يَكُونُ وَقَعَ فِيهِ خِلَافُ الْأَوْلَى، مِمَّا لَا نَقْصَ فِيهِ لِلنُّبُوَّةِ وَالْمُرُوءَةِ، كَقَتْلِ بَعْضِ النَّاسِ الذِينَ آذَوْا رَسُولَ اللَّـهِ وَصَحْبَهُ قَبْلَ الْهِجْرَةِ، وَعَدَمِ قَبُولِ تَوْبَتِهِمْ؛ إِنَّ اللَّـهَ هُوَ التَّوَّابُ الْغَفَّارُ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ سِوَاهُ.

﴿اَلْعِبْـرَةُ﴾

تُنَبِّهُكَ هَذِهِ السُّورَةُ إِلَى: فَضْلِ التَّسْبِيحِ، وَالتَّحْمِيدِ، وَالاسْتِغْفَارِ، لِمَا فِي ذَلِكَ مِنَ الافْتِقَارِ إِلَى الْوَاحِدِ الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ؛ وَقَدْ وَعَدَ اللَّـهُ عِبَادَهُ بِغُفْرَانِ الذُّنُوبِ إِنِ اسْتَغْفَرُوهُ؛ فَعَلَيْكَ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُ بِكَثْرَةِ التَّسْبِيحِ، وَالدُّعَاءِ، وَالتَّضَرُّعِ إِلَى الرَّحِيمِ الْكَرِيمِ، فَمَنْ يُكْثِرْ قَرْعَ الْبَابِ يُوشَكُ أَنْ يُفْتَحَ لَهُ، وَمَنْ يُكْثِرِ الاسْتِغْفَارَ يُوشَكُ أَنْ يُغْفَرَ لَهُ؛ وَقَدِ اتَّفَقَ الصَّحَابَةُ عَلَى أَنَّ فِي نُزُولِ هَذِهِ السُّورَةِ نَعْيًا لِلنَّبِيِّ ﷺ؛

رُوِيَ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه قَالَ: قَدْ عُلِمَ النَّبِيُّ بِهَذِهِ السُّورَةِ أَنَّهُ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُ، فَأُمِرَ بِالتَّسْبِيحِ لِيُخْتَمَ لَهُ بِالزِّيَادَةِ فِي الْعَمَلِ الصَّالِحِ.

﴿سُـورَةُ اللَّهَـبِ﴾

* سَبَبُ نُزُولِ هَذِهِ السُّورَةِ: أَنَّهُ لَمَّا نَزَلَ قَوْلُ اللَّـهِ تَعَالَى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ (النساء:٤١) جَمَعَ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ أَقَارِبَهُ وَمِنْهُمْ أَبُو لَهَبٍ، فَأَنْذَرَهُمْ عَذَابَ الْآخِرَةِ وَطَلَبَ مِنْهُمْ أَنْ يُسْلِمُوا، فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: {تَبًّا لَكَ أَلِهَذَا جَمَعْتَنَا}، فَأَنْزَلَ اللَّـهُ هَذِهِ السُّورَةَ :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝٥﴾

﴿تَفْسِيرُ الْمُفْرَدَاتِ﴾

اَلتَّبَابُ: اَلْهَلَاكُ وَالْخُسْرَانُ.

اَلْجِيدُ: اَلْعُنُقُ.

اَلْمَسَدُ: اَللِّيفُ.

﴿اَلْبَيَانُ﴾

هَلَكَتْ نَفْسُ أَبِي لَهَبٍ وَقَدْ هَلَكَ، فَإِنَّ أَبَا لَهَبٍ هَذَا مَاتَ بِجِهَةٍ يُقَالُ لَهَا: الْعَدَسَةُ، بَعْدَ غَزْوَةِ بَدْرٍ بِأَيَّامٍ، وَتُرِكَ مَيِّتًا هُنَاكَ حَتَّى أَنْتَنَ، مَا نَفَعَهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَهُ مِنَ الْوَجَاهَةِ وَالْفَخْرِ حِينَ وُقُوعِ الْهَلَاكِ بِهِ، سَيُدْخَلُ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ، وَامْرَأَتُهُ تَحْمِلُ الْحَطَبَ فِي جَهَنَّمَ، فِي عُنُقِهَا حَبْلٌ مَفْتُولٌ مِنْ لِيفٍ.

وَقَدِ اسْتَحَقَّا هَذَا الْعَذَابَ لِأَنَّهُمَا كَانَا أَشَدَّ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ قَبِيلَةٍ بِأَسْرِهَا، فَلَقَدْ كَانَ أَبُو لَهَبٍ يُحَدِّثُ النَّاسَ أَنَّ ابْنَ أَخِيهِ كَذَّابٌ، وَكَانَ يَحْضُرُ بَعْضَ مَجَالِسِ دَعْوَتِهِ فَيَسْبِقُهُ بِرَأْيِهِ، وَيُجَادِلُهُ بِالْبَاطِلِ فِيمَا يَدْعُو إِلَيْهِ، ثُمَّ يُحَرِّضُ الْمُسْتَمِعِينَ لَهُ عَلَى عَدَمِ الْإِصْغَاءِ إِلَى مَا يَقُولُ، وَكَانَتْ زَوْجَتُهُ أُمُّ جَمِيلٍ أُخْتُ أَبِي سُفْيَانَ، تَتَعَرَّضُ لَهُ بِالْأَذَى فِي الطُّرُقَاتِ وَفِي الْمَسْجِدِ وَهُوَ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ.

﴿اَلْعِبْرَةُ﴾

تُرْشِدُكَ هَذِهِ السُّورَةُ إِلَى: أَنَّ الذِي يَتَّبِعُ هَوَاهُ، وَيَتْرُكُ الدِّينَ الْحَقَّ، وَيَنْفُرُ مِنِ اتِّبَاعِهِ، وَيَأْمُرُ بِمُخَالَفَتِهِ، وَيَغْتَرُّ بِمَا عِنْدَهُ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَالْجَاهِ، يُعَاقِبُهُ اللَّهُ بِالنَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. فَلْيَتَّعِظْ كُلُّ مُؤْمِنٍ بِهَذِهِ السُّورَةِ فِي طَاعَةِ رَبِّهِ.

﴿سُورَةُ الْإِخْلَاصِ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝٤﴾

﴿تَفْسِيـرُ الْمُفْـرَدَاتِ﴾

أَحَدٌ: وَاحِدٌ لَا شَرِيكَ لَهُ.

اَلصَّمَدُ: اَلذِي نَقْصِدُهُ فِي جَمِيعِ حَاجَاتِنَا.

كُفُوًا: مُمَاثِلاً. شَبِيهًا.

﴿اَلْـبَـيَـانُ﴾

قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِلَّذِينَ يَسْأَلُونَكَ أَنْ تَصِفَ لَهُمْ رَبَّكَ تَعَالَى:

إِنَّهُ وَاحِدٌ لَيْسَ اثْنَيْنِ وَلَا ثَلَاثَةً وَلَا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ،

وَلَيْسَ لَهُ مُعِينٌ وَلَا شَرِيكٌ،

وَهُوَ الذِي نَقْصِدُهُ فِي قَضَاءِ حَوَائِجِنَا،

وَلَيْسَ لَهُ ابْنٌ، وَلَا بِنْتٌ، وَلَا ذُرِّيَّةٌ، وَلَا جَدٌّ، وَلَا جَدَّةٌ، وَلَا زَوْجَةٌ، وَلَا يُوجَدُ لَهُ شَبِيـهٌ.

اَللَّـهُ رَبِّي وَاحِـدٌ وَهْـوَ الْغَنِيُّ إِلَـى الْأَبَـدْ
وَلَقَـدْ تَنَـزَّهَ رَبُّنَـا عَـنْ وَالِـدٍ وَعَـنْ وَلَـدْ
حَـاشَـا يَكُـونُ وَلَـنْ تَـرَى لِإِلَـهِـنَـا كُفُـؤًا أَحَـدْ

﴿اَلْعِبْـرَةُ﴾

تُرْشِدُكَ هَذِهِ السُّورَةُ إِلَى: أَنَّ اللَّـهَ هُوَ الْبَاقِي بَعْدَ خَلْقِهِ فَلَا يَفْنَى، وَهُوَ الْغَنِيُّ فَلَا يَحْتَاجُ إِلَى غَيْرِهِ، وَهُوَ خَالِقُ الْمَخْلُوقَاتِ، وَمُدَبِّرُ الْأَحْيَاءِ وَالْأَمْوَاتِ، قَادِرٌ حَكِيمٌ، لَا إِلَهَ غَيْرُهُ.

﴿فَضْـلُ هَـذِهِ السُّـورَةِ﴾

* جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: أَنَّ سُورَةَ الْإِخْلَاصِ تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ [1]، لِمَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْإِيمَانِ بِوَحْدَانِيَّةِ اللَّـهِ، وَالِالْتِجَاءِ إِلَيْهِ فِي جَمِيعِ الْحَاجَاتِ.

---

(1) أَخْرَجَ مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّـهِ ﷺ قَالَ فِي: {قُلْ هُوَ اللَّـهُ أَحَدٌ} (إِنَّهَا تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ).

* وَوَرَدَ أَنَّ رَجُلاً قَالَ: ﴿يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أُحِبُّ هَذِهِ السُّورَةَ: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، قَالَ: حُبُّكَ إِيَّاهَا أَدْخَلَكَ الْجَنَّةَ﴾ (1).

جَعَلَنَا اللَّهُ مِنَ الْمُلَازِمِينَ لِقِرَاءَتِهَا حَتَّى نُحْشَرَ فِي زُمْرَةِ مَنْ يُحِبُّهَا.

﴿سُورَةُ الْفَلَقِ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝ وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ۝ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝﴾

﴿تَفْسِيرُ الْمُفْرَدَاتِ﴾

أَعُوذُ بِهِ: أَلْجَأُ إِلَيْهِ وَأَسْتَعِينُ بِهِ.

اَلْفَلَقُ: اَلصُّبْحُ.

اَلْغَسَقُ: ظَلَامُ اللَّيْلِ.

اَلنَّفْثُ: اَلنَّفْخُ مَعَ رِيقٍ يَخْرُجُ مِنَ الْفَمِ.

اَلْعُقَدُ: مَا يُرْبَطُ مِنْ خَيْطٍ أَوْ نَحْوِهِ.

اَلْحَاسِدُ: اَلَّذِي يَتَمَنَّى زَوَالَ نِعْمَةِ الْغَيْرِ.

﴿اَلْبَيَانُ﴾

قُلْ يَا مُحَمَّدُ: أَلْتَجِئُ إِلَى رَبِّ كُلِّ شَيْءٍ، وَأَعْتَصِمُ بِهِ مِنْ كُلِّ شَرٍّ وَأَذًى يُصِيبُنِي، وَأَسْتَعِيذُ بِهِ مِنْ ظَلَامِ اللَّيْلِ الَّذِي تَكْثُرُ فِيهِ الْوُحُوشُ وَاللُّصُوصُ، كَمَا أَسْتَعِينُ بِقُوَّتِهِ مِنْ شَرِّ النِّسَاءِ السَّاحِرَاتِ، اللَّاتِي يَعْقِدْنَ عُقَدًا فِي خُيُوطٍ وَيَنْفُخْنَ عَلَيْهَا بِالنَّفْخِ لِلْإِيذَاءِ، وَيَرُدُّ عَنَّا شُرُورَ الْحَاسِدِينَ، وَيَدْفَعُ عَنَّا كَيْدَهُنَّ.

---

(1) عَنْ أَنَسٍ ﷺ: أَنَّ رَجُلاً قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أُحِبُّ هَذِهِ السُّورَةَ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ قَالَ: (إِنَّ حُبَّهَا أَدْخَلَكَ الْجَنَّةَ). رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ، وَرَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ تَعْلِيقًا.

﴿ اَلْعِبْـرَةُ ﴾

تُرْشِدُكَ هَذِهِ السُّورَةُ إِلَى: أَنَّ الْإِيمَانَ أَنْ تَعْتَقِدَ أَنْ لَا مُؤَثِّرَ وَلَا فَاعِلَ إِلَّا اللَّـهُ؛ فَلَا تُصَدِّقْ بِقَوْلِ مُنَجِّمٍ، وَلَا عَرَّافٍ، وَلَا كَاهِنٍ، يَدَّعِي مَعْرِفَةَ الْغَيْبِ، فَإِنَّهُ لَا يَعْلَمُ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّـهُ.

﴿ سُـورَةُ النَّـاسِ ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۝ مَلِكِ النَّاسِ ۝ إِلَٰهِ النَّاسِ ۝ مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ۝ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ۝ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ۝ ﴾

﴿ تَفْسِيرُ الْمُفْـرَدَاتِ ﴾

رَبُّ النَّاسِ: اَلَّذِي يُرَبِّيهِمْ بِالنِّعَمِ، وَيُؤَدِّبُهُمْ بِالنِّقَمِ.

مَلِكُ النَّاسِ: اَلَّذِي يَضْبِطُ أَعْمَالَهُمْ.

إِلَٰهُ النَّاسِ: اَلْمُسْتَوْلِي عَلَى قُلُوبِهِمْ بِعَظَمَتِهِ.

اَلْوَسْوَاسُ: اَلَّذِي يُلْقِي الْحَدِيثَ فِي النَّاسِ ـ حَدِيثَ السُّوءِ ـ.

اَلْخَنَّاسُ: اَلرُّجُوعُ وَالتَّأَخُّرُ، صِيغَةُ مُبَالَغَةٍ مِنَ الْخُنُوسِ.

اَلْجِنَّةُ: اَلْجِـنُّ.

﴿ اَلْـبَيَـانُ ﴾

قُلْ يَا مُحَمَّدُ: اَلْتَجِئْ إِلَى رَبِّ النَّاسِ وَمَالِكِهِمْ، مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ، اَلَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ، سَوَاءٌ كَانَ ذَلِكَ الْمُوَسْوِسُ: مِنَ الْجِنِّ، أَوْ مِنَ النَّاسِ.

﴿ اَلْعِبْـرَةُ ﴾

تُرْشِدُكَ هَذِهِ السُّورَةُ إِلَى: أَنَّ الِاسْتِعَاذَةَ وَالِاسْتِغَاثَةَ لَا تَكُونُ إِلَّا بِاللَّـهِ وَحْدَهُ: قَالَ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ: «مَنْ نَزَلَ مَنْزِلاً فَقَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّـهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ

مَا خَلَقَ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ حَتَّى يَرْحَلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ﴾[1].

أَمَّا الاِسْتِغَاثَةُ بِغَيْرِ اللَّـهِ فَقَدْ نَهَى اللَّـهُ عَنْهَا فَقَالَ: ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ (يُونُس: ١٠٦).

فَالْمُؤْمِنُ الْكَامِلُ هُوَ مَنْ إِذَا نَزَلَ بِهِ أَمْرٌ لَا يَسْتَغِيثُ إِلَّا بِاللَّـهِ: ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ﴾ (الأنعام: ١٧)

أَسْتَعِيذُ بِاللَّـهِ مِنْ شَرِّ نَفْسِي، وَمِنْ شَرِّ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ، وَأَسْأَلُهُ أَنْ يُعِينَنَا عَلَى إِصْلَاحِ نُفُوسِنَا، إِنَّهُ سَمِيعٌ مُجِيبٌ.



---

(١) حَدِيثُ: «مَنْ نَزَلَ مَنْزِلاً فَقَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّـهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ» أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ، وَأَحْمَدُ، وَالتِّرْمِذِيُّ عَنْ خَوْلَةَ بِنْتِ حَكِيمٍ. وَالطَّبَرَانِيُّ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ بْنِ عَابِسٍ.

﴿اَلْقِسْمُ الثَّانِي﴾

﴿اَلْأَحَادِيثُ الشَّرِيفَةُ﴾

﴿بَابُ: تَعْظِيمِ حُرُمَاتِ الْمُسْلِمِينَ، وَبَيَانِ حُقُوقِهِمْ﴾
﴿وَقَضَاءِ حَوَائِجِهِمْ، وَسَتْرِ عَوْرَاتِهِمْ﴾
﴿وَالتَّحْذِيرِ مِنِ انْتِهَاكِ حُرُمَاتِهِمْ﴾

﴿1﴾ ﴿اَلْمُؤْمِنُونَ﴾

* قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى﴾[1] رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

﴿اَلشَّرْحُ وَالْبَيَانُ﴾

ضَرَبَ النَّبِيُّ ﷺ مَثَلاً لِلْمُؤْمِنِينَ بِالْجَسَدِ الْوَاحِدِ، فَكَمَا أَنَّ الْجَسَدَ إِذَا مَرِضَ مِنْهُ عُضْوٌ تَأَلَّمَتْ لَهُ بَقِيَّةُ أَعْضَائِهِ، وَأَصْبَحَتْ لَا تَذُوقُ مَنَامًا، وَلَا تَهْنَأُ بِطَعَامٍ وَلَا شَرَابٍ، فَكَذَلِكَ الْمُؤْمِنُونَ إِيمَانًا حَقًّا، إِذَا نَزَلَتْ بِأَحَدٍ مِنْهُمْ نَازِلَةٌ أَوْ أَلَمَّتْ بِهِ مُلِمَّةٌ شَعَرَ بِأَلَمِهَا الْبَاقُونَ، وَأَحَسَّ بِهَا إِخْوَانُهُ الْمُؤْمِنُونَ فَيَسْعَوْنَ لِدَفْعِ شَرِّ الْآلَامِ عَنْهُ، لِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْمَحَبَّةِ وَالشَّفَقَةِ؛

وَالْمُرَادُ: أَنَّ الذِي يُصِيبُ وَاحِدًا مِنْهُمْ يَكُونُ كَأَنَّهُ أَصَابَ كُلَّهُمْ، لِأَنَّهُمْ فِي مَجْمُوعِهِمْ كَشَخْصٍ وَاحِدٍ.

﴿2﴾ ﴿اَلِائْتِلَافُ وَالِاتِّحَادُ﴾

* قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿اَلْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا، وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ﴾[1] رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

---

(1) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَنْ سَيِّدِنَا النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنه وَاللَّفْظُ لِمُسْلِمٍ.

﴿اَلشَّرْحُ وَالْبَيَانُ﴾

يُرْشِدُنَا هَذَا الْحَدِيثُ إِلَى: أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ لَا يَكُونُونَ أَقْوِيَاءَ إِلَّا إِذَا اتَّحَدُوا وَاتْتَلَفُوا كَالْبُنْيَانِ، فَإِنَّهُ لَا يَكُونُ مَتِينًا إِلَّا إِذَا كَانَتْ أَجْزَاؤُهُ مُتَمَاسِكَةً مَعَ بَعْضِهَا؛ أَمَّا إِذَا تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا فَتَذْهَبُ قُوَّتُهُمْ، وَتَضْعُفُ حَالَتُهُمْ، وَيَكُونُونَ كَالْجِدَارِ الْمُتَدَاعِي لِلسُّقُوطِ، لِعَدَمِ التَّمَاسُكِ بَيْنَ أَجْزَائِهِ.

﴿3﴾ ﴿اَلْمُسْلِمُ الْكَامِلُ﴾

* قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿اَلْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ﴾[2] رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

﴿اَلشَّرْحُ وَالْبَيَانُ﴾

اَلْمُسْلِمُ إِسْلَامًا حَقِيقِيًّا، هُوَ الذِي: لَا يُطْلِقُ لِسَانَهُ بِالطَّعْنِ فِي أَعْرَاضِ النَّاسِ: فَلَا يَسُبُّهُمْ، وَلَا يَشْتِمُهُمْ، وَلَا يَكْذِبُ عَلَيْهِمْ؛ وَيُمْسِكُ يَدَهُ: فَلَا يَسْرِقُ مَالَهُمْ، وَلَا يُؤْذِي بَرِيئَهُمْ؛

وَبِالْجُمْلَةِ يَتَجَنَّبُ أَذَى غَيْرِهِ: قَوْلاً وَفِعْلاً، لِيَسْلَمَ مِنَ الْأَذَى، وَلِيَكُونَ مَقْبُولاً عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ النَّاسِ؛

* وَلَوْ تَمَسَّكَ الْمُسْلِمُونَ بِهَذَا الْحَدِيثِ وَتَخَلَّقُوا بِمَا فِيهِ مِنْ خِلَالِ الْخَيْرِ، لَسَادَ التَّحَابُبُ وَالتَّآلُفُ بَيْنَهُمْ.

﴿4﴾ ﴿حُقُوقُ الْمُسْلِمِ﴾

* قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ، قِيلَ مَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ، وَإِذَا

---

(1) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَنْ سَيِّدِنَا أَبِي مُوسَى ﷺ وَاللَّفْظُ لِلْبُخَارِيِّ.

(2) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ عَنْ سَيِّدِنَا عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو ﷺ بِلَفْظِ: ﴿اَلْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ﴾.

عَطَسَ فَحَمِدَ اللهَ فَشَمِّتْهُ، وَإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ، وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ﴾[1] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

﴿اَلشَّـرْحُ وَالْبَيَـانُ﴾

أَرْشَدَنَا هَذَا الْحَدِيثُ إِلَى: أَنَّ مِنْ حَقِّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتًّا وَهِيَ:

اَلْحَقُّ الْأَوَّلُ: إِذَا لَقِيتَهُ فَقُلْ لَهُ: اَلسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّـهِ، فَالسَّلَامُ أَمَانٌ، وَمَا أَحَبَّ عِنْدَ أَخِيكَ الْمُسْلِمِ مِنْ أَنْ تُلْقِيَ عَلَيْهِ هَذَا الْأَمَانَ كُلَّمَا لَقِيتَهُ؛ وَكَلِمَةُ السَّلَامِ تَزْرَعُ الْمَوَدَّةَ وَالْمَحَبَّةَ فِي الْقُلُوبِ.

اَلْحَقُّ الثَّانِي: تَلْبِيَةُ دَعْوَتِهِ إِذَا دَعَاكَ إِلَى وَلِيمَةٍ، وَلَا شَكَّ أَنَّ إِجَابَةَ دَعْوَةِ أَخِيكَ مِمَّا تَزِيدُ فِي تَوْثِيقِ الرَّوَابِطِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ.

اَلْحَقُّ الثَّالِثُ: إِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْهُ بِالْقَوْلِ الْحَقِّ، وَلَا تَكْذِبْ عَلَيْهِ، وَلَا تَغُشَّهُ.

اَلْحَقُّ الرَّابِعُ: إِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللَّـهَ فَشَمِّتْهُ، وَكَيْفِيَّتُهُ إِذَا قَالَ الْعَاطِسُ: اَلْحَمْدُ لِلَّـهِ، فَقُلْ لَهُ: يَرْحَمُكَ اللَّـهُ، وَيَرُدُّ عَلَيْكَ بِقَوْلِهِ: يَهْدِيكُمُ اللَّـهُ وَيُصْلِحُ بَالَكُمْ.

اَلْحَقُّ الْخَامِسُ: إِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ، أَيْ إِذَا سَمِعْتَ بِمَرَضِهِ وَلَمْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ لِمُبَاشَرَةِ عَمَلِهِ، فَإِنَّهُ يُطْلَبُ مِنْكَ أَنْ تَعُودَهُ، لِتَعْرِفَ حَالَهُ وَتُوَاسِيَهُ بِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ تُخَفِّفُ عَنْهُ أَلَمَهُ الَّذِي يَشْكُو مِنْهُ.

اَلْحَقُّ السَّادِسُ: إِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ، أَيِ اتَّبِعْ جَنَازَتَهُ؛

وَتَشْيِيعُ الْجَنَازَةِ مِنَ الْقُرُبَاتِ؛

فَيَنْبَغِي لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يَحْرِصَ عَلَى هَذِهِ الْآدَابِ.

﴿ 5 ﴾ ﴿اَلتَّعَاوُنُ وَالتَّحَابُبُ﴾

* قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ﴾[2] رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

---

(1) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ عَنْ سَيِّدِنَا أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه.

(2) أَخْرَجَاهُ مِنْ حَدِيثِ سَيِّدِنَا أَنَسٍ رضي الله عنه.

﴿اَلشَّرْحُ وَالْبَيَانُ﴾

يُرْشِدُنَا هَذَا الْحَدِيثُ إِلَى: أَنَّهُ لَا يَكْمُلُ إِيمَانُ الْإِنْسَانِ إِلَّا إِذَا أَحَبَّ لِغَيْرِهِ مِثْلَ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ، وَالْإِنْسَانُ يُحِبُّ لِنَفْسِهِ: اَلصِّحَّةَ، وَالْغِنَى، وَالْجَاهَ، وَالنَّجَاحَ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْخَيْرَاتِ؛ فَيَنْبَغِي أَنْ يُحِبَّ لِأَخِيهِ مِثْلَهَا، لِيَكُونَ إِيمَانُهُ كَامِلاً.

﴿6﴾ ﴿اَلْحَثُّ عَلَى مُسَاعَدَةِ الْمُؤْمِنِ﴾

* قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿ اُنْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا، فَقَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللهِ: أَنْصُرُهُ إِذَا كَانَ مَظْلُومًا، أَفَرَأَيْتَ إِذَا كَانَ ظَالِمًا كَيْفَ أَنْصُرُهُ؟ قَالَ: تَحْجُزُهُ - أَوْ تَمْنَعُهُ - مِنَ الظُّلْمِ، فَإِنَّ ذَلِكَ نَصْرُهُ﴾[1] رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

﴿اَلشَّرْحُ وَالْبَيَانُ﴾

يُحَرِّضُنَا هَذَا الْحَدِيثُ عَلَى: مُسَاعَدَةِ الْمُؤْمِنِ أَخَاهُ فِي كُلِّ حَالَةٍ:

فَإِذَا اعْتَدَى عَلَيْهِ ظَالِمٌ كُنَّا مُطَالَبِينَ: بِنَصْرِ الْمَظْلُومِ بِأَنْ نَمْنَعَ عَنْهُ الْأَذَى، وَنَشْهَدَ مَعَهُ أَمَامَ الْحَاكِمِ إِذَا دَعَانَا لِلشَّهَادَةِ؛

وَنَنْصُرُ الظَّالِمَ: بِأَنْ نَرُدَّهُ عَنِ الظُّلْمِ، وَنُخِيفُهُ بِأَنَّنَا سَنَشْهَدُ عَلَيْهِ، أَوْ سَنُخْبِرُ الْحَاكِمَ، وَكُلَّ مَا يُشْبِهُ ذَلِكَ.

﴿7﴾ ﴿فَضْلُ قَضَاءِ حَوَائِجِ الْمُسْلِمِ﴾

* قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿ مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ؛ وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللهُ عَنْهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؛ وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؛ وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ؛ وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ؛ وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ: يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ

(1) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ مِنْ حَدِيثِ سَيِّدِنَا أَنَسٍ رضي الله عنه.

بَيْنَهُمْ: إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ؛ وَمَنْ أَبْطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ»[1] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

«اَلشَّـرْحُ وَالْبَيَـانُ»

وَعَدَنَا اللهُ فِي هَذَا الْحَدِيثِ، عَلَى طَرِيقِ الصَّادِقِ الْأَمِينِ ﷺ:

أَنَّ مَنْ نَفَّسَ وَأَزَالَ كُرْبَةً عَلَى أَخِيهِ الْمُؤْمِنِ: سَوَاءٌ أَزَالَهَا عَنْهُ بِمَالِهِ، أَوْ بِجَاهِهِ، فَإِنَّ اللهَ يُجَازِيهِ جَزَاءً كَامِلاً، كَأَنْ يَخْتِمَ لَهُ بِالْخَيْرِ، وَيَمُوتَ مُسْلِمًا.

وَإِذَا يَسَّرَ عَلَيْهِ: بِأَيِّ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ التَّيْسِيرِ، سَوَاءٌ كَانَ بِإِبْرَاءٍ، أَوْ صَدَقَةٍ، أَوْ حَطٍّ لِبَعْضِ الدَّيْنِ، يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ: فِي الدُّنْيَا بِتَوْسِيعِ رِزْقِهِ، وَفِي الْآخِرَةِ بِتَيْسِيرِ الْحِسَابِ عَلَيْهِ.

وَإِذَا سَتَرَ عُيُوبَ أَخِيهِ: بِأَنْ رَآهُ عَارِيًا فَكَسَاهُ، أَوْ رَآهُ عَلَى مَعْصِيَةٍ فَسَتَرَهُ، سَتَرَهُ اللهُ فِي الدَّارَيْنِ، لَكِنْ هَذَا فِي غَيْرِ الْفَاسِقِ، فَلَا يَسْتُرُ عَلَيْهِ لِأَنَّ السَّتْرَ يُطْمِعُهُ فِي زِيَادَةِ الْإِيذَاءِ، وَانْتِهَاكِ الْحُرُمَاتِ؛

وَالْعَبْدُ مَا دَامَ فِي عَوْنِ أَخِيهِ: بِبَدَنِهِ، أَوْ جَاهِهِ، أَوْ مَالِهِ، فَاللهُ فِي عَوْنِهِ بِالْإِغَاثَةِ مِنَ الشِّدَّةِ؛

وَمَنْ دَخَلَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِي غَايَتِهِ عِلْمًا يَنْفَعُ بِهِ: يُسَهِّلُ اللهُ لَهُ جَمِيعَ الْعَقَبَاتِ الشَّاقَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: كَالْحَشْرِ، وَالنَّشْرِ، وَالْحِسَابِ؛

وَإِذَا اجْتَمَعَ جَمَاعَةٌ فِي مَسْجِدٍ أَوْ مَدْرَسَةٍ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ: شَمَلَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَأَثْنَى اللهُ عَلَيْهِمْ، وَجَزَاهُمُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى؛

وَمَنْ قَصَّرَ فِي الْعَمَلِ الصَّالِحِ مُعْتَمِدًا عَلَى نَسَبِهِ، لَمْ يَرْفَعْهُ شَرَفُ نَسَبِهِ: أَيْ لَمْ يُلْحِقْهُ بِرُتَبِ أَصْحَابِ الْأَعْمَالِ الْكَامِلَةِ، لِأَنَّ الْمُسَارَعَةَ إِلَى السَّعَادَةِ إِنَّمَا هِيَ بِالْأَعْمَالِ لَا بِالْأَحْسَابِ قَالَ الشَّاعِرُ:

وَمَا الْفَخْرُ بِالْعَظْمِ الرَّمِيمِ وَإِنَّمَا   فَخَارُ الَّذِي يَبْغِي الْفَخَارَ بِنَفْسِهِ

---

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ سَيِّدِنَا أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه.

﴿ 8 ﴾ ﴿ اَلنَّهْيُ عَنْ كَشْفِ عَوْرَاتِ الْمُسْلِمِ ﴾

* قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًى إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ، وَإِنَّ مِنَ الْمُجَاهَرَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلاً ثُمَّ يُصْبِحُ وَقَدْ سَتَرَهُ اللهُ عَلَيْهِ فَيَقُولُ: يَا فُلَانُ عَمِلْتُ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا، وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ، وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللهِ عَلَيْهِ﴾[1] رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

﴿ اَلشَّـرْحُ وَالْبَيَـانُ ﴾

مُعَافًى: يَعْنِي غَيْرَ مُؤَاخَذٍ.

الْمُجَاهِرِينَ: هُمُ الذِينَ يَتَظَاهَرُونَ بِالْمَعْصِيَةِ فِي الطُّرُقَاتِ وَغَيْرِهَا، مِنْ غَيْرِ حَيَاءٍ وَلَا خَوْفٍ مِنَ اللهِ، وَلَا مِنْ غَيْرِهِ.

يُخْبِرُنَا النَّبِيُّ ﷺ فِي هَذَا الْحَدِيثِ: بِعَفْوِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَمَغْفِرَتِهِ لِلَّذِينَ عَمِلُوا الذُّنُوبَ مِنْ أُمَّتِهِ، وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مُطَّلِعًا عَلَيْهِمْ حِينَمَا فَعَلُوا الذُّنُوبَ إِلَّا اللهَ تَعَالَى، ثُمَّ تَابُوا إِلَى اللهِ وَرَجَعُوا إِلَيْهِ، فَهَؤُلَاءِ قَدْ بَشَّرَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ بِالْعَفْوِ عَنْهُمْ فَقَالَ: {كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًى إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ}؛

أَمَّا الذِينَ يَتَظَاهَرُونَ بِالْمَعَاصِي، وَيَفْعَلُونَهَا أَمَامَ النَّاسِ مِنْ غَيْرِ خَجَلٍ وَلَا حَيَاءٍ، فَتَرَاهُمْ: يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ فِي الْمَقَاهِي وَغَيْرِهَا مِنْ غَيْرِ مُبَالَاةٍ بِأَحَدٍ، وَيَأْتُونَ الْفِسْقَ، وَيَسْتَهْزِئُونَ بِأُمُورِ الدِّينِ، فَيُفْطِرُونَ فِي نَهَارِ رَمَضَانَ، وَيَتْرُكُونَ الصَّلَاةَ عَمْدًا وَكَسَلاً، فَهَؤُلَاءِ: مُطْرَدُونَ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ، مُعَرَّضُونَ لِنِقْمَتِهِ وَعَذَابِهِ، فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، لِهَذَا اسْتَثْنَاهُمُ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: {كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًى إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ}؛

وَيَدْخُلُ فِي قِسْمِ الْمُجَاهَرَةِ بِالْمَعَاصِي: كُلُّ شَخْصٍ فَعَلَ مَعْصِيَةً وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مُطَّلِعًا عَلَيْهِ، فَيَأْتِي هُوَ وَيُخْبِرُ أَصْحَابَهُ وَهُمْ يُنْصِتُونَ إِلَيْهِ فِي شَوْقٍ وَلَذَّةٍ وَطَرَبٍ، وَيَتَمَنَّوْنَ لَوْ أُتِيحَتْ لَهُمُ الْفُرَصُ فَيَفْعَلُوا مِثْلَ الذِي فَعَلَ، هَؤُلَاءِ هُمُ الذِينَ عَنَاهُمُ النَّبِيُّ بِقَوْلِهِ: {وَإِنَّ مِنَ الْمُجَاهَرَةِ ...إِلَخ}.

---

(1) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ سَيِّدِنَا أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ.

* إِنَّ الْجَهْرَ بِفِعْلِ الْمَعَاصِي مِمَّا يُرَغِّبُ النَّاسَ فِي فِعْلِهَا، فَتَكْثُرُ الْمَعْصِيَةُ، وَيَشْتَدُّ الْغَضَبُ مِنَ اللهِ عَلَى الْفَاعِلِينَ.

فَاحْفَظْ نَفْسَكَ يَا بُنَيَّ مِنِ ارْتِكَابِ الْمُحَرَّمَاتِ، فَتَكُونَ أَطْوَعَ الْفِتْيَانِ لِلهِ، وَأَحَقَّهُمْ بِرَحْمَتِهِ. رَزَقَنَا اللهُ الْخَوْفَ مِنْهُ، حَتَّى نَسْلَمَ مِنَ الزَّلَلِ، وَالْوُقُوعِ فِي الْخَطَلِ.

﴿ 9 ﴾ ﴿اَلتَّحْذِيرُ مِنِ انْتِهَاكِ حُرْمَةِ الْمُسْلِمِ وَفَضْحِ عِرْضِهِ﴾

* رَوَى أَبُو دَاوُدَ بِسَنَدِهِ إِلَى جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: ﴿مَا مِنِ امْرِئٍ يَخْذُلُ امْرَأً مُسْلِمًا، فِي مَوْضِعٍ تُنْتَهَكُ فِيهِ حُرْمَتُهُ، وَيُنْتَقَصُ فِيهِ مِنْ عِرْضِهِ، إِلَّا خَذَلَهُ اللهُ فِي مَوْطِنٍ يُحِبُّ فِيهِ نُصْرَتَهُ؛ وَمَا مِنِ امْرِئٍ يَنْصُرُ مُسْلِمًا، فِي مَوْضِعٍ تُنْتَهَكُ فِيهِ حُرْمَتُهُ، وَيُنْتَقَصُ فِيهِ مِنْ عِرْضِهِ، إِلَّا نَصَرَهُ اللهُ فِي مَوْطِنٍ يُحِبُّ فِيهِ نُصْرَتَهُ﴾.

﴿اَلشَّـرْحُ وَالْبَيَـانُ﴾

يُرْشِدُنَا هَذَا الْحَدِيثُ إِلَى:

1) أَنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا وَجَدَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ فِي ضِيقٍ وَشِدَّةٍ وَكَرْبٍ، أَوْ وَجَدَهُ قَدِ اعْتَدَى عَلَيْهِ ظَالِمٌ وَأَهَانَ كَرَامَتَهُ، وَانْتَهَكَ حُرْمَتَهُ، وَاسْتَبَدَّ بِهِ، وَكَانَ قَادِرًا عَلَى إِنْقَاذِهِ مِنَ الْكَرْبِ الَّذِي نَزَلَ بِهِ، وَالشِّدَّةِ الَّتِي حَلَّتْ بِسَاحَتِهِ، لَكِنَّهُ لَمْ يُسَاعِدْهُ بِتَفْرِيجِ كَرْبِهِ، كَافَأَهُ اللهُ تَعَالَى عَلَى ذَلِكَ بِالْخِذْلَانِ فِي الْأَشْيَاءِ الَّتِي يُحِبُّ أَنْ يَفُوزَ بِهَا؛

2) وَأَمَّا إِذَا رَأَى الْمُسْلِمُ أَخَاهُ فِي ضِيقٍ وَكَرْبٍ وَنَصَرَهُ، كَافَأَهُ اللهُ بِالنَّصْرِ وَالْإِعَانَةِ إِذَا مَا نَزَلَتْ بِهِ كَارِثَةٌ أَوْ مُصِيبَةٌ، وَصَدَقَ اللهُ الْعَظِيمُ الَّذِي يَقُولُ: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ (الزلزلة: ٧ - ٨)؛

إِنَّ الْخَلْقَ عِيَالُ اللهِ، وَأَحَبُّ الْخَلْقِ إِلَى اللهِ: أَبَرُّهُمْ بِعِيَالِهِ، وَأَكْثَرُهُمْ شَفَقَةً عَلَيْهِمْ، وَإِحْسَانًا إِلَيْهِمْ؛ فَلَوْ رَحِمَ بَعْضُنَا بَعْضًا: مَا بَاتَتْ عَيْنٌ تَبْكِي، وَلَا أَمْسَى مَكْرُوبٌ يَئِنُّ، وَلَا مَحْزُونٌ يَشْكُو، بَلْ عَاشَ النَّاسُ إِخْوَانًا: يُسَاعِدُ قَوِيُّهُمْ ضَعِيفَهُمْ، وَغَنِيُّهُمْ فَقِيرَهُمْ.

إِنَّنَا إِخْوَانٌ فِي الْوَطَنِ، فَيَجِبُ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنَّا أَنْ يَكُونَ عَوْنًا لِأَخِيهِ الْمُسْلِمِ، وَمُسَاعِدًا لَهُ بِمَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُقَدِّمَهُ لَهُ مِنَ الْمُسَاعَدَةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ (الحجرات: ١٠)، وَلَوْ قَلَّبْنَا النَّظَرَ فِي التَّارِيخِ الْإِسْلَامِيِّ، وَعَرَفْنَا مَا كَانَ عَلَيْهِ الْأَنْصَارُ إِزَاءَ إِخْوَانِهِمُ الْمُهَاجِرِينَ: مِنَ الْمَحَبَّةِ الصَّادِقَةِ، وَالتَّعَاوُنِ، لَأَدْرَكْنَا حَقًّا مَبْلَغَ أَثَرِ الْأُخُوَّةِ فِي: بِنَاءِ الشُّعُوبِ، وَصِيَانَةِ الْأُمَمِ.

﴿ بَابُ الْبِرِّ وَالْأَخْلَاقِ ﴾

﴿ 10 ﴾ ﴿ مَنْ أَحَقُّ بِحُسْنِ الصُّحْبَةِ ﴾

* جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: ﴿ مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قَالَ: أُمُّكَ، قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: أُمُّكَ، قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: أُمُّكَ، قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: أَبُوكَ ﴾[1] رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

﴿ اَلشَّرْحُ وَالْبَيَانُ ﴾

بَيَّنَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي هَذَا الْحَدِيثِ: أَنَّ لِكُلٍّ مِنَ الْأَبَوَيْنِ حَقًّا فِي: الْإِحْسَانِ إِلَيْهِ، وَالِاهْتِمَامِ بِأُمُورِهِ، وَالْعِنَايَةِ بِشُؤُونِهِ؛ كَمَا بَيَّنَ أَنَّ حَقَّ الْأُمِّ فَوْقَ حَقِّ الْأَبِ بِدَرَجَاتٍ كَثِيرَةٍ، فَإِنَّهُ ﷺ لَمْ يَذْكُرْ حَقَّ الْأَبِ إِلَّا بَعْدَ أَنْ أَكَّدَ حَقَّ الْأُمِّ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، مَعَ أَنَّهُمَا شَرِيكَانِ فِي تَرْبِيَةِ الْوَلَدِ؛ إِنَّ الْوَالِدَ يُجَاهِدُ طُولَ الزَّمَنِ، وَيُقَاوِمُ الْمَصَاعِبَ وَالْمِحَنَ، وَيَسْعَى فِي طَلَبِ الرِّزْقِ، لِيُنْفِقَ عَلَى الْوَلَدِ وَيَسُدَّ حَاجَتَهُ؛ أَمَّا الْوَالِدَةُ فَإِنَّهَا لَاقَتْ فِي سَبِيلِهِ مَصَاعِبَ كَثِيرَةً، لَمْ يُلَاقِهَا الْوَالِدُ: فَحَمَلَتْهُ تِسْعَةَ أَشْهُرٍ، وَأَرْضَعَتْهُ سَنَتَيْنِ، سَاهِرَةً عَلَى رَاحَتِهِ، تَخَافُ عَلَيْهِ مِنَ الْأَمْرَاضِ وَالْعِلَلِ، وَتَغْسِلُ قَذَارَتَهُ، وَذَلِكَ أَشْهَى إِلَى قَلْبِهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ فِي الدُّنْيَا، لِذَلِكَ أَوْصَى اللَّهُ تَعَالَى بِالْإِحْسَانِ إِلَى الْوَالِدَيْنِ فَقَالَ: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ (الإسراء: ٢٣)؛ وَمِنْ أَكْبَرِ الْكَبَائِرِ بَعْدَ الشِّرْكِ بِاللَّهِ عُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ.

---

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَنْ سَيِّدِنَا أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ.

﴿11﴾ ﴿اَلْحَثُّ عَلَى صِلَةِ الرَّحِمِ﴾

* قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَأَنْ يُنْسَأَ لَهُ فِي عُمُرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ»[1] رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

﴿اَلشَّـرْحُ وَالْبَـيَانُ﴾

يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ: أَيْ يُوَسَّعَ لَهُ فِيهِ؛

وَيُنْسَأُ لَهُ فِي عُمُرِهِ: أَيْ يَطُولُ عُمُرُهُ؛

يَصِلْ رَحِمَهُ: أَيْ يُحْسِنْ إِلَى أَقَارِبِهِ.

رَتَّبَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الْإِحْسَانِ إِلَى الْأَقَارِبِ أَمْرَيْنِ عَظِيمَيْنِ: كَثْرَةَ الْأَرْزَاقِ، وَطُولَ الْعُمُرِ.

1) **أَمَّا سَعَةُ الرِّزْقِ**: فَقَدْ حَصَلَتْ لِكَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ الَّذِينَ يُحْسِنُونَ إِلَى أَقَارِبِهِمْ.

2) **وَأَمَّا تَرْتِيبُ طُولِ الْعُمُرِ عَلَى الْإِحْسَانِ إِلَى الْأَقَارِبِ**: فَمَعْنَاهُ أَنْ يُبَارِكَ اللهُ فِي السِّنِينِ الَّتِي يَعِيشُ فِيهَا الشَّخْصُ، فَيُعْطِيهِ: قُوَّةً فِي الْجِسْمِ، وَصِحَّةً فِي الْبَدَنِ، حَتَّى يَمْلَأَهَا بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، وَبِذَلِكَ تَكُونُ حَيَاةً طَوِيلَةً وَإِنْ كَانَتْ فِي الْحِسَابِ قَصِيرَةً؛

وَبِالْجُمْلَةِ: فَالْعَطْفُ عَلَى الْأَقَارِبِ، وَصِلَتُهُمْ يَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ مِنْ جَزِيلِ الثَّوَابِ مَا لَا يُحْصَى، وَهَذِهِ الصِّلَةُ تَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ الْأَقَارِبِ:

1) **فَإِنْ كَانُوا فِي غِنًى عَنِ الْمُسَاعَدَةِ بِالْمَالِ أَوِ الْجَاهِ**: فَصِلَتُهُمْ، بِالتَّوَدُّدِ إِلَيْهِمْ، وَزِيَارَتِهِمْ، وَتَجْدِيدِ الْمَحَبَّةِ وَلَوْ بِالْمُرَاسَلَاتِ؛

2) **وَإِنْ كَانُوا فُقَرَاءَ**: فَبِالْبِرِّ بِهِمْ، وَإِسْدَاءِ النِّعْمَةِ إِلَيْهِمْ؛ فَإِنَّهُ لَا شَيْءَ يَأْسِرُ الْقُلُوبَ، وَيَجْعَلُ الْأَحْرَارَ عَبِيدًا، كَالْإِحْسَانِ، وَبَذْلِ الْمَالِ؛

---

(1) اَلْحَدِيثُ عَنْ سَيِّدِنَا أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ، بِلَفْظِ: يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، بَدَلَ عُمُرِهِ، وَهَذَا نَصُّهُ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ رِزْقُهُ، أَوْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ».

وَإِنْ كَانَ الْمَرْءُ مِنْ ذَوِي الْجَاهِ وَالنُّفُوذِ، نَفَعَ أَقَارِبَهُ بِجَاهِهِ، فَيَضَعُهُمْ فِي أَعْمَالٍ يَرْتَزِقُونَ مِنْهَا، قِيَامًا بِحَقِّ قَرَابَتِهِمْ.

* فَعَلَيْكَ يَا بُنَيَّ أَنْ لَا تُقَصِّرَ فِي: زِيَارَتِهِمْ، وَعِيَادَةِ مَرِيضِهِمْ، وَإِنْ مَسَّهُمْ ضُرٌّ فَخَفِّفْ عَنْهُمْ مَا أَمْكَنَكَ، فَالْإِحْسَانُ إِلَى الْأَقَارِبِ مِنْ خَيْرِ مَا يَعْمَلُهُ الْإِنْسَانُ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا، فَيَفْتَحُ اللهُ لَهُ أَبْوَابًا مِنَ الرِّزْقِ لَمْ تَكُنْ فِي حُسْبَانِهِ وَلَمْ تَكُنْ عَلَى خَاطِرِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ (الطلاق: ٢ - ٣). وَفَّقَنَا اللهُ إِلَى مَا فِيهِ الْخَيْرُ وَالْفَلَاحُ.

﴿ 12 ﴾ ﴿ اَلْخَيْرُ يَنْفَعُ أَهْلَهُ ﴾

* عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَجُلاً قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ لِي قَرَابَةً أَصِلُهُمْ وَيَقْطَعُونَنِي، وَأُحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُسِيئُونَ إِلَيَّ، وَأَحْلُمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ؛ قَالَ: ﴿ لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ، فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمُ الْمَلَّ، وَلَا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ ﴾ أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ.

﴿ اَلشَّرْحُ وَالْبَيَانُ ﴾

اَلْمَلَّ: اَلرَّمَادُ الْحَارُّ.

وَالظَّهِيرُ: اَلْمُعِينُ النَّاصِرُ.

اِشْتَمَلَ هَذَا الْحَدِيثُ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ الْخَيْرِ، فَقَدْ أَرْشَدَنَا إِلَى: أَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَنْدَمُ عَلَى خَيْرٍ قَدَّمَهُ إِذَا قُوبِلَ بِالشَّرِّ، فَعِنْدَ اللهِ لَا يَضِيعُ الْإِحْسَانُ، وَإِنَّ اللهَ نَاصِرُ الْمَظْلُومِ، فَلَا يَيْأَسْ وَلَا يَحْزَنْ، وَاللهُ مَعَهُ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ.

وَقَوْلُ رَسُولِ اللهِ ﷺ: {فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمُ الْمَلَّ} أَيْ عَطَاؤُكَ حَرَامٌ عَلَيْهِمْ، وَنَارٌ فِي بُطُونِهِمْ، لِأَنَّهُمْ يُقَابِلُونَ إِحْسَانَكَ بِالْإِسَاءَةِ؛

فَالْحَدِيثُ يَدُلُّ عَلَى فَضْلِ صِلَةِ الرَّحِمِ وَإِنْ هُمْ قَطَعُوا :

بِلَادِي وَإِنْ جَارَتْ عَلَيَّ عَزِيزَةٌ ... وَأَهْلِي وَإِنْ ضَنُّوا عَلَيَّ كِرَامُ

وَلَا غَرْوَ فَإِنَّ صِلَةَ الرَّحِمِ هِيَ حَلَقَةُ اتِّصَالِ الْأُمَّةِ بَعْضِهَا بِبَعْضٍ، وَهَلِ الْأُمَّةُ إِلَّا مَجْمُوعَةُ عَشَائِرَ، إِذَا ذَهَبَتْ مَوَدَّتُهُمْ حَلَّ بِهِمُ التَّنَاكُرُ فَتَفَكَّكَتْ أَوْصَالُ الْأُمَّةِ وَأَدْرَكَهَا الْفَنَاءُ، فَوَاجِبُ الْأَقْرِبَاءِ أَنْ يُقَابِلُوا إِحْسَانَ قَرِيبِهِمْ إِلَيْهِمْ بِالشُّكْرِ، فَإِنَّ شُكْرَ الْمُحْسِنِينَ شُكْرٌ فِي الْحَقِيقَةِ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ.

﴿ 13 ﴾ ﴿ هَلْ حُسْنُ الْخُلُقِ ضَرُورِيٌّ لِكُلِّ إِنْسَانٍ ﴾

* قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿ إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقًا ﴾[1] رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

﴿ اَلشَّـرْحُ وَالْبَـيَـانُ ﴾

أَرْشَدَنَا النَّبِيُّ ﷺ فِي هَذَا الْحَدِيثِ إِلَى: أَنَّ خِيَارَ النَّاسِ مَنْ: حَسُنَتْ أَخْلَاقُهُ، وَكَمُلَتْ صِفَاتُهُ، وَتَحَلَّى بِالْأَخْلَاقِ الْفَاضِلَةِ وَنَأَى عَنِ الرَّذَائِلِ، وَمَتَى كَانَتْ أَخْلَاقُ الْمَرْءِ حَسَنَةً، كَانَتْ أَبْوَابُ الْمُسْتَقْبَلِ مُفَتَّحَةً أَمَامَهُ بِجُلِّهَا، عَلَى قَدْرِ هِمَّتِهِ وَاسْتِعْدَادِهِ، وَإِذَا كَانَتْ أَخْلَاقُهُ سَيِّئَةً ضَاقَتْ سُبُلُ الْحَيَاةِ أَمَامَهُ، وَتَقَلَّبَ فِي أَسْبَابِ الشَّقَاءِ حِينًا بَعْدَ حِينٍ، قَالَ أَحَدُ الْحُكَمَاءِ: "مَنْ سَاءَ خُلُقُهُ ضَاقَ رِزْقُهُ" وَهَذَا مَعْقُولٌ، فَإِنَّ مَنْ سَاءَ خُلُقُهُ كَثُرَتْ أَعْدَاؤُهُ، وَقَلَّتْ أَنْصَارُهُ، فَاسْتَعْصَتْ عَلَيْهِ الْأُمُورُ، وَنَفَرَتْ مِنْهُ الْقُلُوبُ، فَيَتَرَصَّدُ لَهُ أَعْدَاؤُهُ بِالْكَيْدِ، وَيَضَعُونَ الْعَقَبَاتِ فِي طَرِيقِهِ، وَيَسُدُّونَ عَلَيْهِ مَنَافِذَ الْعَمَلِ؛

وَلَقَدْ صَرَّحَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، بِأَنَّ الْحِكْمَةَ الْمَقْصُودَةَ مِنْ رِسَالَتِهِ، إِنَّمَا هِيَ إِتْمَامُ مَا نَقَصَ مِنْ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ فَقَالَ: ﴿ إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ ﴾[2]؛

فَمِنْ جَمِيعِ مَا تَقَدَّمَ يَتَبَيَّنُ لَنَا: أَنَّ حُسْنَ الْخُلُقِ ضَرُورِيٌّ لِكُلِّ إِنْسَانٍ: تَاجِرًا كَانَ أَوْ صَانِعًا أَوْ مُوَظَّفًا:

---

(1) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَنْ سَيِّدِنَا عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ﷺ بِلَفْظِ: ﴿لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَاحِشًا وَلَا مُتَفَحِّشًا، وَكَانَ يَقُولُ: إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقًا﴾.

(2) أَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ عَنْ سَيِّدِنَا أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ.

فَمَتَى كَانَ التَّاجِرُ: حَسَنَ الْخُلُقِ، رَاضِيًا بِالْقَلِيلِ مِنَ الرِّبْحِ، نَاصِحًا غَيْرَ غَاشٍّ، أَقْبَلَ عَلَيْهِ النَّاسُ مِنْ كُلِّ صَوْبٍ، فَتَرُوجُ بِضَاعَتُهُ، وَتَرْبَحُ تِجَارَتُهُ، وَيُصْبِحُ مِنَ الْأَغْنِيَاءِ الْمُوسِرِينَ؛

وَمَتَى كَانَ الصَّانِعُ: حَسَنَ الْخُلُقِ، صَادِقًا غَيْرَ مُخْلِفٍ لِوُعُودِهِ، أَحَبَّتْهُ جَمِيعُ الطَّبَقَاتِ، فَيَجْنِي مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ مَا تَقَرُّ بِهِ عَيْنُهُ؛

وَمَتَى كَانَ الْمُوَظَّفُ: حَسَنَ الْخُلُقِ، مُتَوَاضِعًا، أَمِينًا، نَالَ رِضَى رُؤَسَائِهِ وَجَمِيعِ النَّاسِ تِلْكَ سُنَّةُ اللهِ فِي خَلْقِهِ، وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً؛

هَيَّأَ اللهُ لَنَا سُبُلَ الْخَيْرِ حَتَّى نَتَّصِفَ بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، وَنَتَحَلَّى بِجَمِيعِ الصِّفَاتِ.

﴿ 14 ﴾ ﴿ اَلْحَثُّ عَلَى الْبَشَاشَةِ ﴾

* قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿ إِنَّكُمْ لَنْ تَسَعُوا النَّاسَ بِأَمْوَالِكُمْ فَسَعُوهُمْ بِبَسْطِ الْوَجْهِ وَحُسْنِ الْخُلُقِ ﴾[1] رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ.

﴿ اَلشَّـرْحُ وَالْبَيَـانُ ﴾

فِي هَذَا الْحَدِيثِ حَضٌّ عَلَى: حُسْنِ الْخُلُقِ، لِأَنَّهُ بِهِ يَسْتَطِيعُ الْإِنْسَانُ أَنْ يَكْتَسِبَ عَطْفَ النَّاسِ وَمَوَدَّتَهُمْ، فَالْوَجْهُ الْـمُنْبَسِطُ يَدْعُو إِلَى مَحَبَّةِ صَاحِبِهِ، أَمَّا الْوَجْهُ الْعَابِسُ الْمُنْقَبِضُ فَإِنَّهُ يُخِيفُ النَّاسَ؛ فَالْمَرْءُ لَا يَسَعُ النَّاسَ بِأَمْوَالِهِ، فَذَلِكَ غَيْرُ مَقْدُورٍ، وَلَكِنَّهُ قَدْ يَسَعُهُمْ: بِبَسْطِ الْوَجْهِ، وَطَلَاقَتِهِ، وَلِينِ الْجَانِبِ، وَخَفْضِ الْجَنَاحِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَجْلِبُ مَحَبَّةَ النَّاسِ وَيُدِيمُ مَوَدَّتَهُمْ.

وَالْمُعَامَلَةُ الْحَسَنَةُ أَكْبَرُ مَظْهَرٍ لِلْأَخْلَاقِ الْفَاضِلَةِ، وَهِيَ تَبْعَثُ السُّرُورَ فِي النَّفْسِ: إِذْ تَسْهُلُ بِهَا الْمُخَالَطَةُ، وَتَطِيبُ الْمُعَاشَرَةُ، وَتَحْلُو الْمُؤَانَسَةُ، وَيَدُومُ الْوِدُّ وَالصَّفَاءُ، يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى مُخَاطِبًا نَبِيَّهُ الْكَرِيمَ: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ (آل عمران:١٥٩) وَلَا شَيْءَ أَرْفَعُ لِمَقَامِ الْإِنْسَانِ بَيْنَ

---

(١) أَخْرَجَهُ الْبَزَّارُ وَأَبُو يَعْلَى وَالطَّبَرَانِيُّ عَنْ سَيِّدِنَا أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه.

رُفَقَائِهِ وَأَصْدِقَائِهِ كَالْخُلُقِ الْحَسَنِ، فَهُمْ يَهَشُّونَ لِلِقَائِهِ، وَيَبَشُّونَ لِرُؤْيَتِهِ، وَيَسْعَوْنَ فِي مَرْضَاتِهِ.

﴿مَا يَلْحَقُ الْمُؤْمِنَ مِنْ عَمَلِهِ﴾

﴿15﴾ ﴿ثَلَاثُ خِصَالٍ تَلْحَقُ الْمُؤْمِنَ بَعْدَ مَوْتِهِ﴾

* قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ: صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ﴾[1] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

﴿اَلشَّرْحُ وَالْبَيَانُ﴾

إِنَّ الْمَيِّتَ يَنْقَطِعُ عَمَلُهُ فَلَا يَكُونُ لَهُ ثَوَابٌ يَصْعَدُ، وَلَا عَمَلٌ صَالِحٌ يُكْتَبُ، إِلَّا مَا سَبَقَ فَقَدَّمَ مِنَ الْخَيْرِ، وَقَدْ بَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ مَا يُسْتَثْنَى مِنْ ذَلِكَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ، وَهِيَ الْأَشْيَاءُ الثَّلَاثَةُ الَّتِي ذَكَرَهَا، لِأَنَّهَا مِنْ عَمَلِ الْمَيِّتِ نَفْسِهِ، وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ: ﴿إِنَّ مِمَّا يَلْحَقُ الْمُؤْمِنَ مِنْ عَمَلِهِ وَحَسَنَاتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ: عِلْمًا عَلَّمَهُ وَنَشَرَهُ، أَوْ وَلَدًا صَالِحًا تَرَكَهُ، أَوْ مُصْحَفًا وَرَّثَهُ، أَوْ مَسْجِدًا بَنَاهُ، أَوْ بَيْتًا لِابْنِ السَّبِيلِ شَيَّدَهُ، أَوْ نَهْرًا أَجْرَاهُ، أَوْ صَدَقَةً أَخْرَجَهَا مِنْ مَالِهِ فِي صِحَّتِهِ..﴾[2] وَقَدْ عَدَّ هَذِهِ الْخِصَالَ بَعْضُهُمْ فَبَلَغَتْ عَشْرًا، وَنَظَمَهَا فِي قَوْلِهِ:

إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ لَيْسَ يَجْرِي ... عَلَيْهِ مِنْ فِعَالٍ غَيْرُ عَشْرِ:
عُلُومٌ بَثَّهَا، وَدُعَاءُ نَجْلٍ، ... وَغَرْسُ النَّخْلِ، وَالصَّدَقَاتُ تَجْرِي
وِرَاثَةُ مُصْحَفٍ، وَرِبَاطُ ثَغْرٍ، ... وَحَفْرُ الْبِئْرِ أَوْ إِجْرَاءُ نَهْرٍ،
وَبَيْتٌ لِلْغَرِيبِ بَنَاهُ يَأْوِي ... إِلَيْهِ، أَوْ بِنَاءُ مَحَلِّ ذِكْرٍ،
وَتَعْلِيمٌ لِقُرْآنٍ كَرِيمٍ: ... فَخُذْهَا مِنْ أَحَادِيثَ بِحَصْرِ

---

(1) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ عَنْ سَيِّدِنَا أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ.

(2) أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَهْ وَالْمُنْذِرِيُّ وَابْنُ خُزَيْمَةَ وَالْبَيْهَقِيُّ عَنْ سَيِّدِنَا أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ وَنَصُّهُ كَامِلاً: ﴿إِنَّ مِمَّا يَلْحَقُ الْمُؤْمِنَ مِنْ عَمَلِهِ وَحَسَنَاتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ: عِلْمًا عَلَّمَهُ وَنَشَرَهُ وَوَلَدًا صَالِحًا تَرَكَهُ وَمُصْحَفًا وَرَّثَهُ أَوْ مَسْجِدًا بَنَاهُ أَوْ بَيْتًا لِابْنِ السَّبِيلِ بَنَاهُ أَوْ نَهْرًا أَجْرَاهُ أَوْ صَدَقَةً أَخْرَجَهَا مِنْ مَالِهِ فِي صِحَّتِهِ وَحَيَاتِهِ يَلْحَقُهُ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ﴾ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ.

﴿بَابُ الْحَيَاءِ وَفَضْلِهِ﴾

﴿16﴾ ﴿اَلْحَيَاءُ أَصْلٌ لِكُلِّ فَضِيلَةٍ﴾

* قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النُّبُوَّةِ الْأُولَى: إِذَا لَمْ تَسْتَحِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ﴾[1] رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

﴿اَلشَّـرْحُ وَالْبَـيَـانُ﴾

أَرْشَدَنَا النَّبِيُّ ﷺ فِي هَذَا الْـحَدِيثِ إِلَى: أَنَّ الْحَيَاءَ هُوَ الذِي يَمْنَعُ الشَّخْصَ مِنَ الْقَبَائِحِ، وَيَصُدُّهُ عَنْ فِعْلِ مَا يَشِينُهُ، وَيَحْمِلُهُ عَلَى فِعْلِ مَا يَزِينُهُ؛

وَأَنَّ الذِي لَا حَيَاءَ عِنْدَهُ لَا يَخْجَلُ مِنْ رَذِيلَةٍ، بَلْ يُجَاهِرُ بِالْمَعَاصِي كَأَنَّهُ مَأْمُورٌ بِهَا، فَالْحَيَاءُ كَالْأَصْلِ لِكُلِّ فَضِيلَةٍ، وَالْعِمَادِ لِكُلِّ مَحْمَدَةٍ؛

فَمَنْ شَاءَ أَنْ يَكُونَ ذَا حَيَاءٍ، فَلْيَصْرِفْ أَعْضَاءَهُ فِيمَا خُلِقَتْ لِأَجْلِهِ: حَتَّى لَا تَرَى الْعَيْنُ إِلَّا مَا أَحَلَّهُ اللهُ، وَلَا يَتَكَلَّمُ اللِّسَانُ: بِالْغِيبَةِ وَالنَّمِيمَةِ وَالسَّبِّ وَالْقَذْفِ، وَلَا تَسْرِقُ الْيَدُ، وَلَا تَبْطِشُ؛ وَكَذَلِكَ الْبَطْنُ لَا يَدْخُلُ فِيهَا إِلَّا مَا أَحَلَّهُ اللهُ مِنَ الطَّعَامِ، وَالْقَلْبُ لَا يُضْمِرُ سُوءًا لِلنَّاسِ وَلَا شَرًّا لِأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ ﷺ: ﴿اِسْتَحْيُوا مِنَ اللهِ حَقَّ الْحَيَاءِ، قَالَ قُلْنَا يَا رَسُولَ اللهِ: إِنَّا نَسْتَحْيِي وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، قَالَ: لَيْسَ ذَاكَ، وَلَكِنَّ الِاسْتِحْيَاءَ مِنَ اللهِ حَقَّ الْحَيَاءِ أَنْ تَحْفَظَ الرَّأْسَ وَمَا وَعَى، وَالْبَطْنَ وَمَا حَوَى، وَلْتَذْكُرِ الْمَوْتَ وَالْبِلَى، وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ تَرَكَ زِينَةَ الدُّنْيَا، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ اسْتَحْيَا مِنَ اللهِ حَقَّ الْحَيَاءِ﴾[2]؛

وَكَانَ مِنْ نَشِيدِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ رضي الله عنه:

إِذَا مَا خَلَوْتَ الدَّهْرَ يَوْمًا فَلَا تَقُلْ خَلَوْتُ وَلَكِنْ قُلْ عَلَيَّ رَقِيبُ

---

(1) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ عَنْ سَيِّدِنَا أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه.

(2) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ، وَالتِّرْمِذِيُّ، وَالطَّبَرَانِيُّ، وَالْحَاكِمُ، وَالْبَيْهَقِيُّ وَقَالَ: صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه.

﴿ 17 ﴾ ﴿ اَلْحَثُّ عَلَى الْحَيَاءِ ﴾

* قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿ اَلْحَيَاءُ خَيْرٌ كُلُّهُ ﴾[1] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

﴿ اَلشَّرْحُ وَالْبَيَانُ ﴾

يُرْشِدُنَا هَذَا الْحَدِيثُ إِلَى: أَنَّ الْحَيَاءَ رُكْنٌ عَظِيمٌ مِنْ أَرْكَانِ الْإِيمَانِ، وَهُوَ رَأْسُ الْفَضَائِلِ، وَعِمَادُ الْمَحَامِدِ، فَإِنَّ الشَّخْصَ الذِي تُحَدِّثُهُ نَفْسُهُ بِارْتِكَابِ الْمَعَاصِي، فَيَمْنَعُهُ الْحَيَاءُ وَالْخَوْفُ مِنَ اللهِ مِنْ فِعْلِهَا، أَوْ يَسُبُّهُ شَخْصٌ فَيَمْنَعُهُ الْحَيَاءُ مِنْ رَدِّ سَبِّهِ، أَوْ يَطْلُبُ مِنْهُ شَخْصٌ شَيْئًا فَيَمْنَعُهُ حَيَاؤُهُ مِنْ أَنْ يَحْرِمَهُ وَيَرُدَّهُ خَائِبًا،

وَالشَّخْصُ الذِي فِي نَفْسِهِ هَذِهِ الْآثَارُ الْحَمِيدَةُ وَالْأَعْمَالُ الْمَجِيدَةُ، يَكُونُ مُتَّصِفًا بِأَحْسَنِ صِفَةٍ مِنَ الصِّفَاتِ التِي حَثَّ عَلَيْهَا الرَّسُولُ ﷺ وَجَعَلَهَا شُعْبَةً مِنْ شُعَبِ الْإِيمَانِ فَقَالَ: ﴿ اَلْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ ﴾[2]؛ إِنَّكَ تَرَى صَاحِبَ الْحَيَاءِ لَا يَفْسُقُ، وَلَا يَسْرِقُ، وَلَا يُؤْذِي بِيَدِهِ وَلَا بِلِسَانِهِ، بِخِلَافِ الشَّخْصِ الذِي لَا حَيَاءَ فِيهِ، فَإِنَّكَ تَرَاهُ يُجَاهِرُ بِالْمَعْصِيَةِ، وَيَعْتَدِي عَلَى النَّاسِ؛

* وَلَيْسَ مِنَ الْحَيَاءِ أَنْ تَسْكُتَ عَلَى شَخْصٍ يَرْتَكِبُ إِثْمًا أَوْ يَفْعَلُ مَعْصِيَةً، وَأَنْتَ تَرَاهُ وَلَا تَنْهَاهُ، وَكَذَلِكَ لَيْسَ مِنَ الْحَيَاءِ أَنْ تَتْرُكَ السُّؤَالَ عَنْ مَسْأَلَةٍ فِي الدِّينِ خَفِيَتْ عَلَيْكَ، خَجَلاً مِنْ إِخْوَانِكَ، فَإِنَّهُ لَا حَيَاءَ فِي الدِّينِ.

﴿ بَابُ الْخَوْفِ مِنَ اللهِ ﴾

﴿ 18 ﴾ ﴿ اَلْفَرْقُ بَيْنَ الْمُؤْمِنِ وَالْفَاجِرِ ﴾

* قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿ إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَأَنَّهُ قَاعِدٌ تَحْتَ جَبَلٍ يَخَافُ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ، وَإِنَّ الْفَاجِرَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَذُبَابٍ مَرَّ عَلَى أَنْفِهِ، فَقَالَ بِهِ هَكَذَا ـ أَيْ

---

(1) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ عَنْ سَيِّدِنَا عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رضي الله عنه.
(2) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ عَنْ سَيِّدِنَا أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه.

بِيَدِهِ ـ فَذَبَّهُ عَنْهُ ﴾[1] رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

﴿ اَلشَّـرْحُ وَالْبَـيَـانُ ﴾

يُرْشِدُنَا هَذَا الْحَدِيثُ إِلَى:

أَنَّ الْمُؤْمِنَ: يَتَّقِي اللهَ وَيَخْشَى بَأْسَهُ، وَلَا يَأْمَنُ عُقُوبَتَهُ، بِسَبَبِ ذُنُوبِهِ، فَتَرَاهُ دَائِمَ الْخَوْفِ، يَذْكُرُ اللهَ، وَيَنْظُرُ إِلَى نِعَمِهِ الْجَلِيلَةِ الَّتِي تَفَضَّلَ بِهَا عَلَيْهِ، فَحِينَئِذٍ يَسْتَصْغِرُ عَمَلَهُ الصَّالِحَ، وَيَخَافُ مِنَ الذُّنُوبِ؛

وَأَمَّا الْفَاجِرُ الْفَاسِقُ: فَيَطْمِسُ اللهُ عَلَى بَصِيرَتِهِ، فَيَفْعَلُ الْمَعَاصِيَ وَلَا يُبَالِي بِهَا، وَيَرَاهَا شَيْئًا تَافِهًا، يَمْحُوهُ أَقَلُّ الْأَشْيَاءِ كَمَا يَطْرُدُ الذُّبَابَ عَلَى أَنْفِهِ بِيَدِهِ، وَإِنَّكَ تَرَى فِي هَذَا الْعَصْرِ مَنْ يَرْتَكِبُ الْمَعَاصِيَ جِهَارًا، وَيَعُدُّ هَذَا مِنَ التَّطَوُّرِ الْحَدِيثِ وَالْمَدَنِيَّةِ، وَبِئْسَ مَا يَفْعَلُونَ؛

فَالْوَرِعُ الصَّالِحُ هُوَ مَنِ اتَّقَى اللهَ وَخَافَ ذُنُوبَهُ وَإِنْ قَلَّتْ؛

فَاللهُ لَا تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ، يَرَى دَبِيبَ النَّمْلَةِ فِي اللَّيْلَةِ الظَّلْمَاءِ.

﴿ بَـابُ الاِقْتِصَادِ وَالْإِسْرَافِ ﴾

﴿ 19 ﴾ ﴿ اَلاِقْتِصَادُ فِي الْأَكْلِ وَالشَّرَابِ ﴾

* قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا وَالْبَسُوا وَتَصَدَّقُوا فِي غَيْرِ إِسْرَافٍ وَلَا مَخِيلَةٍ ﴾[2] رَوَاهُ النَّسَائِيُّ وَابْنُ مَاجَهْ.

﴿ اَلشَّـرْحُ وَالْبَـيَـانُ ﴾

اَلْإِسْرَافُ: مُجَاوَزَةُ الْحَدِّ الْمُعْتَدِلِ.

اَلْمَخِيلَةُ: اَلْخُيَلَاءُ وَالْكِبْرُ.

---

(1) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ عَنْ سَيِّدِنَا عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه.

(2) أَخْرَجَاهُ عَنْ سَيِّدِنَا عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ رضي الله عنهم.

فِي هَذَا الْحَدِيثِ أَمَرَ الرَّسُولُ ﷺ جَمَاعَةَ الْمُؤْمِنِينَ: أَنْ يَأْكُلُوا وَيَشْرَبُوا، وَيَلْبَسُوا مَا أَحَلَّهُ اللهُ مِنْ أَنْوَاعِ الْمَأْكُولِ وَالْمَلْبُوسِ، مَعَ تَجَنُّبِ الْإِسْرَافِ وَالْعُجْبِ؛

فَلَا حَرَجَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذَا أَكَلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللهُ لَهُمْ وَإِنْ كَانَ لَذِيذًا، مَا دَامُوا غَيْرَ مُسْرِفِينَ، وَلَا مُعْجَبِينَ بِفِعْلِهِمْ؛ وَكَذَلِكَ لَا حَرَجَ عَلَيْهِمْ إِذَا لَبِسُوا مِنَ الْمَلَابِسِ مَا حَسُنَ وَمَا نَظُفَ، مَا دَامُوا غَيْرَ مُبَذِّرِينَ فِي ثَمَنِهَا؛

وَذِكْرُ الصَّدَقَةِ مَعَ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ، دَلِيلٌ قَوِيٌّ عَلَى ذَمِّ الْإِسْرَافِ وَالْمَخِيلَةِ فِي كُلِّ الْأَحْوَالِ، حَتَّى فِي حَالَةِ الصَّدَقَةِ؛

عَلَى أَنَّ الْقُرْآنَ قَدْ ذَمَّ الْإِسْرَافَ وَالْعُجْبَ، وَكَفَى بِذَمِّهِ رَادِعًا وَزَاجِرًا فَقَالَ: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ (الأعراف: ٣١) وَقَالَ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ (لقمان: ١٨).

﴿20﴾ ﴿شَرُّ وِعَاءٍ يُمْلَأُ﴾

* قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا مَلَأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ، بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أُكُلَاتٍ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ: فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ، وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ، وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ»[1] أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَهْ.

﴿اَلشَّرْحُ وَالْبَيَانُ﴾

اَلصُّلْبُ: الظَّهْرُ.

وَمَعْنَى يُقِمْنَ: يَحْفَظْنَ عَلَيْهِ قُوَّتَهُ.

نَأْخُذُ مِنَ هَذَا الْحَدِيثِ: أَنَّ شَرَّ وِعَاءٍ يَمْلَؤُهُ الْإِنْسَانُ، هُوَ مَعِدَتُهُ إِذَا مَلَأَهَا بِالطَّعَامِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ يَكُونُ سَبَبًا لِلتُّخْمَةِ، وَالتُّخْمَةُ سَبَبٌ لِلْمَرَضِ وَالْهَلَاكِ؛

وَقَلِيلٌ مِنَ الطَّعَامِ يَكْفِي فِي حِفْظِ صِحَّةِ الْإِنْسَانِ، لِأَنَّهُ قَدْ ثَبَتَ أَنَّ الْجِسْمَ لَا يَسْتَفِيدُ مِنْ كَثْرَةِ الْمَقَادِيرِ الْغِذَائِيَّةِ الَّتِي يَأْكُلُهَا ابْنُ آدَمَ، بَلْ يَأْخُذُ حَاجَاتِهِ مِنْهَا

---

(١) أَخْرَجَاهُ عَنْ سَيِّدِنَا الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ ﷺ.

وَيَتْرُكُ الْبَاقِيَ فِي الْجِهَازِ الْهَضْمِيِّ يُؤَثِّرُ فِيهِ أَسْوَأَ التَّأْثِيرِ، فَإِذَا كَانَ لَا بُدَّ مِنَ الزِّيَادَةِ، فَلْيَجْعَلْ هَذَا الْحَدِيثَ الشَّرِيفَ نُصْبَ عَيْنَيْهِ فِي حَيَاتِهِ.

﴿بَابُ الْحَثِّ عَلَى الْأَكْلِ مِنْ عَمَلِ الْيَدِ﴾

﴿21﴾ ﴿اَلْحَثُّ عَلَى الْعَمَلِ وَلَوْ كَانَ شَاقًّا﴾

* قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ فَيَأْتِيَ بِحُزْمَةِ الْحَطَبِ عَلَى ظَهْرِهِ فَيَبِيعَهَا فَيَكُفَّ اللهُ بِهَا وَجْهَهُ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ أَعْطَوْهُ أَوْ مَنَعُوهُ﴾[1] رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

﴿اَلشَّرْحُ وَالْبَيَانُ﴾

* سَبَبُ صُدُورِ هَذَا الْحَدِيثِ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ: أَنَّهُ شَكَا رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ شِدَّةَ الْفَقْرِ، فَقَالَ لَهُ: أَمَا عِنْدَكَ شَيْءٌ ؟ قَالَ: لَا، فَأَعْطَاهُ دِرْهَمَيْنِ وَقَالَ لَهُ: اِذْهَبْ فَاشْتَرِ بِأَحَدِهِمَا طَعَامًا، وَبِالْآخَرِ فَأْسًا وَاحْتَطِبْ وَبِعْ، فَغَابَ الرَّجُلُ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا ثُمَّ أَتَى فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، بَارَكَ اللهُ فِيمَا أَمَرْتَنِي بِهِ، اِكْتَسَبْتُ عَشَرَةَ دَرَاهِمَ، فَاشْتَرَيْتُ لِأَهْلِي بِخَمْسَةٍ طَعَامًا وَبِخَمْسَةٍ كُسْوَةً، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: هَذَا خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْمَسْأَلَةِ. فَهَذَا الْحَدِيثُ يُشَجِّعُنَا عَلَى الْعَمَلِ، وَيَحُثُّنَا عَلَى اكْتِسَابِ الْمَعِيشَةِ أَيًّا كَانَ نَوْعُهَا، وَلَوْ مِنَ الْمِهَنِ الصَّغِيرَةِ، كَأَنْ يَأْخُذَ الْمُحْتَاجُ حَبْلَهُ وَيَتَجَوَّلَ فِي الصَّحَارِي فَيَجْمَعَ الْحَطَبَ وَيَبِيعَهُ، لِيَسْتَغْنِيَ بِثَمَنِهِ عَنْ سُؤَالِ النَّاسِ.

﴿22﴾ ﴿مَا هُوَ أَهْنَأُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ الْإِنْسَانُ﴾

* قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ﴾[2] رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

---

(1) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ عَنْ سَيِّدِنَا الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(2) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ عَنْ سَيِّدِنَا الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

﴿اَلشَّـرْحُ وَالْبَـيَانُ﴾

يُرْشِدُنَا هَذَا الْحَدِيثُ إِلَى: أَنَّ أَهْنَأَ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ الْإِنْسَانُ هُوَ الطَّعَامُ الَّذِي يَحْصُلُ عَلَيْهِ بِعَرَقِ جَبِينِهِ، وَكَانَ دَاوُدُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَشْتَغِلُ فِي صُنْعِ الدُّرُوعِ وَيَأْكُلُ مِنْ كَسْبِ يَدِهِ؛

فَالْحَدِيثُ يَرْمِي إِلَى أَشْرَفِ الْأَغْرَاضِ، مِنْ حَيْثُ السَّعْيُ عَلَى الْمَعَاشِ، وَطَلَبِ الرِّزْقِ، وَلَا يَنْبَغِي لِلْمَرْءِ أَنْ يَرْضَى بِأَنْ يَكُونَ عَالَةً عَلَى الْمُجْتَمَعِ يَتَكَفَّفُ النَّاسَ، بَلْ يَشْتَغِلُ وَيَعْمَلُ، قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: {**إِنِّي أَرَى الشَّابَّ فَيُعْجِبُنِي فَأَقُولُ: هَلْ يَشْتَغِلُ وَيَعْمَلُ؟ فَيُقَالُ: لَا، فَيَسْقُطُ مِنْ عَيْنِي**}؛

وَكَانَ لِأَبِي الْأَسْوَدِ الدُّؤَلِيِّ ابْنٌ لَا يَعْمَلُ، فَعَاتَبَهُ أَبُوهُ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ: إِنْ كَانَ لِي رِزْقٌ فَسَيَأْتِينِي، فَقَالَ أَبُو الْأَسْوَدِ:

وَمَا طَلَبُ الْمَعِيشَةِ فِي التَّمَنِّي ... وَلَكِنْ أَلْقِ دَلْوَكَ فِي الدِّلَاءِ

تَجِيءُ بِمِثْلِهَا طَوْرًا وَطَوْرًا ... تَجِيءُ بِحَمْأَةٍ وَقَلِيلِ مَاءِ

أَرْشَدَ أَبُو الْأَسْوَدِ ابْنَهُ إِلَى أَنَّ الْمَعِيشَةَ لَا تَكُونُ بِالتَّمَنِّي، وَإِنَّمَا تَكُونُ بِإِلْقَاءِ الدَّلْوِ بَيْنَ الدِّلَاءِ، وَهُوَ كِنَايَةٌ عَنِ الدُّخُولِ فِي الْأَعْمَالِ الْعَظِيمَةِ، فَطَوْرًا يَكْسِبُ الْمَرْءُ كَثِيرًا، وَطَوْرًا قَلِيلاً.

﴿بَابُ الْقَنَاعَةِ وَتَأْدِيَةِ الْمَأْمُورَاتِ﴾

﴿23﴾ ﴿اَلْحَثُّ عَلَى الْقَنَاعَةِ﴾

* قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿**أَدِّ مَا افْتَرَضَ اللهُ عَلَيْكَ تَكُنْ مِنْ أَعْبَدِ النَّاسِ، وَاجْتَنِبْ مَا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْكَ تَكُنْ مِنْ أَوْرَعِ النَّاسِ، وَارْضَ بِمَا قَسَمَ اللهُ لَكَ تَكُنْ مِنْ أَغْنَى النَّاسِ**﴾[1] رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ.

﴿اَلشَّـرْحُ وَالْبَـيَانُ﴾

---

(1) بَلْ أَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي شُعَبِ الْإِيمَانِ عَنْ سَيِّدِنَا ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

بَيَّنَ لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي هَذَا الْحَدِيثِ: أَنَّ الذِي يُؤَدِّي مَا أَمَرَهُ اللهُ بِهِ: كَالصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ وَالزَّكَاةِ، يَكُونُ مِنْ أَتْقَى النَّاسِ عِنْدَ اللهِ، لِأَنَّ هَذِهِ الْمَأْمُورَاتِ تُكَمِّلُ أَخْلَاقَ الْإِنْسَانِ؛

وَأَنَّ الذِي يَتْرُكُ مَا حَرَّمَهُ اللهُ عَلَيْهِ: يَكُونُ مِنْ أَزْهَدِ النَّاسِ؛

وَالذِي يَرْضَى بِمَا أَعْطَاهُ اللهُ: يَكُونُ مِنْ أَغْنَى النَّاسِ، لِأَنَّ الْغِنَى الْحَقِيقِيَّ الذِي فِيهِ رَاحَةُ الْجِسْمِ وَالْقَلْبِ هُوَ غِنَى النَّفْسِ وَرِضَاهَا بِمَا قَسَمَ اللهُ لَهَا، فَإِذَا تَيَسَّرَ لِلْإِنْسَانِ ثَوْبٌ يَسْتُرُ عَوْرَتَهُ، وَبَيْتٌ يَسْكُنُهُ، وَخُبْزٌ يُقَوِّتُهُ، وَمَاءٌ يُرْوِيهِ، فَلَا حَقَّ لَهُ فِي طَلَبِ سِوَاهَا، فَإِنَّ فِيهَا كَرَامَةً إِلَى الْمَمَاتِ، وَمَا عَلَيْهِ إِلَّا أَنْ يَحْمَدَ اللهَ وَيَشْكُرَهُ، وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ الْقَائِلِ:

خُبْزٌ وَمَاءٌ وَظِلٌّ هُوَ النَّعِيمُ الْأَجَلُّ
جَحَدْتُ نِعْمَةَ رَبِّي إِنْ قُلْتُ إِنِّي مُقِلُّ

﴿24﴾ ﴿اَلنَّظَرُ لِمَنْ هُوَ أَسْفَلُ﴾

* قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿انْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْكُمْ، وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ، فَهُوَ أَجْدَرُ أَنْ لَا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ﴾[1] رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

﴿اَلشَّرْحُ وَالْبَيَانُ﴾

اَلِازْدِرَاءُ: اَلِاحْتِقَارُ وَالِانْتِقَاصُ، يُقَالُ: اِزْدَرَيْتُ بِهِ إِذَا انْتَقَصْتُهُ.

إِنَّ النَّظَرَ الذِي يُورِثُنَا الْقَنَاعَةَ، وَيَمْلَأُ نُفُوسَنَا بِالرِّضَا، هُوَ أَنْ نَنْظُرَ إِلَى مَنْ هُوَ دُونَنَا فِي أَعْرَاضِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا دُونَ مَنْ هُوَ فَوْقَنَا، لِأَنَّ ذَلِكَ يَدْعُو إِلَى الِاعْتِرَافِ بِنِعْمَةِ اللَّهِ عَلَيْنَا، فَالْعَاقِلُ يَنْظُرُ لِلْمُبْتَلَى بِالْأَسْقَامِ فَيَسْتَعْظِمُ نِعَمَ اللَّهِ عَلَيْهِ، فَيَلْهَجُ بِشُكْرِهِ، وَيَرْضَى بِمَعِيشَتِهِ، فَيَسْعَدُ فِي الدَّارَيْنِ؛ أَمَّا إِذَا قَصَرَ نَظَرَهُ عَلَى مَنْ عَلَاهُ، فَهُنَاكَ الْحَسَدُ وَالْغَمُّ، وَهُنَاكَ التَّقْصِيرُ فِي شُكْرِ اللهِ؛

(1) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَنْ سَيِّدِنَا أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ وَاللَّفْظُ لِمُسْلِمٍ.

أَمَّا النَّظَرُ إِلَى مَنْ فَوْقَهُ فِي الْعِلْمِ، وَالْأَعْمَالِ الطَّيِّبَةِ، فَهُوَ نَظَرٌ مَحْمُودٌ، يَدْعُو إِلَى التَّرَقِّي فِي مَدَارِجِ الْكَمَالِ، وَفِي هَذَا الْمَعْنَى قَوْلُ الشَّاعِرِ:

مَنْ رَامَ عَيْشًا رَغِيدًا يَسْتَفِيدُ بِهِ   فِي دِينِهِ، ثُمَّ فِي دُنْيَاهُ إِقْبَالَا
فَلْيَنْظُرَنْ إِلَى مَنْ فَوْقَهُ أَدَبًا   وَلْيَنْظُرَنْ إِلَى مَنْ تَحْتَهُ مَالَا

﴿ بَابُ النَّصِيحَةِ ﴾

﴿ 25 ﴾ ﴿ اَلنَّصِيحَةُ وَلِمَنْ تَكُونُ ؟ ﴾

* قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿الدِّينُ النَّصِيحَةُ، قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: لِلَّهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَعَامَّتِهِمْ﴾[1] رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَالتِّرْمِذِيُّ.

﴿ اَلشَّرْحُ وَالْبَيَانُ ﴾

اَلنَّصِيحَةُ: كَلِمَةٌ جَامِعَةٌ، مَعْنَاهَا حِيَازَةُ الْخَيْرِ لِلْمَنْصُوحِ لَهُ.

هَذَا الْحَدِيثُ يَدُلُّ عَلَى: أَنَّ النَّصِيحَةَ تُسَمَّى دِينًا وَإِسْلَامًا، وَهِيَ فَرْضُ كِفَايَةٍ عَلَى مَنْ هُوَ أَهْلٌ لَهَا، وَهِيَ عِمَادُ الدِّينِ وَقِوَامُهُ؛

فَالنَّصِيحَةُ لِلهِ: اَلْإِيمَانُ بِهِ، وَنَفْيُ الشَّرِيكِ عِنْهُ، وَتَنْزِيهُهُ عَنْ جَمِيعِ النَّقَائِصِ، وَالْقِيَامُ بِطَاعَتِهِ، وَاجْتِنَابُ مَعْصِيَتِهِ، وَالِاعْتِرَافُ بِنِعَمِهِ، وَشُكْرُهُ عَلَيْهَا؛

وَالنَّصِيحَةُ لِكِتَابِهِ: اَلْإِيمَانُ بِأَنَّهُ كَلَامُهُ تَعَالَى، ثُمَّ تَعْظِيمُهُ، وَالِاهْتِدَاءُ بِمَا فِيهِ، وَالِاعْتِنَاءُ بِمَوَاعِظِهِ، وَالتَّفَكُّرُ فِي عَجَائِبِهِ..إِلَخ؛

وَالنَّصِيحَةُ لِرَسُولِهِ: تَصْدِيقُهُ فِي جَمِيعِ مَا جَاءَ بِهِ؛

وَالنَّصِيحَةُ لِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ: إِعَانَتُهُمْ عَلَى الْحَقِّ، وَتَذْكِيرُهُمْ بِرِفْقٍ وَلُطْفٍ، وَالْمُرَادُ بِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ: قَادَتُهُمْ فَيَدْخُلُ فِي ذَلِكَ: اَلْمُلُوكُ، وَالْأُمَرَاءُ، وَالرُّؤَسَاءُ، وَالْعُلَمَاءُ؛ وَالنَّصِيحَةُ لِعَامَّةِ الْمُسْلِمِينَ تَعْلِيمُهُمْ مَا جَهِلُوهُ وَأَمْرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْيُهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ.

---

(1) عَنْ سَيِّدِنَا تَمِيمِ بْنِ أَوْسٍ الدَّارِيِّ ﷺ وَاللَّفْظُ لِمُسْلِمٍ.

﴿بَابُ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾

﴿26﴾ ﴿مُحَارَبَةُ الْمُنْكَرِ﴾

* قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ﴾[1] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

﴿اَلشَّرْحُ وَالْبَيَانُ﴾

هَذَا الْحَدِيثُ يُحَتِّمُ: عَلَى كُلِّ فَرْدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَرَى رَذِيلَةً مِنَ الرَّذَائِلِ، أَنْ يُزِيلَهَا بِكُلِّ مَا يُمْكِنُهُ مِنْ فِعْلٍ أَوْ قَوْلٍ، فَإِذَا عَجَزَ فَعَلَيْهِ أَنْ يُنْكِرَهَا بِقَلْبِهِ وَلَا يَرْضَى بِهَا عَلَى أَيَّةِ حَالٍ؛

* وَيُؤْخَذُ مِنْ هَذَا: أَنَّ مَرَاتِبَ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ ثَلَاثٌ: اِسْتِعْمَالُ الْيَدِ، اِسْتِعْمَالُ اللِّسَانِ، عَدَمُ الرِّضَى بِالْقَلْبِ.

فَأَمَّا اسْتِعْمَالُ الْيَدِ: فَإِنَّهُ يُشْتَرَطُ فِيهِ أَنْ يَكُونَ مَعَ مَنْ يَمْلِكُ أَمْرَهُ، بِحَيْثُ لَا يَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ إِثَارَةُ فِتْنَةٍ؛

وَأَمَّا اسْتِعْمَالُ اللِّسَانِ: فَبِالْعِظَاتِ الْمُؤَثِّرَةِ، وَبَيَانِ مَا يَتَرَتَّبُ عَلَى ارْتِكَابِ الشَّهَوَاتِ الْفَاسِدَةِ مِنَ الْمَضَارِّ، اَلْمَادِّيَّةِ وَالْأَدَبِيَّةِ؛

فَإِذَا خَافَ عَلَى نَفْسِهِ: فَعَلَيْهِ الْإِسْتِنْكَارُ بِالْقَلْبِ.

وَلَقَدْ ذَمَّ اللهُ قَوْمًا كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ حِينَ قَالَ: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (المائدة: ٧٨-٧٩)؛

وَمَدَحَ الْآمِرِينَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهِينَ عَنِ الْمُنْكَرِ فَقَالَ: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ (آل عمران: ١١٠)؛ وَلَا رَيْبَ أَنَّ آثَارَ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ لَا تَزَالُ ظَاهِرَةً مَلْمُوسَةً، فَإِنَّ الْفَاجِرَ الَّذِي

---

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ عَنْ سَيِّدِنَا أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه.

تَنْطَوِي نَفْسُهُ عَلَى الشَّرِّ، لَا بُدَّ أَنْ: يَجْبُنَ عَنِ ارْتِكَابِ جَرِيمَتِهِ إِذَا خَشِيَ مِنَ النَّاسِ الذِينَ يُحِيطُونَ بِهِ، وَيَنْكَمِشَ إِذَا تَنَكَّرُوا لَهُ؛ بَلْ يَظْهَرُ بِمَظْهَرِ الصَّالِحِ إِذَا أَحَسَّ بِإِهَانَةٍ تَلْحَقُهُ، وَبِذَلِكَ تَمُوتُ الْجَرِيمَةُ فِي نَفْسِهِ؛

فَالْعَاقِلُ لَا يَيْأَسُ مِنَ الْإِصْلَاحِ الْمُتَرَتِّبِ عَلَى جِهَادِهِ مَهْمَا لَاقَى فِي سَبِيلِ ذَلِكَ مِنَ الْإِعْرَاضِ، لِأَنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ لَا بُدَّ أَنْ يَنْفَعَ عَلَى تَوَالِي الزَّمَنِ وَمَرِّ الدُّهُورِ.

﴿27﴾ ﴿اَلدَّعْوَةُ إِلَى الْخَيْرِ﴾

* قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ دَعَا إِلَى هُدىً، كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا؛ وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا»[1] رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَأَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ.

﴿اَلشَّرْحُ وَالْبَيَانُ﴾

لَا شَكَّ أَنَّ الدَّعْوَةَ إِلَى الْخَيْرِ فِيهَا سَعَادَةُ النَّاسِ وَرُقِيُّهُمْ، فَإِنَّ مَنْ يَقُومُ بِذَلِكَ: قَوْلاً وَعَمَلاً، يَكُونُ لَهُ مِنَ: الْجَزَاءِ وَالْأَجْرِ وَالثَّوَابِ مِثْلُ جَزَاءِ مَنِ اتَّبَعُوهُ، لِأَنَّهُ الْأَصْلُ فِي هِدَايَتِهِمْ وَإِرْشَادِهِمْ، وَلَوْلَاهُ لَعَاشُوا فِي ضَلَالِهِمْ، وَاسْتَمَرُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ؛

وَالدَّعْوَةُ إِلَى الضَّلَالِ تُؤَدِّي إِلَى إِضْعَافِ الْأُمَّةِ وَهَدْمِ كِيَانِهَا، فَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ، بِأَنْ أَرْشَدَ النَّاسَ إِلَيْهَا، قَوْلاً أَوْ فِعْلاً، فَعَلَيْهِ ذَنْبٌ عَظِيمٌ يُعَادِلُ ذَنْبَهُمْ جَمِيعًا، لِأَنَّهُ هُوَ الذِي قَادَهُمْ إِلَى الْإِثْمِ، وَجَرَّهُمْ إِلَى ذَلِكَ الْفَسَادِ، وَفَتَحَ لَهُمْ بَابَ الشَّرِّ، فَهُوَ سَبَبُ بَلَائِهِمْ، وَأَصْلُ شَقَائِهِمْ، فَلَا بُدَّ أَنْ يَلْقَى جَزَاءَ عَمَلِهِ.

---

(1) اَلْحَدِيثُ عَنْ سَيِّدِنَا أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه.

﴿ 28 ﴾ ﴿ اَلْآدَابُ فِي الطُّرُقَاتِ ﴾

* قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ فِي الطُّرُقَاتِ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ مَا لَنَا مِنْ مَجَالِسِنَا بُدٌّ، نَتَحَدَّثُ فِيهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلَّا الْمَجْلِسَ فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ، قَالُوا: وَمَا حَقُّ الطَّرِيقِ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: غَضُّ الْبَصَرِ، وَكَفُّ الْأَذَى، وَرَدُّ السَّلَامِ، وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾[1] رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

﴿ اَلشَّرْحُ وَالْبَيَانُ ﴾

نَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنِ الْجُلُوسِ فِي الطُّرُقَاتِ: لِأَنَّهَا لَمْ تُجْعَلْ لِلْجُلُوسِ فِيهَا، وَإِنَّمَا جُعِلَتْ مَمَرًّا يَسْلُكُهُ الْغَادُونَ وَالرَّائِحُونَ إِلَى مَصَالِحِهِمْ، وَهَذَا هُوَ الْغَرَضُ مِنْ إِنْشَاءِ الطُّرُقِ، فَاتِّخَاذُهَا لِغَيْرِ الْغَرَضِ الْأَصْلِيِّ مِنْهَا كَمَا هُوَ مُشَاهَدٌ فِي طُرُقِ الْقُرَى وَالْأَمْصَارِ، حَيْثُ تُنْشَأُ الْمَقَاهِي عَلَى قَوَارِعِ الطَّرِيقِ وَتُؤَدِّي إِلَى إِفْسَادٍ عَظِيمٍ، لِأَنَّهُ كَثِيرًا مَا يُعَرِّضُ الْمَارَّةَ لِسَفَاهَةِ بَعْضِ الْجَاهِلِينَ، وَيُعَرِّضُ النِّسَاءَ لِغَمْزِ عُيُونِهِمْ؛

فَإِذَا كَانَ وَلَا بُدَّ مِنَ الْجُلُوسِ، فَإِنَّهُ يَجِبُ عَلَى الْجَالِسِينَ أَنْ يُحَافِظُوا عَلَى هَذِهِ الْآدَابِ، الَّتِي بَيَّنَهَا لَنَا صَاحِبُ الشَّرْعِ فِي هَذَا الْحَدِيثِ وَهِيَ خَمْسَةٌ:

اَلْأَوَّلُ ـ غَضُّ الْبَصَرِ: فَلَا يَحِلُّ لِمَنْ يَجْلِسُ فِي طَرِيقٍ عَامٍّ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى مَنْ تَمُرُّ فِيهِ مِنَ النِّسَاءِ، لِأَنَّ ذَلِكَ رُبَّمَا أَوْغَرَ صَدْرَ زَوْجِهَا عَلَيْهِ، فَيُؤَدِّي إِلَى وُقُوعِ النِّزَاعِ، وَرُبَّمَا كَانَتْ تِلْكَ النَّظْرَةُ سَبَبًا فِي وُقُوعِ صَاحِبِهَا فِي شِرَاكِ الْهَوَى، فَلَا يَسْتَطِيعُ مِنْهَا خَلَاصًا، "**وَرُبَّ نَظْرَةٍ جَلَبَتْ حَسْرَةً**"؛

اَلثَّانِي ـ كَفُّ الْأَذَى وَمَنْعُ الضَّرَرِ عَلَى الْمَارِّينَ: سَوَاءٌ أَكَانَ ذَلِكَ الضَّرَرُ **بِالْقَوْلِ**: كَأَنْ يَسُبَّهُمْ أَوْ يَسْتَهْزِئَ بِهِمْ، **أَمْ بِالْفِعْلِ**: كَأَنْ يُؤْذِيَهُمْ بِيَدِهِ، أَوْ يُشِيرَ إِلَيْهِمْ بِإِشَارَةِ الْهُزْءِ وَالسُّخْرِيَةِ، وَلَا يَخْفَى مَا يَتَرَتَّبُ عَلَى كَفِّ الْأَذَى مِنْ صَوْنِ الْأَمْنِ، وَحِفْظِ النِّظَامِ.

---

(1) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَنْ سَيِّدِنَا أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه.

اَلثَّالِثُ - رَدُّ السَّلَامِ: وَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ بِأَحْسَنَ مِمَّا يَقُولُهُ مَنْ أَلْقَى إِلَيْكَ السَّلَامَ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴾ (النساء: ٨٦)، فَإِذَا قَالَ الْمُسْلِمُ: "اَلسَّلَامُ عَلَيْكُمْ"، فَقُلْ: "وَعَلَيْكُمُ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللهِ"

اَلرَّابِعُ - اَلْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ: وَهُوَ النَّافِعُ الذِي يَرْضَاهُ اللهُ.

اَلْخَامِسُ - اَلنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ: الذِي يُبْغِضُهُ اللهُ.

تِلْكَ هِيَ حُقُوقُ الطَّرِيقِ، التِي يَجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ أَنْ يُحَافِظُوا عَلَيْهَا، حَتَّى يَظْهَرُوا بِمَظْهَرِ الْكَرَامَةِ؛

فَحَافِظْ يَا بُنَيَّ عَلَى هَذِهِ الْآدَابِ، وَكُنْ بِأَعْمَالِكَ الطَّيِّبَةِ مَثَلًا عَالِيًا لِلْكَمَالَاتِ.

﴿ بَابُ النَّهْيِ عَنِ الظُّلْمِ وَالْكَذِبِ ﴾

﴿ 29 ﴾ ﴿ اَلرَّشْوَةُ وَأَثَرُهَا ﴾

* قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿ لَعَنَ اللهُ الرَّاشِيَ وَالْمُرْتَشِيَ وَالرَّائِشَ الَّذِي بَيْنَهُمَا ﴾[1] رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ.

﴿ اَلشَّرْحُ وَالْبَيَانُ ﴾

اَلرَّشْوَةُ: هُوَ مَا يُعْطَى لِلْحَاكِمِ مِنَ الْمَالِ وَنَحْوِهِ لِيَحْكُمَ بِغَيْرِ الْحَقِّ.

وَالرَّاشِي: هُوَ مَنْ يُعْطِي الرَّشْوَةَ.

وَالْمُرْتَشِي: هُوَ مَنْ يَأْخُذُهَا.

وَالرَّائِشُ: هُوَ الْوَسِيطُ الذِي يَسْعَى إِلَيْهَا.

وَالرَّشْوَةُ جَرِيمَةٌ حَرَّمَهَا اللهُ وَالدِّينُ، وَأَخْبَرَ أَنَّهَا مِنَ الْكَبَائِرِ، لِمَا يَنْشَأُ عَنْهَا مِنَ الْمَضَارِّ: لِأَنَّ الرَّاشِيَ بِإِعْطَائِهِ تِلْكَ الدُّرَيْهِمَاتِ لِلْمُرْتَشِي، يَقْتُلُ رُوحَ الْحَقِّ، وَيَفْتَحُ بَابَ الطَّمَعِ عَلَى مِصْرَاعَيْهِ؛ وَالْمُرْتَشِي بِأَكْلِهِ ذَلِكَ السُّحْتَ، يَمْتَصُّ دِمَاءَ النَّاسِ،

(١) اَلْحَدِيثُ عَنْ سَيِّدِنَا ثَوْبَانَ رضي الله عنه.

وَيَطْمِسُ الْحَقَّ؛ وَأَمَّا الرَّائِشُ وَهُوَ الذِي يَمْشِي بَيْنَ الطَّرَفَيْنِ، فَهُوَ شَرِيكٌ فِي الْجَرِيمَةِ، لِأَنَّهُ أَعَانَ ظَالِمًا عَلَى ظُلْمِهِ، وَمَنْ أَعَانَ ظَالِمًا سَلَّطَهُ اللهُ عَلَيْهِ.

إِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى سَمَّى الرِّشْوَةَ سُحْتًا فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ، وَبَيَّنَ لَنَا أَنَّ مِمَّا فَرَّقَ شَمْلَ الْيَهُودِ وَقَضَى عَلَى جَمَاعَتِهِمْ أَكْلَهُمُ الرِّشْوَةَ، وَمَيْلَهُمْ فِي أَحْكَامِهِمْ عَنِ الْعَدْلِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا ﴾ (المائدة: ٤٢)؛ إِنَّ الْأُمَمَ التِي صَلُحَتْ قُلُوبُهَا، هِيَ التِي تَنْبُتُ الْعَدَالَةُ فِيهَا نَبَاتًا حَسَنًا، فَتَكُونُ السَّعَادَةُ عِنْدَهُمْ مَوْفُورَةً، وَالْأَفْرَادُ فِيهَا يَكُونُونَ مُطْمَئِنِّينَ عَلَى: أَرْوَاحِهِمْ، وَأَمْوَالِهِمْ، وَأَعْرَاضِهِمْ، لِذَلِكَ نَرَى الْعَدَالَةَ وَالرِّشْوَةَ لَا تَجْتَمِعَانِ تَحْتَ سَقْفٍ وَاحِدٍ.

﴿ 30 ﴾ ﴿ اَلْأَيْمَانُ الْكَاذِبَةُ ﴾

* قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿مَنِ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ، فَقَدْ أَوْجَبَ اللهُ لَهُ النَّارَ، وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ﴾[1] رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

﴿ اَلشَّرْحُ وَالْبَيَانُ ﴾

مَنْ حَلَفَ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَاذِبٌ، يُرِيدُ جُحُودَ الْحَقِّ، وَأَخْذَ أَمْوَالِ النَّاسِ ظُلْمًا وَطَمَعًا، لَقِيَ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ، ثُمَّ يَنْتَقِمُ مِنْهُ وَيُعَاقِبُهُ أَشَدَّ الْعِقَابِ، عَنْ أَخْذِ أَمْوَالِ النَّاسِ ظُلْمًا بِهَذِهِ الْيَمِينِ الْفَاجِرَةِ الْكَاذِبَةِ، وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَيُدْخِلُهُ النَّارَ.

إِنَّ الْكَذِبَ وَحْدَهُ مِنْ غَيْرِ يَمِينٍ، وَمِنْ غَيْرِ أَنْ تُضَيَّعَ بِهِ حُقُوقُ الْعِبَادِ، جَرِيمَةٌ كُبْرَى، وَخِيَانَةٌ عُظْمَى، فَقَدْ سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ: ﴿هَلْ يَسْرِقُ الْمُؤْمِنُ؟ قَالَ: نَعَمْ قَدْ يَكُونُ، فَقِيلَ لَهُ: هَلْ يَزْنِي الْمُؤْمِنُ؟ قَالَ: نَعَمْ قَدْ يَكُونُ، فَقِيلَ: هَلْ يَكْذِبُ

---

(1) اَللَّفْظُ لِمُسْلِمٍ مِنْ رِوَايَةِ سَيِّدِنَا أَبِي أُمَامَةَ ﷺ.وَنَصُّهُ كَامِلاً:﴿مَنِ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ، فَقَدْ أَوْجَبَ اللهُ لَهُ النَّارَ، وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: وَإِنْ كَانَ شَيْئًا يَسِيرًا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: وَإِنْ قَضِيبًا مِنْ أَرَاكٍ﴾.

الْمُؤْمِنُ؟ قَالَ: لَا، اَلْكَذِبُ مُجَانِبٌ لِلْإِيمَانِ ﴾[1]، ثُمَّ أَتْبَعَهَا بِقَوْلِ اللهِ: ﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴾ (النحل: ١٠٥)؛

فَإِذَا صَحِبَ الْكَذِبَ الْيَمِينُ الْفَاجِرَةُ الَّتِي تُشْعِرُ بِالاِسْتِهَانَةِ بِاللهِ، كَانَتِ الْجَرِيمَةُ أَكْبَرَ وَأَشْنَعَ، فَإِذَا انْضَمَّ إِلَيْهَا الاِسْتِيلَاءُ عَلَى أَمْوَالِ النَّاسِ بِهَذِهِ الْيَمِينِ الْكَاذِبَةِ، كَانَ فُحْشُ الْجَرِيمَةِ لَا يُوصَفُ، وَحِينَئِذٍ لَا عَجَبَ أَنْ يَكُونَ الْعِقَابُ عَلَى هَذِهِ الْيَمِينِ: غَضَبَ الْجَبَّارِ، وَتَحْرِيمَ دُخُولِ الْجَنَّةِ مَعَ الْأَبْرَارِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (آل عمران: ٧٧)؛

وَمِمَّا نَحْزَنُ لَهُ أَنَّ أَحْوَالَ الْمُسْلِمِينَ الْآنَ تَبَدَّلَتْ، فَصَارَ كُلٌّ مِنْهُمْ لَا يُصَدِّقُ صَاحِبَهُ إِذَا حَدَّثَهُ، فَيُضْطَرُّ الْمُحَدِّثُ إِلَى الْيَمِينِ وَالْقَسَمِ، وَلِذَلِكَ لَا تَكَادُ تَسْمَعُ كَلِمَةً إِلَّا وَمَعَهَا يَمِينٌ، وَلَا تَخْلُو جُمْلَةٌ مِنْ حَلِفٍ بِاللهِ الْعَظِيمِ، وَاللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى نَهَانَا فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ عَنِ الْإِكْثَارِ مِنَ الْحَلِفِ وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ، حَتَّى لَا تُمْتَهَنَ أَسْمَاءُ اللهِ تَعَالَى فَقَالَ: ﴿ وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَانِكُمْ ﴾ (البقرة: ٢٢٤)؛

فَعَلَيْنَا أَنْ نَتَّقِيَ اللهَ فِي أَنْفُسِنَا فَلَا نُعَرِّضَهَا لِسَخَطِ اللهِ وَعَذَابِهِ بِالْأَيْمَانِ الْكَاذِبَةِ. هَدَانَا اللهُ إِلَى سَبِيلِ التَّوْفِيقِ.

﴿ 31 ﴾ ﴿ اَلْمُمَاطَلَةُ فِي أَدَاءِ الْحُقُوقِ ﴾

* قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿ مَطْلُ الْغَنِيِّ ظُلْمٌ ﴾[2] رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

﴿ اَلشَّرْحُ وَالْبَيَانُ ﴾

اَلْمَطْلُ: هُوَ تَأْخِيرُ دَفْعِ الدُّيُونِ لِأَصْحَابِهَا مِنْ غَيْرِ عُذْرٍ يَمْنَعُهُ عَنْ أَدَائِهَا إِلَيْهِمْ، وَالْمُرَادُ بِالْغَنِيِّ: الَّذِي يَقْدِرُ عَلَى دَفْعِ الدَّيْنِ لِصَاحِبِهِ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُ عَنْ مِيعَادِهِ

---

(1) اَلْحَدِيثُ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ: ﴿ يَا رَسُولَ اللهِ هَلْ يَسْرِقُ الْمُؤْمِنُ؟ قَالَ: قَدْ يَكُونُ ذَلِكَ، قَالَ: فَهَلْ يَزْنِي الْمُؤْمِنُ؟ قَالَ: بَلَى، وَإِنْ كَرِهَ أَبُو الدَّرْدَاءِ، قَالَ: هَلْ يَكْذِبُ الْمُؤْمِنُ؟ قَالَ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ مَنْ لَا يُؤْمِنُ، إِنَّ الْعَبْدَ يَزِلُّ الزَّلَّةَ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى رَبِّهِ فَيَتُوبُ فَيَتُوبُ اللهُ عَلَيْهِ﴾. (كَنْزُ الْعُمَّالِ:8994).

(2) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَنْ سَيِّدِنَا أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ.

بَعْدَ طَلَبٍ مِنْهُ.

إِنَّ صَاحِبَ الدَّيْنِ هُوَ الذِي أَزَالَ كَرْبَ الْمَدِينِ، وَفَرَّجَ هَمَّهُ وَغَمَّهُ، وَانْتَشَلَهُ مِنَ الضِّيقِ الذِي كَانَ قَدْ حَلَّ بِهِ، فَكَانَ مِنَ الْعَدْلِ وَمِنَ الْمُرُوءَةِ إِعْطَاؤُهُ حَقَّهُ مِنْ غَيْرِ مُمَاطَلَةٍ، حَتَّى لَا يُضْطَرَّ صَاحِبُ الدَّيْنِ: إِلَى رَفْعِ شِكَايَتِهِ إِلَى الْمَحَاكِمِ، وَإِلَى تَضْيِيعِ وَقْتِهِ فِي التَّقَاضِي، وَتَضْيِيعِ مَالِهِ فِي: دَفْعِ رُسُومِ الْقَضَايَا، وَأَجْرِ الْمُحَامَاةِ؛

وَكُلُّ هَذِهِ أُمُورٌ تَقْطَعُ الرَّوَابِطَ، وَتُوَلِّدُ الْغَضَبَ وَالشَّحْنَاءَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ.

﴿بَـابُ تَنْفِيرِ النَّاسِ مِنَ التَّقَاطُعِ وَالْخِصَامِ﴾

﴿32﴾ ﴿اَلنَّهْيُ عَنْ مُوجِبَاتِ التَّعَادِي وَالْفُرْقَةِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ﴾

* قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿لَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَنَاجَشُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا﴾ [1] أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ.

﴿اَلشَّـرْحُ وَالْبَـيَـانُ﴾

مِنْ أَهَمِّ مَقَاصِدِ الْإِسْلَامِ تَوْثِيقُ رَوَابِطِ الْأُخُوَّةِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ: وَلَمَّا كَانَتِ الْأُخُوَّةُ الْإِسْلَامِيَّةُ قَدْ تَطْغَى عَلَيْهَا بَعْضُ الْعَوَامِلِ التِي تُضْعِفُهَا، حَذَّرَنَا النَّبِيُّ ﷺ مِنْ هَذِهِ الْآفَاتِ التِي تَهْدِمُ كِيَانَ وَحْدَتِنَا، وَتُوقِعُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِيمَا بَيْنَنَا، وَهِيَ أَرْبَعَةٌ:

اَلْأُولَى: اَلْحَسَدُ: وَهُوَ أَنْ يَتَمَنَّى الْمَرْءُ زَوَالَ نِعْمَةِ الْغَيْرِ، وَهُوَ خُلُقُ لِئَامِ النَّاسِ، لِأَنَّهُ اعْتِرَاضٌ عَلَى حِكْمَةِ اللهِ فِي تَقْسِيمِ الْحُظُوظِ وَالنِّعَمِ، وَهُوَ أَوَّلُ مَعْصِيَةٍ عُصِيَ اللهُ بِهَا، فَإِنَّ إِبْلِيسَ عَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ حَسَدَ آدَمَ عَلَى مَنْزِلَتِهِ عِنْدَ رَبِّهِ فَأَبَى السُّجُودَ، فَكَانَ حَسَدُهُ لِآدَمَ مُفْضِيًا إِلَى كُفْرِهِ؛

---

(1) بِهَذَا اللَّفْظِ هُوَ جُزْءٌ مِنْ حَدِيثٍ أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَنْ سَيِّدِنَا أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، وَتَتِمَّتُهُ: ﴿لَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَنَاجَشُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَدَابَرُوا وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ وَلَا يَحْقِرُهُ، التَّقْوَى هَا هُنَا وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ: دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ﴾.

وَقَدْ جَاءَ فِي ذَمِّ الْحَسَدِ وَتَحْذِيرِ الْمُسْلِمِينَ مِنْهُ أَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ، مِنْهَا: «إِيَّاكُمْ وَالْحَسَدَ فَإِنَّهُ يَأْكُلُ الْحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ»[1]. وَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَلْتَبِسَ الْحَسَدُ بِالْغِبْطَةِ: وَهِيَ أَنْ تَتَمَنَّى أَنْ يَكُونَ لَكَ مِثْلُ فَضَائِلِ غَيْرِكَ مِنْ دُونِ أَنْ تَتَمَنَّى زَوَالَهَا عَنْهُ، وَهِيَ مِنْ خَيْرِ الْخِصَالِ، لِأَنَّهَا قَدْ تُؤَدِّي إِلَى الْمُنَافَسَةِ وَالتَّسَابُقِ إِلَى الْخَيْرَاتِ.

اَلثَّانِيَةُ: اَلتَّنَاجُشُ: وَهُوَ أَنْ يَزِيدَ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ فِي ثَمَنِ سِلْعَةٍ لَا يُرِيدُ شِرَاءَهَا، لِيَنْفَعَ الْبَائِعَ بِتَكْثِيرِ ثَمَنِ سِلْعَتِهِ، وَلَا رَيْبَ أَنَّ هَذَا يَضُرُّ بِالْمُشْتَرِي؛ لِذَلِكَ يَجْدُرُ بِالْمُسْلِمِ الْكَامِلِ أَنْ يَتَنَزَّهَ عَنْ هَذَا الْخِدَاعِ وَالِاحْتِيَالِ، لِئَلَّا يَبُوءَ بِخِزْيٍ مِنَ اللهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

اَلثَّالِثَةُ: اَلتَّبَاغُضُ: وَالْمُرَادُ بِهِ الْعَدَاوَةُ بِسَبَبِ الْأَهْوَاءِ الدَّنِيئَةِ، وَهُوَ مُنَافٍ لِلْإِيمَانِ؛ أَمَّا إِذَا كَانَ لِلّٰهِ: كَبُغْضِ الْكَافِرِينَ وَالْفُسَّاقِ، فَلَا شَكَّ بِجَوَازِهِ لِأَنَّهُ مِنْ عَلَامَاتِ الْإِيمَانِ.

اَلرَّابِعَةُ: اَلتَّدَابُرُ: وَهُوَ التَّقَاطُعُ وَالتَّهَاجُرُ، أَيْ لَا يَهْجُرْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، وَلَا يُقَاطِعْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا؛

وَبَعْدَ أَنْ نَهَى النَّبِيُّ ﷺ عَنْ مُوجِبَاتِ التَّعَادِي وَالتَّفْرِيقِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، أَمَرَهُمْ جَمِيعًا بِالتَّآخِي فَقَالَ: {وَكُونُوا عِبَادَ اللّٰهِ إِخْوَانًا}، أَيْ تَعَامَلُوا مُعَامَلَةَ الْأَخِلَّاءِ، وَتَعَاشَرُوا مُعَاشَرَةَ الْأَصْدِقَاءِ الْأَوْفِيَاءِ، فِي الْمَوَدَّةِ وَالْمُلَاطَفَةِ، مَعَ صَفَاءِ الْقُلُوبِ وَإِضْمَارِ الْخَيْرِ: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ (آل عمران: ١٠٣).

﴿ 33 ﴾ ﴿ هَلْ يَحِلُّ هَجْرُ الْمُؤْمِنِ؟ ﴾

* قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا يَحِلُّ لِرَجُلٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ يَلْتَقِيَانِ

---

(1) أَخْرَجَهُ الْبَزَّارُ فِي مُسْنَدِهِ عَنْ سَيِّدِنَا أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه.

فَيُعْرِضُ هَذَا وَيُعْرِضُ هَذَا، وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ ﴾[1] رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

﴿ اَلشَّـرْحُ وَالْبَيَـانُ ﴾

يُرْشِدُنَا هَذَا الْحَدِيثُ إِلَى: أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ، لِئَلَّا يَقْسُوَ قَلْبُهُ فَيَعْتَادُ هَذَا التَّقَاطُعَ، وَيَصِيرُ يَسْعَى كُلٌّ مِنْهُمَا فِي أَذَى صَاحِبِهِ، وَكَانَ خَيْرُ الصَّاحِبَيْنِ وَأَفْضَلُهُمَا عِنْدَ اللهِ مَنْ يَبْدَأُ أَخَاهُ بَعْدَهَا بِتَحِيَّةِ الْإِسْلَامِ، وَهَكَذَا يَحْفَظُ الْمُؤْمِنُ وُدَّ أَخِيهِ، وَيَقْضِي عَلَى نَزَغَاتِ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، الَّذِي يَغِيظُهُ أَنْ يَرَى اثْنَيْنِ مُتَحَابَّيْنِ فِي اللهِ؛

* فَحَافِظْ يَا بُنَيَّ عَلَى مَوَدَّةِ أَخِيكَ، وَتَمَسَّكْ بِقَوْلِ الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ ﵀:

لَمَّا عَفَوْتُ وَلَمْ أَحْقِدْ عَلَى أَحَدٍ ... أَرَحْتُ نَفْسِي مِنْ شَرِّ الْعَدَاوَاتِ

إِنِّي أُحَيِّي عَدُوِّي عِنْدَ رُؤْيَتِهِ ... لِأَدْفَعَ الشَّرَّ عَنِّي بِالتَّحِيَّاتِ

﴿ بَابُ الْإِصْلَاحِ بَيْنَ النَّاسِ ﴾

﴿ 34 ﴾ ﴿ اَلسَّعْيُ فِي الْإِصْلَاحِ مِنْ أَفْضَلِ الْقُرُبَاتِ ﴾

* قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿ كُلُّ سُلَامَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ، كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ: تَعْدِلُ بَيْنَ اثْنَيْنِ صَدَقَةٌ، وَتُعِينُ الرَّجُلَ فِي دَابَّتِهِ فَتَحْمِلُهُ عَلَيْهَا أَوْ تَرْفَعُ لَهُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ، وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ، وَبِكُلِّ خَطْوَةٍ تَمْشِيهَا إِلَى الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ، وَتُمِيطُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ ﴾[2] رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

﴿ اَلشَّـرْحُ وَالْبَيَـانُ ﴾

اَلسُّلَامَى: هِيَ عِبَارَةٌ عَنِ الْعِظَامِ الصَّغِيرَةِ، الَّتِي فِي جِسْمِ الْإِنْسَانِ.

طَلَبَ مِنَّا رَسُولُ اللهِ ﷺ: أَنْ نَتَصَدَّقَ عَلَى كُلِّ مَفْصَلٍ مِنَ الْمَفَاصِلِ، فِي كُلِّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ عَلَى الْعَبْدِ؛

(1) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ سَيِّدِنَا أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ ﵁.

(2) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ سَيِّدِنَا أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁.

وَالصَّدَقَةُ تَنْقَسِمُ قِسْمَيْنِ: وَاجِبَةٍ، وَمَنْدُوبَةٍ؛

فَالْوَاجِبَةُ: كَالزَّكَاةِ الْمَفْرُوضَةِ؛

وَالْمَنْدُوبَةُ: كَصَلَاةِ النَّوَافِلِ، وَإِنْفَاقِ مَا تَجُودُ بِهِ النَّفْسُ عَلَى الْفُقَرَاءِ، وَالِاشْتِرَاكِ فِي أَعْمَالِ الْخَيْرِ وَالْبِرِّ: كَالْجَمْعِيَّاتِ الْخَيْرِيَّةِ؛

وَمِنَ الصَّدَقَاتِ مَا يَكُونُ مُتَعَدِّيًا، وَمِنْهَا مَا يَكُونُ قَاصِرًا عَلَى الْعَبْدِ؛

وَالْمُتَعَدِّي أَفْضَلُ عِنْدَ اللهِ وَأَعْظَمُ فِي الدَّرَجَاتِ،

وَمِنَ الْمُتَعَدِّي: اَلْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَالدَّعْوَةُ إِلَى اللهِ، وَمُشَارَكَةُ أَهْلِ الْخَيْرِ فِي أَعْمَالِهِمُ الْخَيْرِيَّةِ؛ فَشَتَّانِ مَثَلاً بَيْنَ تَسْبِيحِ الرَّجُلِ فِي بَيْتِهِ، وَبَيْنَ شُهُودِ الْجَمَاعَاتِ الْخَيْرِيَّةِ، وَمُعَاوَنَةِ الْقَائِمِينَ بِهَا؛ وَهَلْ يَسْتَوِي عِنْدَ اللهِ رَجُلٌ قَامَ لِلصُّلْحِ بَيْنَ اثْنَيْنِ، وَرَجُلٌ قَامَ يُصَلِّي فِي بَيْتِهِ مِنَ النَّافِلَةِ رَكْعَتَيْنِ؟ أَمْ يَسْتَوِي رَجُلٌ أَخَذَ يُسَبِّحُ اللهَ بِلِسَانِهِ، وَآخَرُ يُعَاوِنُ شَيْخًا فِي رُكُوبِ دَابَّتِهِ، أَوْ يَحُولُ بَيْنَ ضَرِيرٍ وَبَيْنَ الْوُقُوعِ فِي حُفْرَةٍ مِنَ الْحَفَائِرِ؟ كُلٌّ لَهُ دَرَجَتُهُ عِنْدَ اللهِ وَلَهُ أَجْرُهُ، وَلَكِنَّ الثَّوَابَ الْمُتَعَدِّيَ أَفْضَلُ وَأَعْظَمُ؛ فَالْحَدِيثُ يُرَغِّبُ فِي الْخَيْرِ، وَأَنْ لَا يَعْمَلَ الْمُسْلِمُ لِخَيْرِ نَفْسِهِ فَقَطْ، بَلْ يَعْمَلُ لِخَيْرِهِ وَخَيْرِ غَيْرِهِ.

﴿ 35 ﴾ ﴿ إِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ ﴾

* قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالزَّكَاةِ وَالصَّلَاةِ؟ قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: إِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ، فَإِنَّ فَسَادَ ذَاتِ الْبَيْنِ هِيَ الْحَالِقَةُ، لَا أَقُولُ: تَحْلِقُ الشَّعْرَ وَلَكِنْ تَحْلِقُ الدِّينَ﴾ [1] رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ.

﴿ اَلشَّرْحُ وَالْبَيَانُ ﴾

ذَاتُ الْبَيْنِ: هِيَ الصِّلَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ بَيْنَ أَهْلِ الْإِسْلَامِ، وَفَسَادُهَا يَكُونُ بِالْعَدَاوَةِ وَالْبَغْضَاءِ، وَصَلَاحُهَا يَكُونُ بِإِزَالَةِ ذَلِكَ؛

---

(1) أَخْرَجَاهُ مِنْ حَدِيثِ سَيِّدِنَا أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه.

وَمَعْنَى تَحْلِقُ الدِّينَ: أَيْ تُزِيلُ الدِّينَ مِنَ الْقُلُوبِ كَمَا تُزِيلُ الْمُوسَى الشَّعْرَ؛
وَقَدْ بَيَّنَ لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنَّ السَّعْيَ فِي الْإِصْلَاحِ بَيْنَ الْمُتَخَاصِمَيْنِ مِنْ أَفْضَلِ الْقُرُبَاتِ إِلَى اللهِ: وَقَدْ جَعَلَهُ أَعْلَى دَرَجَةً مِنَ الصَّوْمِ وَالصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الصُّلْحَ بَيْنَ النَّاسِ تَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ مَصَالِحُ عُمْرَانِيَّةٌ، وَنَتَائِجُ اجْتِمَاعِيَّةٌ، تَعُودُ بِالْخَيْرِ عَلَى الْجَمَاعَةِ وَالْأَفْرَادِ، وَبِذَلِكَ تَتَضَاءَلُ الْجِنَايَاتُ، وَتَضْمَحِلُّ الْجَرَائِمُ، وَتَقِلُّ الشُّرُورُ، وَيَسْتَقِيمُ النِّظَامُ، وَيَعِيشُ الْمُجْتَمَعُ فِي هَنَاءَةٍ وَغِبْطَةٍ وَسَلَامٍ.

فَلَوْ قُمْنَا بِوَاجِبِ الْإِصْلَاحِ بَيْنَ كُلِّ مُتَعَادِيَيْنِ، وَتَدَارَكْنَاهُمَا أَوَّلَ الْأَمْرِ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللهِ، لَمَا اسْتَحْكَمَ التَّنَافُرُ بَيْنَهُمَا؛ فَالْوَاجِبُ عَلَى الْأُمَّةِ أَنْ تُزِيلَ مَا بَيْنَ الْمُتَنَافِرَيْنِ مِنْ عَدَاوَةٍ أَوْ سُوءِ ظَنٍّ، فَلَا تَتْرُكُ الْمُتَخَاصِمَيْنِ تَتَأَجَّجُ بَيْنَهُمَا نَارُ الْعَدَاوَةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (الأنفال:١).

﴿بَابُ ضَبْطِ النَّفْسِ﴾

﴿36﴾ ﴿مَنِ الَّذِي يَسْتَحِقُّ لَقَبَ الْبُطُولَةِ؟﴾

* **قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ﴾[1] رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.**

﴿اَلشَّرْحُ وَالْبَيَانُ﴾

بَيَّنَ لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: أَنَّ الَّذِي يَسْتَحِقُّ لَقَبَ الْبُطُولَةِ وَالشَّجَاعَةِ، لَيْسَ الشَّخْصَ الَّذِي يَحْمِلُ الْأَثْقَالَ، وَيُصَارِعُ النَّاسَ فِي النَّوَادِي وَمَيَادِينِ النِّزَالِ، وَإِنَّمَا هُوَ الشَّخْصُ الَّذِي يَغْلِبُ نَفْسَهُ، وَيَمْلِكُ عَوَاطِفَهُ عِنْدَ ثَوَرَانِ الْغَضَبِ وَشَهْوَةِ الِانْتِقَامِ لِلنَّفْسِ، فَلَا يَتْرُكُهَا تَشْتُمُ وَتَسُبُّ وَتَلْعَنُ وَتَضْرِبُ مِنْ هَيْجِ غَضَبِهَا؛ وَأَكْثَرُ مَا يَدْفَعُ الْإِنْسَانَ إِلَى الْغَضَبِ حُبُّهُ الشَّدِيدُ لِنَفْسِهِ، فَيَتَخَيَّلُ إِذَا سَمِعَ كَلِمَةً مِنْ أَحَدٍ أَنَّهَا

---

(١) أخرجَهُ البُخاريُّ ومُسْلِمٌ مِن حديثِ سيِّدِنا أبي هُريْرَةَ ﷺ.

احْتِقَارٌ لَهُ، وَنَيْلٌ مِنْ شَرَفِهِ وَقَدْرِهِ، فَيَغْضَبُ وَيُكَشِّرُ عَنْ نَابِهِ، وَيَنْطِقُ بِأَلْفَاظِ السَّبِّ وَهُوَ لَا يَشْعُرُ بِرَدَاءَتِهَا وَسُوءِ نَتِيجَتِهَا.

وَقَدْ أَشَارَ الْقُرْآنُ أَنَّ الْغَضَبَ مِنْ أَخْلَاقِ الْكَافِرِينَ، وَسَمَّاهُ الْحَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةَ، وَجَعَلَ الرِّفْقَ وَالاعْتِدَالَ مِنْ خِصَالِ الْمُؤْمِنِينَ وَسَمَّاهُ السَّكِينَةَ فَقَالَ ﴿ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الفتح: ٢٦).

فَعَلَيْنَا أَنْ نُجَاهِدَ نُفُوسَنَا وَنَمْنَعَهَا مِنَ الْبَطْشِ مِمَّنْ هَيَّجَ غَضَبَنَا؛

* وَهُنَاكَ أَدْوِيَةٌ كَثِيرَةٌ نُعَالِجُ بِهَا نُفُوسَنَا عِنْدَ ثَوْرَةِ الْغَضَبِ:

- مِنْهَا أَنْ يَقُولَ الْإِنْسَانُ حَالَةَ الْغَضَبِ: "أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ"، لِأَنَّ الْغَضَبَ مِنَ الشَّيْطَانِ؛

- وَمِنْهَا أَنْ يَتَوَضَّأَ بِالْمَاءِ قَالَ اللهُ تَعَالَى ﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ﴾ (الشورى: ٤٠).

﴿ بَابُ التَّوَدُّدِ إِلَى النَّاسِ وَتَجَنُّبِ أَذَاهُمْ ﴾

﴿ 37 ﴾ ﴿ مِنَ الْحِكْمَةِ مُدَارَاةُ السَّفِيهِ ﴾

* رُوِيَ أَنَّ رَجُلاً اسْتَأْذَنَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: ﴿ اِئْذَنُوا لَهُ فَلَبِئْسَ ابْنُ الْعَشِيرَةِ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ أَلَانَ لَهُ الْقَوْلَ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ: قُلْتَ لَهُ الَّذِي قُلْتَ ثُمَّ أَلَنْتَ لَهُ الْقَوْلَ؟ قَالَ يَا عَائِشَةُ: إِنَّ شَرَّ النَّاسِ مَنْزِلَةً عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ تَرَكَهُ النَّاسُ اتِّقَاءَ فُحْشِهِ ﴾[1] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

﴿ اَلشَّرْحُ وَالْبَيَانُ ﴾

إِنَّ الرَّجُلَ لَمَّا طَلَبَ الْإِذْنَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ أَذِنَ لَهُ، وَلَكِنَّهُ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ عَلَيْهِ ذَمَّهُ لِلْحَاضِرِينَ، وَلَمَّا دَخَلَ خَاطَبَهُ بِلِينٍ وَرِفْقٍ، فَكَانَ ذَلِكَ مَدْعَاةً لِدَهْشَةِ عَائِشَةَ فَسَأَلَتْهُ عَنِ السِّرِّ فِي ذَلِكَ؟ فَأَجَابَهَا بِقَوْلِهِ: (إِنَّ شَرَّ النَّاسِ..إِلَخ)، فَقَوْلُ الرَّسُولِ هَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الرَّجُلَ مِنْ شَرِّ النَّاسِ، وَمَا أَلَانَ لَهُ الْقَوْلَ إِلَّا مُدَارَاةً لَهُ، وَخَوْفًا عَلَى

(1) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

الْمُؤْمِنِينَ مِنْ شَرِّهِ.

* وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ فَوَائِدُ كَثِيرَةٌ:

- مِنْهَا وُجُوبُ الاِسْتِئْذَانِ قَبْلَ الدُّخُولِ عَلَى الْغَيْرِ: حَتَّى يَتَهَيَّأَ رَبُّ الدَّارِ لِاسْتِقْبَالِ زَائِرِهِ.

- وَمِنْهَا جَوَازُ غِيبَةِ الْفَاسِقِ: كَيْ يَحْذَرَهُ النَّاسُ حَتَّى لَا يَقَعُوا فِي شَرِّهِ.

﴿بَابُ مَنْ يَقْرَأُ الْعَوَاقِبَ﴾

﴿38﴾ ﴿كِيَاسَةُ الْمُؤْمِنِ وَحَزْمُهُ﴾

* قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿لَا يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ مَرَّتَيْنِ﴾ [1] رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

﴿اَلشَّرْحُ وَالْبَيَانُ﴾

يُرْشِدُنَا هَذَا الْحَدِيثُ إِلَى: أَنَّ الْمُؤْمِنَ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ حَازِمًا حَذِرًا، يَعْرِفُ عَوَاقِبَ الْأُمُورِ، وَيَقِيسُ الْحَاضِرَ عَلَى الْغَائِبِ، وَيَتَّعِظُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ بِحَوَادِثِ الْمَاضِي، وَبِالْمِثَالِ يَتَّضِحُ الْحَالُ:

اَلتِّلْمِيذُ إِذَا رَسَبَ فِي الاِمْتِحَانِ وَخَابَ فِيهِ، فَلَا يَحْسُنُ بِهِ أَنْ يَتَّخِذَ الْكَسَلَ مَطِيَّتَهُ، حَتَّى لَا تَنْتَابَهُ الْخَيْبَةُ مَرَّةً ثَانِيَةً فَيَقْضِي عَلَى مُسْتَقْبَلِهِ بِيَدِهِ؛ وَبِالْجُمْلَةِ فَالْمُؤْمِنُ كَيِّسٌ فَطِنٌ ذَكِيٌّ، لَا تَدْخُلُ عَلَيْهِ الْغَفْلَةُ فَيَنْخَدِعُ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى.

﴿39﴾ ﴿وَسَائِلُ النَّجَاةِ﴾

* رَوَى التِّرْمِذِيُّ بِسَنَدِهِ إِلَى عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ: مَا النَّجَاةُ؟ قَالَ: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ، وَلْيَسَعْكَ بَيْتُكَ، وَابْكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ﴾.

---

(1) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ سَيِّدِنَا أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ.

﴿اَلشَّـرْحُ وَالْبَـيَـانُ﴾

اَلْإِنْسَانُ إِذَا اسْتَنَارَ قَلْبُهُ بِنُورِ الْعِلْمِ، أَحَبَّ لِنَفْسِهِ الرَّاحَةَ الْكُبْرَى، وَالنَّجَاةَ مِنَ الْمَهَالِكِ فِي حَيَاتِهِ وَبَعْدَ مَمَاتِهِ؛ أَمَّا مَنْ عَمِيَ قَلْبُهُ فَيَتَخَبَّطُ فِي ظَلَامِ الضَّلَالِ، وَلَا يَتَّخِذُ لِنَفْسِهِ طَرِيقًا يَصِلُ بِهِ إِلَى مُسْتَقَرِّ رَاحَتِهَا وَنَجَاتِهَا مِنَ الشَّرِّ.

وَلَقَدْ كَانَ سَيِّدُنَا **عُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ** مِنَ النَّوْعِ الْأَوَّلِ، مُهْتَمًّا بِرَاحَةِ نَفْسِهِ وَنَجَاتِهَا مِنَ الْمَهَالِكِ، فَسَأَلَ الرَّسُولَ ﷺ عَنْ أَسْبَابِ الرَّاحَةِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَأَخْبَرَهُ بِهَذِهِ الْأَشْيَاءِ الثَّلَاثِ الَّتِي فِيهِنَّ الْعِظَةُ وَالْعِبْرَةُ لِمَنْ تَذَكَّرَ وَتَدَبَّرَ.

فَالْأُولَى مِنْ وَسَائِلِ النَّجَاةِ: **مُرَاقَبَةُ اللِّسَانِ فِيمَا يَنْطِقُ**، وَلَيْسَ مَعْنَى إِمْسَاكِ اللِّسَانِ أَنْ تَأْخُذَهُ بِيَدِكَ حَتَّى لَا يَتَكَلَّمَ، بَلِ الْمُرَادُ حِفْظُهُ فِي كُلِّ مَا يَنْطِقُ بِهِ، فَإِنْ كَانَ بِخَيْرٍ فَدَعْهُ يَتَكَلَّمُ، وَإِنْ كَانَ بِشَرٍّ فَامْنَعْهُ مِنَ الْكَلَامِ، وَإِلَّا أَوْصَلَكَ إِلَى الشَّقَاءِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، لِأَنَّ كُلَّ مَا يَنْطِقُ بِهِ الْعَبْدُ مُسَطَّرٌ فِي صَحِيفَةٍ وَهُوَ مُحَاسَبٌ عَلَيْهِ، وَسَيَكُونُ لِسَانُهُ شَهِيدًا عَلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِمَا نَطَقَ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (النور: ٢٤).

اَلثَّانِيَةُ مِنْ وَسَائِلِ النَّجَاةِ: **اَلْبُعْدُ عَنِ النَّاسِ إِلَّا فِيمَا يَعُودُ عَلَى الْإِنْسَانِ بِالْخَيْرِ**: كَالسَّعْيِ فِي الْأَرْزَاقِ مِنْ صِنَاعَةٍ أَوْ تِجَارَةٍ، أَوْ سَمَاعِ دَرْسٍ أَوْ مُحَاضَرَةٍ تَعُودُ عَلَيْهِ بِالْخَيْرِ؛ هَذَا وَلَقَدْ يَأْخُذُنَا الْعَجَبُ وَتَعْتَرِينَا الدَّهْشَةُ، حِينَمَا تَخُونُنَا الْقَدَمُ وَنَدْخُلُ فِي إِحْدَى الْمَقَاهِي فَنَجِدُهَا مَمْلُوءَةً بِالْجُمُوعِ مِنَ النَّاسِ، وَهُمْ يَقْطَعُونَ النَّهَارَ مُنْهَمِكِينَ فِي اللَّعِبِ، كَأَنَّهُمْ فِي مَصْنَعٍ حَوَى بَيْنَ جُدْرَانِهِ عُمَّالاً غَيُورِينَ لَا يَرْغَبُونَ عَنْهُ بَدِيلاً؛ فَهَؤُلَاءِ هُمْ نَكْبَةُ الْأُمَّةِ وَمِحْنَتُهَا الْقَاسِيَةُ، وَكَأَنَّهُمْ لَمْ يَعْرِفُوا أَنَّ: الْوَقْتَ كَالسَّيْفِ إِنْ لَمْ يَقْطَعْهُ الْإِنْسَانُ قَطَعَهُ.

اَلثَّالِثَةُ مِنْ وَسَائِلِ النَّجَاةِ: **اَلتَّوْبَةُ مِنَ الذُّنُوبِ، وَالنَّدَمُ الشَّدِيدُ عَلَى فِعْلِهَا**: وَالنَّدَمُ عَلَى فِعْلِ الذُّنُوبِ وَالتَّوْبَةُ مِنْهَا يَكُونَانِ لِلْقَلْبِ كَالصَّابُونِ لِلثَّوْبِ.

هَذِهِ الْأَشْيَاءُ الثَّلَاثَةُ هِيَ طُرُقُ النَّجَاةِ مِنْ مَهَالِكِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الْآخِرَةِ، فَمَنْ كَانَ يُحِبُّ النَّجَاةَ فَلْيَعْمَلْ عَلَى تَنْفِيذِهَا عَلَى قَدْرِ اسْتِطَاعَتِهِ، حَتَّى يَنْجُوَ وَيَسْلَمَ، وَيَحْيَا الْحَيَاةَ الْأَبَدِيَّةَ فِي **جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ**.

﴿بَابُ الشَّفَقَةِ وَالرِّفْقِ وَالرَّحْمَةِ﴾

﴿40﴾ ﴿اَلْحَثُّ عَلَى الرَّحْمَةِ بِالْيَتِيمِ﴾

* قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿ أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا - وَأَشَارَ بِالسَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى وَفَرَّجَ بَيْنَهُمَا - ﴾ [1] رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

﴿اَلشَّرْحُ وَالْبَيَانُ﴾

اَلْيَتِيمُ: هُوَ الشَّخْصُ الذِي مَاتَ أَبُوهُ وَلَمْ يَبْلُغْ أَشُدَّهُ، وَأَصْبَحَ لَا مُرَبِّيَ لَهُ يُرَبِّيهِ؛ لِذَلِكَ رَغَّبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي أَنْ يَكْفُلَهُ قَرِيبٌ أَوْ صَاحِبٌ، وَبَشَّرَ كَافِلَهُ الذِي يَقُومُ بِأُمُورِهِ - مِنْ كُسْوَةٍ، وَنَفَقَةٍ، وَتَأْدِيبٍ - بِعَظِيمِ أَجْرِهِ، وَعُلُوِّ مَنْزِلَتِهِ فِي الْجَنَّةِ، حَيْثُ أَخْبَرَ أَنَّهُ سَيَكُونُ مَعَهُ فِي أَعْلَى عِلِّيِّينَ، مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ.

﴿41﴾ ﴿اَلرِّفْقُ بِالْحَيَوَانِ﴾

* قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿ بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ، فَنَزَلَ بِئْرًا فَشَرِبَ مِنْهَا ثُمَّ خَرَجَ؛ فَإِذَا هُوَ بِكَلْبٍ يَلْهَثُ يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ الْعَطَشِ، فَقَالَ: لَقَدْ بَلَغَ هَذَا مِثْلُ الذِي بَلَغَ بِي، فَمَلَأَ خُفَّهُ ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ، ثُمَّ رَقِيَ فَسَقَى الْكَلْبَ، فَشَكَرَ اللهُ لَهُ، فَغَفَرَ لَهُ؛ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَإِنَّ لَنَا فِي الْبَهَائِمِ أَجْرًا؟ قَالَ: فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ ﴾ [2] رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

﴿اَلشَّرْحُ وَالْبَيَانُ﴾

اَلثَّرَى: اَلتُّرَابُ النَّدِيُّ.

يَلْهَثُ: يُخْرِجُ لِسَانَهُ مِنْ شِدَّةِ الْعَطَشِ.

يَقُصُّ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ قِصَّةَ رَجُلٍ كَانَ يَمْشِي بِطَرِيقٍ أَوْ بَادِيَةٍ، فَعَطِشَ

---

(1) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ سَيِّدِنَا أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه.

(2) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ سَيِّدِنَا أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه.

عَطَشًا شَدِيدًا وَوَجَدَ بِئْرَ مَاءٍ، فَنَزَلَ فِيهَا وَشَرِبَ مِنْ مَائِهَا ثُمَّ خَرَجَ، فَرَأَى كَلْبًا قَدِ اشْتَدَّ بِهِ الْعَطَشُ حَتَّى إِنَّهُ يُخْرِجُ لِسَانَهُ وَيَضَعُهُ عَلَى الْأَرْضِ النَّدِيَّةِ لِيُطْفِئَ نَارَ عَطَشِهِ، فَقَالَ فِي نَفْسِهِ: لَقَدْ أَحْرَقَ الْعَطَشُ قَلْبَ هَذَا الْكَلْبِ كَمَا أَحْرَقَ قَلْبِي، وَأَشْفَقَ عَلَيْهِ، فَخَلَعَ أَحَدَ خُفَّيْهِ، وَنَزَلَ الْبِئْرَ ثَانِيَةً، وَمَلَأَ خُفَّهُ بِالْمَاءِ وَأَمْسَكَهُ بِفَمِهِ، وَعَالَجَ الصُّعُودَ بِيَدِهِ حَتَّى نَجَا وَسَقَى الْكَلْبَ، فَقَبِلَ اللهُ عَمَلَهُ وَأَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ، بِسَبَبِ رِفْقِهِ بِالْكَلْبِ وَسَقْيِهِ الْمَاءَ؛

فَالْحَدِيثُ يُحَرِّضُنَا عَلَى: الرَّحْمَةِ بِالْحَيَوَانِ وَالرِّفْقِ بِهِ، لِأَنَّ الْحَيَوَانَ كَالْإِنْسَانِ، يَشْعُرُ بِالْأَلَمِ وَيَتَأَثَّرُ مِنْهُ، غَيْرَ أَنَّ الْإِنْسَانَ يُعَبِّرُ عَنْ شُعُورِهِ بِالْأَلَمِ، وَالْحَيَوَانُ لَا يَسْتَطِيعُ ذَلِكَ، فَمِنَ الْوَاجِبِ حِينَئِذٍ الرِّفْقُ بِهِ، لِأَنَّ فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرًا.

﴿ 42 ﴾ ﴿ جَزَاءُ مَنْ يُسِيءُ مُعَامَلَةَ الْحَيَوَانِ ﴾

* قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿عُذِّبَتِ امْرَأَةٌ فِي هِرَّةٍ حَبَسَتْهَا حَتَّى مَاتَتْ جُوعًا، فَدَخَلَتْ فِيهَا النَّارَ﴾.

وَفِي رِوَايَةٍ: ﴿دَخَلَتِ امْرَأَةٌ النَّارَ فِي هِرَّةٍ رَبَطَتْهَا، فَلَمْ تُطْعِمْهَا، وَلَمْ تَدَعْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ﴾[1] رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

﴿ اَلشَّرْحُ وَالْبَيَانُ ﴾

تَعْذِيبُ الْحَيَوَانِ بِلَا سَبَبٍ مَعْصِيَةٌ تَسْتَوْجِبُ الْعِقَابَ: وَقَدْ عَاقَبَ اللهُ هَذِهِ الْمَرْأَةَ لِقَسْوَتِهَا، وَسُوءِ مُعَامَلَتِهَا لِلْحَيَوَانِ الْأَعْجَمِ، وَلَوْ أَطْلَقَتْ سَرَاحَهَا لَأَكَلَتْ مِنْ حَشَرَاتِ الْأَرْضِ وَنَجَتْ مِنَ الْهَلَاكِ؛

فَالْحَدِيثُ يُنَفِّرُنَا مِنَ: الْقَسْوَةِ عَلَى الْحَيَوَانِ؛ وَقَدْ أَنْشَأَتِ الْأُمَمُ الرَّاقِيَةُ جَمْعِيَّاتٍ تُسَمَّى جَمْعِيَّاتِ الرِّفْقِ بِالْحَيَوَانِ لِلرَّأْفَةِ بِهِ، وَمُعَالَجَةِ مَرْضَاهُ، وَمُعَاقَبَةِ مَنْ يُسِيءُ مُعَامَلَتَهُ.

---

(1) اَلْحَدِيثُ بِرِوَايَتَيْهِ أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَنْ سَيِّدِنَا عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما.

﴿ 43 ﴾ ﴿ اَلرِّفْقُ وَالْعُنْفُ ضِدَّانِ ﴾

* قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿ إِنَّ الرِّفْقَ لاَ يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلاَ يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ ﴾[1] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

﴿ اَلشَّـرْحُ وَالْبَـيَانُ ﴾

إِنَّ الرِّفْقَ يَزِينُ الْأَعْمَالَ وَيُسَهِّلُهَا، بِخِلَافِ الْعُنْفِ فَإِنَّهُ يُفْسِدُهَا؛

* لِذَلِكَ يَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ:

- نَرْفُقَ بِالْإِنْسَانِ، فَلَا نُخَاطِبُهُ بِالْأَلْفَاظِ الْقَاسِيَةِ؛
- وَنَرْفُقَ بِالْحَيَوَانِ، فَلَا نَضُرَّ بِهِ وَلَا نُحَمِّلَهُ مَا لَا يُطِيقُ.

﴿ 44 ﴾ ﴿ اَلْخَيْرُ كُلُّهُ فِي الرِّفْقِ ﴾

* قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿ مَنْ يُحْرَمِ الرِّفْقَ يُحْرَمِ الْخَيْرَ كُلَّهُ ﴾[2] رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ.

﴿ اَلشَّـرْحُ وَالْبَـيَانُ ﴾

بَيَّـنَ لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي هَذَا الْحَدِيثِ: أَنَّ الْخَيْرَ كُلَّهُ فِي الرِّفْقِ، لِأَنَّ جَمِيعَ نَتَائِجِهِ حَمِيدَةٌ، وَيَدْخُلُ فِي ذَلِكَ كُلُّ فَرْدٍ مِنْ بَنِي آدَمَ، وَمِنَ الْعَجْمَاوَاتِ أَيْضًا، فَإِنَّهَا مَخْلُوقَةٌ يَأْمُرُ الشَّارِعُ بِالرِّفْقِ بِهَا؛

فَمَنْ أَطْعَمَ دَابَّتَهُ وَأَسْكَنَهَا مَسْكَنًا صِحِّيًّا، وَدَاوَاهَا مِنْ مَرَضِهَا، وَلَمْ يُحَمِّلْهَا فَوْقَ طَاقَتِهَا، فَقَدْ عَامَلَهَا بِالشَّفَقَةِ وَرَفَقَ بِهَا؛ وَمَنْ أَطْعَمَ خَادِمَهُ مِمَّا يَأْكُلُ مِنْ غَيْرِ مَنٍّ وَلَا أَذًى وَكَسَاهُ، فَقَدْ رَفَقَ بِهِ؛ وَمَنْ عَامَلَ أَهْلَ بَيْتِهِ بِالْعَطْفِ، وَأَمَدَّهُمْ بِمَالِهِ، وَسَعَى فِي تَعْلِيمِهِمْ وَتَهْذِيبِهِمْ، فَقَدْ رَفَقَ بِهِمْ؛ وَبِالْجُمْلَةِ فَالرِّفْقُ يَتَنَاوَلُ عِدَّةَ نَوَاحٍ كُلُّهَا

---

(1) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

(2) وَأَخْرَجَهُ كَذَلِكَ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ سَيِّدِنَا جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْبَجَلِيِّ رضي الله عنه.

تَعُودُ بِالْخَيْرِ عَلَى صَاحِبِهَا، فَمَنْ حُرِمَهَا حُرِمَ الْخَيْرَ كُلَّهُ، وَمَنْ تَحَلَّى بِهَا سَعِدَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

﴿ 45 ﴾ ﴿ اَلرَّحْمَةُ وَبِمَنْ تَكُونُ؟ ﴾

* قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿ مَنْ لَا يَرْحَمْ لَا يُرْحَمْ ﴾ رَوَاهُ الشَّيْخَانِ.

﴿ اَلشَّـرْحُ وَالْبَـيَـانُ ﴾

اَلرَّحْمَةُ: رِقَّةٌ فِي الْقَلْبِ تَقْضِي بِمُعَامِلَةِ النَّاسِ بِالْحُسْنَى، فَتَحْمِلُ صَاحِبَهَا عَلَى إِغَاثَةِ الْمَلْهُوفِينَ، وَمُسَاعَدَةِ الْمَكْرُوبِينَ وَالْأَرَامِلِ وَالْمَسَاكِينِ؛

فَعَلَى الشَّخْصِ رَحْمَةُ الْمُضْطَرِّ بِمَا يُمْكِنُهُ، عَلَى مَا يَقْتَضِيهِ حَالُهُ: كَإِطْعَامِ جَائِعٍ، أَوْ كُسْوَةِ عُرْيَانٍ، أَوْ إِنْقَاذِ مُشْرِفٍ عَلَى الْهَلَاكِ وَدَفْعِ ظَالِمٍ عَنْهُ، وَإِرْشَادِ حَيْرَانَ، وَتَعْلِيمِ سَائِلٍ عَنْ أَصْلِ الدِّينِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ؛

وَبِالْجُمْلَةِ: فَإِنَّ الرَّحْمَةَ خُلُقٌ شَرِيفٌ، مَنِ اتَّصَفَ بِهَا كَانَ مَحْبُوبًا مِنَ اللهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ.

﴿ بَـابُ زِيَارَةِ أَهْلِ الْخَيْرِ وَمُجَالَسَتِهِمْ وَصُحْبَتِهِمْ ﴾

﴿ 46 ﴾ ﴿ اَلتَّرْغِيبُ فِي مُجَالَسَةِ الْأَخْيَارِ ﴾

* قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَجَلِيسِ السُّوءِ: كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ: فَحَامِلُ الْمِسْكِ: إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبًا؛ وَنَافِخُ الْكِيرِ: إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا خَبِيثَةً ﴾[1] رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

---

(1) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَنْ سَيِّدِنَا أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ ﷺ وَاللَّفْظُ لِمُسْلِمٍ.

﴿ اَلشَّـرْحُ وَالْبَـيَـانُ ﴾

شَبَّهَ الرَّسُولُ ﷺ حَالَةَ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ فِي نَفْعِهِ لِجَلِيسِهِ: بِحَالَةِ حَامِلِ الْمِسْكِ مَعَ الْإِنْسَانِ، لَا يَخْلُو مِنَ الانْتِفَاعِ مِنْهُ: إِمَّا بِالْجُودِ وَالْعَطَاءِ، وَإِمَّا بِالشِّرَاءِ، أَوْ بِشَمِّ الرَّائِحَةِ الطَّيِّبَةِ؛

كَمَا شَبَّهَ حَالَ الْجَلِيسِ فِي عُمُومِ ضَرَرِهِ: بِحَالَةِ الْحَدَّادِ وَنَافِخِ الْكِيرِ، وَهُوَ لَا يَسْلَمُ جَلِيسُهُ مِنِ امْتِدَادِ الشَّرَرِ إِلَيْهِ: إِمَّا فِي بَدَنِهِ، وَإِمَّا فِي ثَوْبِهِ، فَإِنْ لَمْ يُصِبْ جَلِيسَهُ مِنْ نَارِهِ أَصَابَهُ مِنْ دُخَانِهِ؛

وَالْقَصْدُ مِنْ هَذِهِ الْحِكْمَةِ النَّبَوِيَّةِ إِنَّمَا هُوَ: اَلنَّهْيُ عَنْ مُخَالَطَةِ الْأَشْرَارِ، وَالتَّرْغِيبُ فِي مُجَالَسَةِ الْأَخْيَارِ.

﴿ 47 ﴾ ﴿ مَنْ أَحَبَّ قَوْمًا حُشِرَ مَعَهُمْ ﴾

* رُوِيَ أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ: ﴿ مَتَى السَّاعَةُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: مَا أَعْدَدْتَ لَهَا؟ قَالَ: مَا أَعْدَدْتُ لَهَا مِنْ كَثِيرِ صَلَاةٍ وَلَا صَوْمٍ وَلَا صَدَقَةٍ وَلَكِنِّي أُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ، قَالَ: أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾[1] رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

﴿ اَلشَّـرْحُ وَالْبَـيَـانُ ﴾

مَنْ أَحَبَّ الْمُؤْمِنِينَ الصَّالِحِينَ حُشِرَ مَعَهُمْ، لِأَنَّهُ مَا أَحَبَّهُمْ إِلَّا لِأَنَّهُ مِنْ شَاكِلَتِهِمْ؛ وَمَنْ أَحَبَّ الْأَشْرَارَ حُشِرَ مَعَهُمْ؛

فَيَنْبَغِي أَنْ نُحِبَّ الْأَخْيَارَ رَجَاءَ: اللَّحَاقِ بِهِمْ، وَالْخَلَاصِ مِنَ النَّارِ؛

فَمَنْ وَجَدَ نَفْسَهُ مُحِبًّا لِأَهْلِ الصَّلَاحِ وَالتَّقْوَى، فَلْيَحْمَدِ اللهَ عَلَى هَذِهِ النِّعْمَةِ.

نَسْأَلُ اللهَ أَنْ يُوَفِّقَنَا وَيَرْزُقَنَا مَحَبَّةَ الصَّالِحِينَ.

---

(1) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ مِنْ حَدِيثِ سَيِّدِنَا أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ.

﴿48﴾ ﴿مَحَبَّةُ الصَّالِحِينَ غَنِيمَةٌ﴾

* قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ﴾[1] رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ فِي أَبْوَابِ الْأَدَبِ مِنَ السُّنَنِ.

﴿اَلشَّـرْحُ وَالْبَيَـانُ﴾

إِنَّ الشَّخْصَ يَتَطَبَّعُ بِطَبْعِ صَاحِبِهِ، فَإِنَّ الطَّبْعَ سَرَّاقٌ، وَلِذَا قِيلَ:

عَنِ الْمَـرْءِ لَا تَسْـأَلْ وَسَـلْ عَنْ قَرِينِـهِ ... فَكُـلُّ قَرِيـنٍ بِالْمُقَـارِنِ يَقْتَـدِي

فَعَلَى الْمُؤْمِنِ أَنْ يَخْتَارَ لِصُحْبَتِهِ مُؤْمِنًا تَقِيًّا، فَإِنَّهُ يَنْتَفِعُ:

بِصَلَاحِهِ وَنُصْحِهِ وَعِلْمِهِ إِنْ كَانَ عَالِمًا،

وَبِبَرَكَةِ دُعَائِهِ أَيْنَمَا حَلَّ وَغَابَ، وَرُبَّمَا شَفَعَ لَهُ فِي الْآخِرَةِ.

﴿بَـابُ فَضْلِ الْحُبِّ فِي اللهِ وَالْحَثِّ عَلَيْهِ﴾

﴿49﴾ ﴿ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ﴾

* قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ﴾[2] رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

﴿اَلشَّـرْحُ وَالْبَيَـانُ﴾

يُرْشِدُنَا هَذَا الْحَدِيثُ إِلَى: أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا وُجِدَتْ فِيهِ ثَلَاثُ خِصَالٍ، كَانَتْ لِإِيمَانِهِ حَلَاوَةٌ فِي نَفْسِهِ يُحِسُّهَا، كَمَا يُحِسُّ بِحَلَاوَةِ السُّكَّرِ وَالْعَسَلِ.

اَلْخَصْلَةُ الْأُولَى: أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ غَيْرِهِمَا: فَتَمْتَزِجُ مَحَبَّةُ اللهِ وَرَسُولِهِ بِلَحْمِهِ وَدَمِهِ، فَيَجِدُ حَـلَاوَةَ الْإِيمَـانِ فِي نَفْسِهِ، وَلَا يُحِسُّ

---

(1) أَخْرَجَاهُ عَنْ سَيِّدِنَا أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ.

(2) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ مِنْ حَدِيثِ سَيِّدِنَا أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ.

مَرَارَةَ التَّعَبِ وَالشَّقَاءِ، وَلَا يَتَأَلَّمُ بِالْفَقْرِ وَالْجُوعِ، وَلَا بِشِدَّةِ الْعَذَابِ إِذَا نَزَلَ بِهِ مِنَ الْأَعْدَاءِ، وَلَقَدْ كَانَ هَذَا الْمَعْنَى مُتَجَلِّيًا فِي كَثِيرٍ مِنَ الصَّحَابَةِ ﷺ، حَتَّى كَانَ أَحَدُهُمْ يُنْشَرُ بِالْمِنْشَارِ مِنْ رَأْسِهِ إِلَى قَدَمَيْهِ لِيَرْجِعَ عَنْ دِينِهِ فَلَا يَرْجِعُ:

* فَهَذَا **بِلَالٌ مُؤَذِّنُ** النَّبِيِّ ﷺ كَانَ يُعَذَّبُ بِالنَّارِ، وَيُوضَعُ عَلَى الرَّمْضَاءِ فِي الظَّهِيرَةِ وَ شِدَّةِ الْحَرَارَةِ عَارِيًا مِنَ الْمَلَابِسِ، لِيَرْجِعَ عَنِ الْإِسْلَامِ، فَلَمْ يَكُنْ يَهْتَمُّ بِذَلِكَ كُلِّهِ، بَلْ كَانَ لِسَانُهُ لَا يَفْتُرُ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَيَقُولُ: **أَحَدٌ أَحَدٌ**، فَمُزِجَتْ حَلَاوَةُ الْإِيمَانِ بِمَرَارَةِ الْعَذَابِ فَغَلَبَتِ الْحَلَاوَةُ فَلَمْ يُحِسَّ الْعَذَابَ؛

* وَهَذَا **خُبَيْبُ بْنُ عَدِيٍّ** أَسَرَهُ كُفَّارُ قُرَيْشٍ فِي غَزْوَةِ أُحُدٍ، وَرَأَى الْمَوْتَ بِعَيْنَيْهِ، وَأَرَادُوا أَنْ يُدَاعِبُوهُ وَيَخْتَبِرُوا إِيمَانَهُ قَبْلَ الْقَتْلِ، فَقَالُوا لَهُ: أَيَسُرُّكَ يَا خُبَيْبُ أَنْ نَتْرُكَكَ تَذْهَبُ إِلَى أَهْلِكَ وَنَقْتُلَ مُحَمَّدًا بَدَلًا مِنْكَ؟ فَابْتَسَمَ ابْتِسَامَةَ الْهَازِئِ بِهِمْ وَقَالَ لَهُمْ: مَا أَجْهَلَكُمْ، وَاللهِ مَا يَسُرُّنِي أَنَّ مُحَمَّدًا تُصِيبُهُ شَوْكَةٌ تُؤْذِيهِ، وَأَنَا بَيْنَ أَوْلَادِي وَأَهْلِي.

اَلْخَصْلَةُ الثَّانِيَةُ: أَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلهِ: يَعْنِي أَنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ الرَّجُلَ لِكَوْنِهِ مُسْلِمًا مُسْتَقِيمًا، لَا أَنَّهُ يُحِبُّهُ لِغَرَضٍ دُنْيَوِيٍّ مِنْ مَالٍ وَجَاهٍ وَغَيْرِهِمَا، وَهَذِهِ الْمَحَبَّةُ كَانَتْ مُتَجَلِّيَةً وَاضِحَةً فِي الْعَصْرِ الْأَوَّلِ، فَكَانَ الْوَاحِدُ مِنْهُمْ يَجُوعُ لِيَشْبَعَ أَخُوهُ، وَيَعْطَشُ لِيَسْقِيَهُ، وَقَدْ أَثْنَى اللهُ عَلَيْهِمْ فِي كِتَابِهِ فَقَالَ: ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ (الحشر: ٩)."

اَلْخَصْلَةُ الثَّالِثَةُ: أَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ: يَعْنِي أَنَّ الْوَاحِدَ بَعْدَ أَنْ يَذُوقَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ يَصِيرُ الْكُفْرُ عِنْدَهُ قَبِيحًا بَشِعًا بَشَاعَةً مَثَّلَهَا النَّبِيُّ ﷺ فِي الْحَدِيثِ، بِأَنْ يُكَبَّلَ الشَّخْصُ فِي الْأَغْلَالِ وَالسَّلَاسِلِ، ثُمَّ يُقْذَفَ بِهِ إِلَى نَارٍ وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ، لِتَعْمَلَ فِي جِسْمِهِ عَمَلَهَا، فَهُوَ لِقُوَّةِ إِيمَانِهِ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُلْقَى فِي هَذِهِ النَّارِ الْمُوقَدَةِ.

إِذَا وُجِدَتْ هَذِهِ الْخِصَالُ الثَّلَاثُ فِي الْمُؤْمِنِ، دَلَّ ذَلِكَ عَلَى كَمَالِ يَقِينِهِ، وَقُوَّةِ إِيمَانِهِ، وَهُنَاكَ يَجِدُ سَعَادَةً دُونَهَا كُلُّ سَعَادَةٍ، وَلَذَّةً أَقَلُّ مِنْهَا كُلُّ لَذَّةٍ، مَهْمَا أُوذِيَ فِي سَبِيلِهَا بِأَنْوَاعِ التَّعْذِيبِ، وَمَهْمَا حَصَلَ لَهُ مِنَ الْأَعْدَاءِ مِنْ شِدَّةٍ وَعُنْفٍ وَإِرْهَاقٍ؛

وَلِتَغَلْغُلِ الْعَقِيدَةِ فِي نَفْسِ الشَّخْصِ، وَامْتِزَاجِهَا بِلَحْمِهِ وَدَمِهِ، أَجَابَ ذَلِكَ الصَّحَابِيُّ حِينَمَا سُئِلَ مِنْ أَيَّةِ قَبِيلَةٍ هُوَ، أَمِنْ قَيْسٍ أَمْ مِنْ تَمِيمٍ؟ فَقَالَ:

أَبِي الْإِسْلَامُ لَا أَبَ لِي سِوَاهُ   إِذَا افْتَخَرُوا بِقَيْسٍ أَوْ تَمِيمِ

هَكَذَا كَانَ الْمُسْلِمُونَ فِي الْعُصُورِ الْأُولَى؛

فَهَلْ يَعْمَلُ الْمُسْلِمُونَ عَلَى أَنْ يَكُونُوا كَمَا كَانَ أَسْلَافُهُمْ؟ لِيُعَزُّوا وَيَسْعَدُوا.

﴿بَابُ التَّفَاوُتِ فِي الْإِيمَانِ﴾

﴿50﴾ ﴿اَلْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ الْإِيمَانِ﴾

* قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اَلْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ، اِحْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجِزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَّرَ اللهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»[1] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

﴿اَلشَّرْحُ وَالْبَيَانُ﴾

اَلْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ: يَخْتَلِفُ النَّاسُ فِي إِيمَانِهِمْ كَمَا يَخْتَلِفُونَ فِي سَائِرِ صِفَاتِهِمْ، فَكَمَا أَنَّ مِنَ النَّاسِ الْأَبْيَضَ وَالْأَسْوَدَ، وَالطَّوِيلَ وَالْقَصِيرَ، كَذَلِكَ:

مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ الْإِيمَانِ، الَّذِي لَا تُزَعْزِعُهُ حَوَادِثُ الزَّمَانِ وَلَا مَصَائِبُ الدَّهْرِ؛ وَمِنْهُمُ الْمُؤْمِنُ الضَّعِيفُ الْإِيمَانِ، الَّذِي إِذَا نَزَلَتْ بِهِ كَارِثَةٌ مِنْ كَوَارِثِ الدَّهْرِ سَخِطَ وَغَضِبَ؛

وَقَدْ بَيَّنَ لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي هَذَا الْحَدِيثِ الْفَرْقَ بَيْنَ الْمُؤْمِنِ الْقَوِيِّ الْإِيمَانِ، وَالْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ الْإِيمَانِ، لِيُرْشِدَنَا إِلَى أَنَّ الْأَوَّلَ أَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الثَّانِي؛ أَتَدْرِي

---

(1) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ عَنْ سَيِّدِنَا أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه.

لِمَاذَا؟ ذَلِكَ لِأَنَّ الْأَوَّلَ تَدْفَعُهُ قُوَّةُ إِيمَانِهِ إِلَى الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، فَتَرَاهُ: مُخْلِصًا فِي النَّصِيحَةِ لِلْمُسْلِمِينَ، كَمَا تَرَاهُ مُطِيعًا لِلهِ، مُحِبًّا لِنَشْرِ دِينِهِ، وَلَوْ جَادَ فِي سَبِيلِ ذَلِكَ بِالنَّفْسِ وَالنَّفِيسِ.

وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ: وَلَمَّا كَانَ تَرْجِيحُ الْمُؤْمِنِ الْقَوِيِّ الْإِيمَانِ عَلَى الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ الْإِيمَانِ قَدْ يُظَنُّ مِنْهُ أَنَّ الْمُؤْمِنَ الضَّعِيفَ الْإِيمَانِ لَا خَيْرَ فِيهِ وَلَا فَائِدَةَ، رَفَعَ النَّبِيءُ ﷺ هَذَا الْوَهْمَ فَقَالَ: "وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ" لِاشْتِرَاكِهِمَا فِي أَصْلِ الْإِيمَانِ، وَلَكِنَّ الدَّرَجَاتِ مُخْتَلِفَةٌ وَالْمَنَازِلَ مُتَفَاوِتَةٌ؛

فَفَرْقٌ بَيْنَ إِيمَانٍ مُثْمِرٍ، وَإِيمَانٍ عَقِيمٍ لَا أَثَرَ لَهُ فِي نَفْعِ الْعِبَادِ، فَرْقٌ بَيْنَ إِيمَانٍ كَامِلٍ وَإِيمَانٍ نَاقِصٍ؛

اِحْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ..إلَخ: أَمَرَنَا النَّبِيءُ ﷺ بِالْأَشْيَاءِ الَّتِي تَدْعُو إِلَى تَقْوِيَةِ الْإِيمَانِ، وَهِيَ تَتَلَخَّصُ فِيمَا يَأْتِي:

1) اَلْحِرْصُ عَلَى النَّافِعِ فِي الدُّنْيَا: فَلَا يَتْرُكُ فُرْصَةً يَسْتَطِيعُ فِيهَا كَسْبَ: مَالٍ أَوْ عِلْمٍ أَوْ جَاهٍ إِلَّا انْتَهَزَهَا، وَيَتَزَوَّدُ مِنَ الطَّاعَاتِ: كَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، وَمُدَارَسَةِ عِلْمٍ نَافِعٍ.

2) اَلِاسْتِعَانَةُ بِاللهِ: فَلَا يَنْسَى رَبَّهُ، فَهُوَ بِيَدِهِ الْمَنْعُ وَالْإِعْطَاءُ، وَمِنْهُ النَّفْعُ وَالضُّرُّ.

3) تَرْكُ الْكَسَلِ وَالْخُمُولِ: فَالْإِسْلَامُ يَنْهَى عَنِ الْعَجْزِ وَالِاسْتِسْلَامِ.

4) تَرْكُ النَّدَمِ وَالْأَمَانِي الْبَاطِلَةِ: فَإِذَا وَقَعَ لَهُ مَكْرُوهٌ، أَوْ فَاتَهُ أَمْرٌ مَحْبُوبٌ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا، فَلَا يَقُولُ كَمَا يَقُولُ الْجَاهِلُ: "لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا كَانَ كَذَا" فَإِنَّ ذَلِكَ يَضُرُّ وَلَا يَنْفَعُ، فَهُوَ لِذَلِكَ مَذْمُومٌ، لِمَا فِيهِ مِنْ عَدَمِ التَّسْلِيمِ لِلهِ وَالرِّضَى بِمَا قَدَّرَهُ؛

فَمَا مَضَى نُسَلِّمُ الْأَمْرَ فِيهِ لِلهِ، وَنَقُولُ: "قَدَّرَ اللهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ".

فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ: يَعْنِي أَنَّ هَذِهِ الْكَلِمَةَ (لَوْ) مِفْتَاحٌ يَفْتَحُ عَلَى الْإِنْسَانِ الْوَسْوَسَةَ وَالْيَأْسَ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ، وَهَذِهِ كُلُّهَا سُبُلُ الشَّيْطَانِ يَدْرُجُ مِنْهَا إِلَى النُّفُوسِ الْفَاتِرَةِ الضَّعِيفَةِ، فَيَسْلُبُهَا أَعَزَّ عَزِيزٍ لَدَيْهَا وَهُوَ الْإِيمَانُ؛

أَمَّا التَّحَسُّرُ عَلَى مَا فَاتَ مِنْ طَاعَةٍ، فَلَا كَرَاهَةَ فِي ذَلِكَ.

وَاللهُ الْهَادِي إِلَى الرَّشَادِ.

﴿بَـابُ عَلَامَاتِ حُبِّ اللهِ تَعَالَى لِعَبْدِهِ﴾

﴿51﴾ ﴿مَنْ أَحَبَّ اللهَ أَحَبَّهُ اللهُ وَالْعِبَادُ﴾

* قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿ إِنَّ اللهَ تَعَالَى إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَقَالَ: إِنِّي أُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي السَّمَاءِ فَيَقُولُ: إِنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ؛ وَإِذَا أَبْغَضَ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَيَقُولُ: إِنِّي أُبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضْهُ، فَيُبْغِضُهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللهَ يُبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضُوهُ، فَيُبْغِضُونَهُ، ثُمَّ تُوضَعُ لَهُ الْبَغْضَاءُ فِي الْأَرْضِ ﴾[1] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

﴿اَلشَّـرْحُ وَالْبَـيَـانُ﴾

مَحَبَّةُ الْإِنْسَانِ لِرَبِّهِ: الطَّاعَةُ لَهُ،

وَمَحَبَّةُ اللهِ لِعَبْدِهِ: مُجَازَاتُهُ عَلَى هَذِهِ الطَّاعَةِ، وَرِضَاهُ عَنْهُ، وَهِدَايَتُهُ لَهُ، وَعِنَايَتُهُ بِهِ، وَإِنْعَامُهُ عَلَيْهِ: بِمَحَبَّةِ النَّاسِ لَهُ فِي الدُّنْيَا، وَرَفْعِ الدَّرَجَاتِ فِي الْآخِرَةِ؛

وَبُغْضُهُ لِعَبْدِهِ: سَخَطُهُ عَلَيْهِ،

وَعِقَابُهُ: بِكَرَاهَةِ الْخَلْقِ لَهُ فِي الدُّنْيَا، وَشِدَّةِ الْعِقَابِ فِي الْآخِرَةِ؛

وَمَحَبَّةُ النَّاسِ لِلْعَبْدِ: ثَنَاؤُهُمْ عَلَيْهِ؛

وَبُغْضُهُمْ لِلْعَبْدِ: كَرَاهَتُهُمْ لَهُ، وَذَمُّهُ.

﴿بَـابُ تَبْجِيلِ الْعُلَمَاءِ وَالْكِبَارِ﴾

﴿52﴾ ﴿هَلْ تَوْقِيرُ الْكِبَارِ وَتَعْظِيمُ الْعُلَمَاءِ مِنَ الْإِيمَانِ؟﴾

* قَـالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿لَيْسَ مِنَّـا مَـنْ لَمْ يُوَقِّـرْ كَبِيرَنَـا، وَيَرْحَـمْ صَغِيرَنَـا،

---

(1) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ عَنْ سَيِّدِنَا أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ.

وَيَعْرِفْ لِعَالِمِنَا حَقَّهُ﴾[1] رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ.

﴿اَلشَّرْحُ وَالْبَيَانُ﴾

تَوْقِيرُ الْكَبِيرِ: احْتِرَامُهُ، بِأَنْ لَا يَرْفَعَ الْإِنْسَانُ صَوْتَهُ فَوْقَ صَوْتِهِ، وَلَا يَتَقَدَّمَ عَلَيْهِ، وَلَا يَقْطَعَ عَلَيْهِ كَلَامَهُ، وَلَا يُخَاطِبَهُ بِعُنْفٍ.

وَرَحْمَةُ الصَّغِيرِ: الرَّأْفَةُ بِهِ، بِأَنْ يَبَشَّ فِي وَجْهِهِ، وَيُرْشِدَهُ إِلَى طَرِيقِ الْهِدَايَةِ: بِالْقَوْلِ اللَّيِّنِ، وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ.

وَحَقُّ الْعَالِمِ: التَّعْظِيمُ، وَالِاسْتِمَاعُ لِقَوْلِهِ، وَشُكْرُهُ عَلَى تَعْلِيمِهِ، وَإِظْهَارُ الْبَشَاشَةِ عِنْدَ لِقَائِهِ، وَالتَّسْلِيمُ عَلَيْهِ، وَقَبُولُ نُصْحِهِ؛

وَمَهْمَا بَالَغَ الْإِنْسَانُ فِي تَعْظِيمِ أُسْتَاذِهِ وَمُعَلِّمِهِ فَإِنَّهُ لَنْ يُوَفِّيَهُ حَقَّهُ، فَهُوَ الَّذِي رَبَّاهُ وَأَدَّبَهُ وَعَلَّمَهُ حَتَّى صَارَ رَجُلاً كَامِلاً.

﴿بَابُ الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ﴾

﴿53﴾﴿جَزَاءُ الصَّبْرِ عَلَى الْقَضَاءِ﴾

* رَوَى الْإِمَامُ مُسْلِمٌ عَنْ صُهَيْبٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿عَجَباً لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ لَهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ: إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ﴾.

﴿اَلشَّرْحُ وَالْبَيَانُ﴾

سَرَّاءُ: هِيَ كُلُّ مَا سَرَّ الْإِنْسَانَ مِنْ نِعَمِ اللهِ تَعَالَى، كَالْيُسْرِ وَالرَّخَاءِ وَالصِّحَّةِ.

شَكَرَ: أَيْ اسْتَعْمَلَ النِّعَمَ فِيمَا خُلِقَتْ لَهُ، وَأَدَّى حَقَّهَا.

ضَرَّاءُ: أَيْ ضِيقٌ وَشِدَّةٌ.

---

(1) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ، وَالطَّبَرَانِيُّ، وَالْحَكِيمُ، وَالْحَاكِمُ، وَغَيْرُهُمْ عَنْ سَيِّدِنَا عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ ﷺ. بِلَفْظِ: ﴿لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يُجِلَّ كَبِيرَنَا...﴾

وَمَعْنَى صَبَرَ: سَلَّمَ الْأَمْرَ لِلَّهِ، وَحَبَسَ نَفْسَهُ عَلَى تَحَمُّلِ الضُّرِّ.

إِنَّ الْمُؤْمِنَ الَّذِي يَعْلَمُ أَنَّ الرِّضَى بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ رُكْنٌ مِنْ أَرْكَانِ الْإِيمَانِ، يَرَى أَنَّ كُلَّ مَا قَدَّرَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ، إِنَّمَا هُوَ ابْتِلَاءٌ وَاخْتِبَارٌ مِنَ اللهِ:

فَإِنْ أَصَابَتْهُ نِعْمَةٌ: أَحْدَثَ لَهَا شُكْرًا حَصَّنَهَا بِهِ وَنَمَّاهَا؛

وَإِنْ أَصَابَتْهُ نِقْمَةٌ: صَبَرَ، وَرَضِيَ عَنِ اللهِ فِيمَا قَضَاهُ، لِيَفُوزَ بِمَحَبَّةِ اللهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ (إبراهيم: ٧).

فَالْحَدِيثُ يَحُثُّنَا عَلَى: شُكْرِ اللهِ تَعَالَى عَلَى مَا أَسْدَى مِنَ النِّعَمِ، وَكَذَلِكَ يَحُثُّنَا عَلَى احْتِمَالِ النَّفْسِ وَصَبْرِهَا عَلَى مَا يَأْتِي بِهِ الْقَدَرُ مِمَّا لَمْ يَتَّفِقْ وَأَهْوَاءَنَا، وَأَلَّا نَقِفَ مِنَ الْقَدَرِ مَوْقِفَ الْمُعَارَضَةِ، حَتَّى لَا نَكُونَ فِي عِدَادِ مَنْ يَقُولُ اللهُ فِي شَأْنِهِمْ: ﴿ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴾ (التوبة: ٥٨).

وَبَيَّنَ لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي هَذَا الْحَدِيثِ: أَنَّ الْمُؤْمِنَ الَّذِي يَصْبِرُ عَلَى رَزِيَّتِهِ، يُحْسِنُ اللهُ لَهُ الْعِوَضَ فِي الدُّنْيَا، وَيُجْمِلُ لَهُ الثَّوَابَ فِي الْآخِرَةِ، فَإِنَّ جَزَاءَ الصَّبْرِ: تَكْفِيرُ الذُّنُوبِ، وَرَفْعُ الدَّرَجَاتِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ۝١٥٥ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ۝١٥٦ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ (البقرة: ١٥٥- ١٥٧).

إِنَّ الدُّنْيَا مَا خُلِقَتْ إِلَّا لِلْكِفَاحِ وَالْجِهَادِ، لَا لِتَكُونَ مَوْطِنَ رَاحَةٍ، بَلْ لِتَكُونَ دَارَ جِدٍّ وَعَمَلٍ وَاخْتِبَارٍ، وَلَقَدْ أَخْبَرَنَا اللهُ جَلَّ شَأْنُهُ أَنَّهُ لَمْ يَخْلُقْ هَذِهِ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا إِلَّا لِيَبْلُوَ إِيمَانَنَا، فَيُظْهِرُ الصَّالِحَ مِنَّا وَالطَّالِحَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝١ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴾ (الملك: ١- ٢). فَمَنْ نَزَلَتْ بِهِ مُصِيبَةٌ فَلَا يَضِيقُ بِهَا صَدْرُهُ، وَلْيُقَاوِمْ نَفْسَهُ، وَيَمْلِكْ لِسَانَهُ، وَلْيَرْضَ بِالْقَضَاءِ حُلْوِهِ وَمُرِّهِ، وَيُقَابِلِ الشَّدَائِدَ بِعَزِيمَةٍ ثَابِتَةٍ، فَإِنَّ الْأُمُورَ بِيَدِ اللهِ يُصَرِّفُهَا كَيْفَ يَشَاءُ، وَإِنَّ الْأَيَّامَ لَا تَبْقَى عَلَى حَالَةٍ وَاحِدَةٍ، فَلَا حُزْنَ يَدُومُ وَلَا سُرُورَ، وَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا، وَبَعْدَ الضِّيقِ فَرَجًا.

رَزَقَنَا اللهُ الصَّبْرَ، وَأَجْزَلَ لَنَا الْأَجْرَ، إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

﴿بَابُ التَّزَوُّدِ مِنَ الدُّنْيَا﴾

﴿54﴾ ﴿مَنْ هُوَ الْكَيِّسُ وَالْعَاجِزُ ؟﴾

* رَوَى التِّرْمِذِيُّ بِسَنَدِهِ إِلَى شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿الْكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللهِ﴾.

﴿الشَّرْحُ وَالْبَيَانُ﴾

يُرْشِدُنَا هَذَا الْحَدِيثُ إِلَى: أَنَّ الرَّجُلَ الْحَازِمَ الذَّكِيَّ الْفَطِنَ هُوَ الذِي تَجْتَمِعُ فِيهِ خَصْلَتَانِ:

الْأُولَى: أَنْ يَدِينَ نَفْسَهُ: يَعْنِي أَنْ يَقْهَرَهَا وَيَغْلِبَهَا، وَلَا يُطِيعَهَا فِي شَهَوَاتِهَا، وَيَسْتَعْبِدَهَا حَتَّى تَصِيرَ تَحْتَ تَصَرُّفِ عَقْلِهِ، وَطَوْعَ إِرَادَتِهِ.

وَالثَّانِيَةُ: أَنْ يَعْمَلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ: يَعْنِي أَنْ يَعْتَقِدَ أَنَّ عُمُرَهُ فِي الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَإِنْ طَالَ، فَيَعْمَلُ لِمَا يَنْفَعُهُ فِي الْآخِرَةِ دَارِ الْبَقَاءِ، وَيُؤَدِّي فَرَائِضَ اللهِ، وَيَفِرُّ مِنَ الْمَعَاصِي، وَيَغْتَنِمُ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ:

1) يَغْتَنِمُ شَبَابَهُ قَبْلَ كِبَرِهِ: فَيَجِدُّ فِي الطَّاعَاتِ وَهُوَ صَغِيرٌ، قَبْلَ أَنْ يَعْجِزَ عَنْهَا وَهُوَ كَبِيرٌ؛

وَيَغْتَنِمُ: 2) صِحَّتَهُ قَبْلَ مَرَضِهِ؛ 3) وَغِنَاهُ قَبْلَ فَقْرِهِ؛ 4) وَفَرَاغَهُ قَبْلَ شُغْلِهِ؛ 5) وَحَيَاتَهُ قَبْلَ مَوْتِهِ، فَيَمْلَؤُهَا بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، وَلَا يَتْرُكُهَا تَمُرُّ عَلَيْهِ بَيْنَ غَفْلَةٍ وَلَهْوٍ وَنَوْمٍ.

وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللهِ: يَعْنِي أَنَّ الرَّجُلَ الْأَحْمَقَ الضَّعِيفَ الْعَقْلِ، هُوَ الذِي يُعْطِي نَفْسَهُ حَظَّهَا مِنَ الشَّهَوَاتِ وَالْمَعَاصِي، حَتَّى يَغْلِبَهُ هَوَاهَا وَيُصْبِحَ أَسِيرًا لِنَفْسِهِ، كُلَّمَا أَمَرَتْهُ بِمَعْصِيَةٍ أَطَاعَهَا وَلَبَّى دَعْوَتَهَا، بِدُونِ تَفْكِيرٍ فِي الْعَوَاقِبِ وَلَا خَوْفٍ مِنَ اللهِ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ يَتَمَنَّى عَلَى اللهِ الْأَمَانِيَّ الْكَاذِبَةَ، فَيَرْتَكِبُ الْجَرَائِمَ، وَيَفْعَلُ الْمَعَاصِيَ، وَيَقُولُ: إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ، اللهُ كَرِيمٌ، سَبَقَتْ

رَحْمَتُهُ غَضَبَهُ، نَحْنُ مِنْ ذُرِّيَّةِ رَسُولِ اللَّـهِ ﷺ.

حَقًّا إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ كَرِيمٌ، وَلَكِنَّ هَذَا الْكَرِيمَ أَرْسَلَ إِلَيْنَا رَسُولاً هُوَ سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ ﷺ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ كِتَابًا يَشْتَمِلُ عَلَى أَوَامِرَ وَنَوَاهٍ، وَقَالَ لَنَا: إِنْ عَمِلْتُمْ بِمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ وَاجْتَنَبْتُمْ مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ أَدْخَلْتُكُمْ مَحَلًّا لَا تَشْقَوْنَ فِيهِ أَبَدًا؛ وَإِنْ خَالَفْتُمْ أَمْرِي غَضِبْتُ عَلَيْكُمْ وَعَذَّبْتُكُمْ بِنَارٍ حَامِيَةٍ، تَصْلَوْنَ سَعِيرَهَا وَتَذُوقُونَ عَذَابَهَا.

فَالْعَمَلُ الصَّالِحُ حِينَئِذٍ هُوَ الذِي عَلَيْهِ مَدَارُ السَّعَادَةِ، وَمَا عَدَا ذَلِكَ فَهُوَ غُرُورٌ وَأَحْلَامٌ وَأَمَانِيُّ بَاطِلَةٌ، وَأَوْهَامٌ كَاذِبَةٌ يَضْحَكُ بِهَا الشَّيْطَانُ عَلَى ضِعَافِ الْعُقُولِ وَالْإِيمَانِ؛ فَاللهُ حَذَّرَ وَأَنْذَرَ، وَوَعَدَ بِالْجَنَّةِ لِمَنْ أَطَاعَ، وَالنَّارِ لِمَنْ عَصَى، قَالَ تَعَالَى:

﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (الفتح: ١٧).

نَسْأَلُ اللهَ أَنْ يُوَفِّقَنَا لِمَا فِيهِ رُشْدُنَا وَصَلَاحُ حَالِنَا، إِنَّهُ سَمِيعٌ مُجِيبٌ.

﴿55﴾ ﴿مَنْ هُوَ خَيْرُ النَّاسِ؟﴾

* قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿خَيْرُ النَّاسِ مَنْ طَالَ عُمُرُهُ وَحَسُنَ عَمَلُهُ، وَشَرُّ النَّاسِ مَنْ طَالَ عُمُرُهُ وَسَاءَ عَمَلُهُ﴾ [1] رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ.

﴿اَلشَّرْحُ وَالْبَيَانُ﴾

إِذَا طَالَ عُمُرُ إِنْسَانٍ صَالِحٍ: كَثُرَتْ أَعْمَالُهُ الْحَسَنَةُ، وَعَظُمَ انْتِفَاعُ النَّاسِ بِهِ، فَيَتَضَاعَفُ ثَوَابُهُ، وَيَكُونُ مِنْ أَفْضَلِ النَّاسِ، وَخَيْرِهِمْ سِيرَةً وَسَرِيرَةً؛

وَإِذَا امْتَدَّ أَجَلُ رَجُلٍ شِرِّيرٍ: ازْدَادَتْ سَيِّئَاتُهُ، وَكَرِهَ النَّاسُ بَقَاءَهُ، لِمَا يَلْحَقُهُمْ مِنْ أَذَاهُ وَشَرِّهِ؛

فَعَوِّدْ نَفْسَكَ يَا بُنَيَّ عَلَى فِعْلِ الْخَيْرِ، وَكُنْ طَيِّبَ السِّيرَةِ وَالسَّرِيرَةِ، حَتَّى تَكُونَ مِنْ أَسْعَدِ النَّاسِ دُنْيَا وَأُخْرَى.

---

(١) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ، وَالطَّبَرَانِيُّ، وَالْحَاكِمُ، وَالْبَيْهَقِيُّ وَالتِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: حَسَنٌ صَحِيحٌ عَنْ سَيِّدِنَا أَبِي بَكْرَةَ ﷺ.

سَابِقْ إِلَى الْخَيْرَاتِ أَهْلَ الْعُلَى فَإِنَّمَا النَّاسُ أَحَادِيثُ
كُلُّ امْرِئٍ فِي شَأْنِهِ كَادِحٌ فَوَارِثٌ مِنْهُ وَمَوْرُوثٌ

﴿بَابُ الْمُجَاهَدَةِ﴾

﴿56﴾ ﴿أَثَرُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ فِي إِصْلَاحِ النُّفُوسِ﴾

* قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ﴾[1] رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

﴿اَلشَّرْحُ وَالْبَيَانُ﴾

حَفَّ حَوْلَهُ: أَطَافَ بِهِ وَاسْتَدَارَ.
اَلْمَكَارِهُ: اَلْأَشْيَاءُ الثَّقِيلَةُ عَلَى النَّفْسِ لِأَنَّهَا غَيْرُ مَحْبُوبَةٍ.
اَلشَّهَوَاتُ: طَلَبَاتُ النَّفْسِ الدَّنِيئَةِ وَمَلَذَّاتُ الْحَيَاةِ.

إِنَّ هَذَا الْحَدِيثَ مِنْ بَدِيعِ كَلَامِهِ ﷺ وَفَصِيحِهِ وَجَوَامِعِهِ الَّتِي أُوتِيَهَا، فِيهِ التَّمْثِيلُ الْحَسَنُ، وَرَوْعَةُ اللَّفْظِ، وَبَلَاغَةُ الْمَنْطِقِ، وَقُوَّةُ الْبَيَانِ مَعَ حُسْنِ الْإِيجَازِ؛ وَكَمْ لِلرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مِنَ الْقَوْلِ الْمُوجَزِ، مَا فِيهِ الْحِكْمَةُ وَفَصْلُ الْخِطَابِ.

مَعْنَى الْحَدِيثِ: لَا يَصِلُ الْمَرْءُ إِلَى الْجَنَّةِ إِلَّا بِفَضْلِ الْمَكَارِهِ وَتَحَمُّلِ الْمَشَاقِّ مِنْ أَجْلِهَا، وَهِيَ الطَّاعَاتُ الَّتِي تَشُقُّ عَلَى النَّاسِ، يَتَجَلَّى لَكَ هَذَا حِينَ تَجِدُهُمْ: تَتَثَاقَلُ رُؤُوسُهُمْ عَنِ الصَّلَاةِ، وَلَا يَصْبِرُونَ عَلَى الْبَلَاءِ، وَلَا يَتَجَمَّلُونَ بِالْأَخْلَاقِ الطَّيِّبَةِ وَالصِّفَاتِ الْمَرْضِيَّةِ مِنَ: الْعِفَّةِ، وَالْقَنَاعَةِ، وَالْأَمَانَةِ، وَالتَّوَاضُعِ، وَالْحِلْمِ، وَالْإِحْسَانِ، وَالْعَدْلِ، وَالرَّحْمَةِ، وَالْمَحَبَّةِ، وَالْأُلْفَةِ، وَالْمَوَدَّةِ، وَحُسْنِ الْجِوَارِ، وَصِلَةِ الْأَرْحَامِ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يُقَرِّبُ إِلَى اللهِ؛

فَتِلْكَ الْأُمُورُ جَعَلَهَا اللهُ حِجَابًا دُونَ الْجَنَّةِ، بِحَيْثُ لَا يَصِلُ الْعَبْدُ إِلَى الْجَنَّةِ إِلَّا إِذَا سَلَكَ طَرَائِقَهَا، وَصَبَرَ عَلَى احْتِمَالِ مَشَقَّتِهَا، وَلَا يَفْعَلُ ذَلِكَ إِلَّا الْبَصِيرُ الْمُسْتَنِيرُ.

---

(1) اَلْحَدِيثُ عَنْ سَيِّدِنَا أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه.

وَأَمَّا النَّارُ فَالْوُصُولُ إِلَيْهَا يَكُونُ: بِفِعْلِ الشَّهَوَاتِ الَّتِي حَرَّمَهَا الشَّارِعُ، لِمَا يَتَرَتَّبُ عَلَيْهَا مِنَ الضَّرَرِ وَالْفَسَادِ: كَشُرْبِ الْخَمْرِ، وَالزِّنَا، وَالْمَيْسِرِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمُحَرَّمَاتِ الْمُحَبَّبَةِ إِلَى نُفُوسِ الْآثِمِينَ.

مِمَّا تَقَدَّمَ يَتَّضِحُ لَكَ يَا بُنَيَّ أَنَّنَا فِي حَاجَةٍ إِلَى جِهَادٍ صَادِقٍ، نَذُودُ بِهِ عَوَادِيَ الشَّهَوَاتِ عَنْ أَنْفُسِنَا، حَتَّى لَا تَتَمَلَّكَ زِمَامَ قُلُوبِنَا فَتُضِلَّنَا عَنْ سَبِيلِ الْهِدَايَةِ؛

فَمَا أَحْوَجَ الْعَبْدَ أَنْ يُجَاهِدَ نَفْسَهُ، لِيَكُفَّ عَنِ الشَّهَوَاتِ الَّتِي هِيَ فِي الْحَقِيقَةِ سُمُومٌ قَتَّالَةٌ، وَأَمْرَاضٌ فَتَّاكَةٌ، فَكَمْ جَرَّتْ عَلَى أَصْحَابِهَا مِنَ الْعَارِ وَالْفَضِيحَةِ.

وَصَفْوَةُ الْقَوْلِ: إِنَّ مَنْ أَرَادَ النَّجَاةَ مِنَ النَّارِ فَلْيُسَارِعْ إِلَى طَاعَةِ اللهِ، حَتَّى تَكُونَ سَجِيَّةً لَهُ، وَعَادَةً مُتَأَصِّلَةً فِيهِ، لَا يَجِدُ اللَّذَّةَ إِلَّا فِيهَا وَلَا الْأُنْسَ إِلَّا بِهَا، وَلَقَدْ كَانَ ﷺ سَيِّدَ الْمُجَاهِدِينَ، وَأُسْتَاذَ الْعَابِدِينَ، وَمَعَ عُلُوِّ مَنْزِلَتِهِ، وَكَرَامَتِهِ عَلَى رَبِّهِ، وَعِصْمَتِهِ مِنَ الذُّنُوبِ، كَانَ يَقُومُ اللَّيْلَ حَتَّى تَتَفَطَّرَ قَدَمَاهُ، فَقَالَتْ لَهُ عَائِشَةُ: ﴿ **لِمَ تَصْنَعُ هَذَا يَا رَسُولَ اللهِ وَقَدْ غَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ قَالَ: أَفَلَا أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ عَبْدًا شَكُورًا** ﴾ [1]. نَسْأَلُ اللهَ تَعَالَى الْهِدَايَةَ وَالنَّجَاةَ.

﴿ بَابُ الرَّجَاءِ وَالْأَذْكَارِ وَالْأَدْعِيَةِ وَالتَّوْبَةِ ﴾

﴿ 57 ﴾ ﴿ ذِكْرُ اللهِ مِنَ الْقُرُبَاتِ ﴾

* **قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿ يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي؛ فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ؛ وَإِنِ اقْتَرَبَ إِلَيَّ شِبْرًا اقْتَرَبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا؛ وَإِنِ اقْتَرَبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا اقْتَرَبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا؛ وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً ﴾ [2] رَوَاهُ الشَّيْخَانِ وَالتِّرْمِذِيُّ.**

---

(1) اَلْحَدِيثُ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ: عَنْ أُمِّنَا عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ حَتَّى تَتَفَطَّرَ قَدَمَاهُ، فَقُلْتُ لَهُ: لِمَ تَصْنَعُ هَذَا يَا رَسُولَ اللهِ؟ وَقَدْ غَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ قَالَ: أَفَلَا أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ عَبْدًا شَكُورًا.

(2) اَلْحَدِيثُ عَنْ سَيِّدِنَا أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه.

﴿ اَلشَّرْحُ وَالْبَيَانُ ﴾

مَنْ ظَنَّ بِاللهِ الْغُفْرَانَ وَهُوَ يَسْتَغْفِرُهُ فَإِنَّهُ يَغْفِرُ لَهُ، وَمَنْ ظَنَّ بِاللهِ الْإِجَابَةَ وَهُوَ يَدْعُوهُ فَإِنَّهُ يُجِيبُهُ، وَمَنْ ظَنَّ بِاللهِ الْقَبُولَ وَهُوَ عَلَى طَاعَتِهِ فَإِنَّهُ يَقْبَلُهُ، لِأَنَّهُ فَعَلَ مَا أُمِرَ بِهِ وَظَنَّ بِاللهِ مَا وَعَدَهُ؛

وَمَنْ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا مِنَ النَّاسِ أَثْنَى اللهُ عَلَيْهِ وَأَجْزَلَ لَهُ الْعَطَاءَ؛

وَلَيْسَ الْمُرَادُ بِالشِّبْرِ وَالذِّرَاعِ وَالْبَاعِ وَالْمَشْيِ وَالْهَرْوَلَةِ الْأُمُورَ الْمَحْسُوسَةَ، وَإِنَّمَا الْمُرَادُ بِهَا: إِذَا اقْتَرَبَ الْعَبْدُ إِلَى رَبِّهِ بِقَلِيلِ الطَّاعَةِ، أَقْبَلَ اللهُ عَلَيْهِ كَثِيرًا، وَكُلَّمَا زَادَ الْعَبْدُ فِي الطَّاعَةِ زَادَ إِقْبَالُ اللهِ عَلَيْهِ؛

وَالذِّكْرُ مِنْ أَفْضَلِ الْقُرُبَاتِ إِلَى اللهِ، فَإِذَا وَاظَبَ الْإِنْسَانُ عَلَيْهِ مَلَأَ اللهُ قَلْبَهُ نُورًا، وَكَفَى الذَّاكِرِينَ خَيْرًا أَنَّ اللهَ يُغْنِيهِمْ بِأُنْسِهِ، وَيَتَوَلَّاهُمْ بِتَوْفِيقِهِ؛

جَعَلَنَا اللهُ مِنْهُمْ.

﴿ 58 ﴾ ﴿ فَضْلُ الدُّعَاءِ ﴾

* قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿ اَلدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ ﴾[1] رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ.

﴿ اَلشَّرْحُ وَالْبَيَانُ ﴾

اَلدُّعَاءُ: هُوَ الِالْتِجَاءُ إِلَى اللهِ تَعَالَى فِي دَفْعِ الْمَكْرُوهِ، وَهُوَ أَفْضَلُ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ، لِأَنَّ الدَّاعِيَ يَذْكُرُ رَبَّهُ وَيَتَوَجَّهُ إِلَيْهِ عِلْمًا مِنْهُ أَنَّهُ مَالِكُ كُلِّ شَيْءٍ.

وَلِلدُّعَاءِ آدَابٌ وَشُرُوطٌ، مِنْهَا: اَلْإِخْلَاصُ، وَاسْتِحْضَارُ عَظَمَةِ اللهِ؛

وَالْأَحَادِيثُ فِي فَضْلِ الدُّعَاءِ كَثِيرَةٌ، مِنْهَا: قَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ﴿ اَلدُّعَاءُ

---

(١) اَلْحَدِيثُ عَنْ سَيِّدِنَا النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنهما.

مُخُّ الْعِبَادَةِ﴾[1]، لِأَنَّ كُلَّ عَابِدٍ رُبَّمَا غَابَ قَلْبُهُ، إِلَّا الدَّاعِيَ فَإِنَّهُ حَاضِرٌ مَعَ اللهِ فِي قَوْلِهِ وَبَاطِنِهِ.

﴿59﴾ ﴿اَلتَّوْبَةُ وَفَضْلُهَا﴾

* قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ، وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ﴾[2] رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ.

﴿اَلشَّـرْحُ وَالْبَيَـانُ﴾

اَلتَّوْبَةُ: اَلرُّجُوعُ إِلَى اللَّـهِ.

وَشُرُوطُهَا ثَلَاثَةٌ: 1) اَلْإِقْلَاعُ عَنِ الذَّنْبِ أَيِ الْبُعْدُ عَنْهُ؛ 2) وَالنَّدَمُ عَلَى مَا حَصَلَ؛ 3) وَالْعَزْمُ عَلَى أَنْ لَا يَعُودَ إِلَيْهِ أَبَدًا؛ وَإِذَا كَانَ الذَّنْبُ يَتَعَلَّقُ بِآدَمِيٍّ، فَإِنَّهُ يُزَادُ عَلَيْهِ شَرْطٌ رَابِعٌ وَهُوَ: 4) رَدُّ الْحُقُوقِ إِلَى أَصْحَابِهَا.

* وَالتَّوْبَةُ الصَّادِقَةُ مَاحِيَةٌ لِلذُّنُوبِ؛ وَالنَّدَمُ الشَّدِيدُ يَغْسِلُ الْعُيُوبَ؛

وَكُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ: أَيْ فِيهِ اسْتِعْدَادٌ لِلْخَطَإِ، وَخَيْرُهُمْ وَأَجَلُّهُمْ إِلَى اللَّـهِ كَثِيرُ التَّوْبَةِ عِنْدَ كُلِّ هَفْوَةٍ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ (البقرة: ٢٢٢).

فَكُلُّ شَخْصٍ تَابَ وَرَجَعَ إِلَى رَبِّهِ يَقْبَلُهُ اللهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝١٧﴾ (النساء: ١٧).

﴿60﴾ ﴿خَاتِمَةٌ فِي سَعَةِ رَحْمَةِ اللهِ﴾

* قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿لَمَّا خَلَقَ اللهُ الْخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ: إِنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي﴾[1] رَوَاهُ الشَّيْخَانِ.

---

(1) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ عَنْ سَيِّدِنَا أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ عَنْ ﷺ قَالَ: الدُّعَاءُ مُخُّ الْعِبَادَةِ؛ وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ.

(2) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ عَنْ سَيِّدِنَا أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه.

﴿ اَلشَّــرْحُ وَالْبَيَــانُ ﴾

يُرْشِدُنَا هَذَا الْحَدِيثُ إِلَى: أَنَّ الْمُؤْمِنَ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ، وَلَا يَقْنَطُ مِنْ رِضَى الْخَالِقِ، فَبَابُهُ مَفْتُوحٌ لِكُلِّ لَاجِئٍ، وَرَحْمَتُهُ وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ، قَـالَ تَعَـالَى: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ (الزُّمَر:٥٣).

فَهَذِهِ الْآيَةُ تَدُلُّ عَلَى: أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِلْمُؤْمِنِ الْيَأْسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ، وَالْقُنُوطُ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ، بَلْ يَنْبَغِي لَهُ تَحْسِينُ الظَّنِّ بِهِ؛

* وَرَدَ عَنْ فَقِيرِ بْنِ مِسْكِينٍ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ ﷺ أَعُودُهُ فِي مَرَضِ مَوْتِهِ فَقُلْتُ لَهُ: {كَيْفَ أَصْبَحْتَ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّـهِ؟} قَالَ: {أَصْبَحْتُ مِنَ الدُّنْيَا رَاحِلاً، وَلِإِخْـوَانِي مُفَارِقًـا، وَلِكَأْسِ الْمَنِيَّةِ شَارِبًـا، وَلَا أَدْرِي أَإِلَى الْجَنَّةِ تَسِيرُ رُوحِي فَأُهَنِّيهَا؟ أَمْ إِلَى النَّارِ فَأُعَزِّيهَا} وَأَنْشَأَ يَقُولُ:

وَلَمَّـا قَسَـا قَلْبِي وَضَـاقَتْ مَذَاهِبِي جَعَلْتُ الرَّجَا مِنِّي لِعَفْوِكَ سُلَّمَا
تَعَـاظَمَنِـي ذَنْبِـي فَلَمَّـا قَـرَنْتُـهُ بِعَفْـوِكَ رَبِّي صَـارَ عَفْوُكَ أَعْظَمَـا



(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَنْ سَيِّدِنَا أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ.

﴿خَاتِمَةٌ﴾

* أَسْأَلُ اللهَ أَنْ يُوَفِّقَنَا إِلَى مَا فِيهِ سَعَادَةُ الدَّارَيْنِ، وَيَغْفِرَ لَنَا، وَيَرْحَمَنَا ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ (الأعراف: ٢٣)، ﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (الحشر: ١٠).

* هَذَا مَا وُفِّقْنَا بِحَمْدِ اللهِ لِجَمْعِهِ وَتَرْتِيبِهِ،

نَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَنْفَعَ بِهِ، وَأَنْ يَجْعَلَهُ وَسِيلَةً لِرِضَاهُ،

فَيَا رَبِّي يَا ذَا الْفَضْلِ حَقِّقْ رَجَائِي، وَاجْعَلْ عَمَلِي هَذَا خَالِصًا لِوَجْهِكَ الْكَرِيمِ،

لَا نَبْغِي بِهِ إِلَّا خِدْمَةَ: دِينِكَ، وَسُنَّةِ نَبِيِّكَ صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ،

وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الطَّاهِرِينَ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ،

وَالْحَمْدُ لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.





فَهْرَسُ الْمَوْضُوعَاتِ

اَلْمَوْضُوعُ:



إِصْدَارُ:

اَلْجَمْعِيَّةُ التُّونِسِيَّةُ لِإِحْيَاءِ التُّرَاثِ الزَّيْتُونِيِّ

ISBN:978-9938-05-286-2

﴿اَلْمُلَاحَظَاتُ وَالتَّعْلِيقَاتُ﴾

مطبعة فن وألوان
الشرقية 1 . تونس قرطاج
الهاتف : 388 770 71

ISBN: 978 - 9938 - 05 - 286 - 2

9 789938 052862

